



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

ميفقات الحج

تقديم: سكرتيرة فني وفناني
والفكرية: د. سكرتيرة فني وفناني

٣٣



- الحج، رموز ورموزها • صلاة الطواف ومكاتها •
- القويات مناصرة في الحج • ٤٦٥ • الله الجندل في الحج • ٤٦٥ •
- صلوات من تاريخ المدينة المنورة •
- مكاتبات من مكة المكرمة • أسسها بنت عيسى، طهية العظمى •
- الرحمة المبرورة للملأمة السيد محمد الأمين •
- مكة المكرمة حرمها في طرفة العين •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
٦	ميقات الحج-المجلد ٣٣
٦	اشارة
٦	اشارة
١١	وجيزة حول الكعبة الشريفة
٢٢	مقالة و رسالة
٧١	مقتطفات من كتاب: الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة «٢»
١٤٣	الصيد
١٩٤	شخصيات من الحرمين الشريفين (٢٧)
٢٥٠	جولة في الصحافة السعودية
٢٧٩	وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ
٣٣٠	تعريف مركز

میقات الحج-المجلد ۳۳

اشاره

عنوان و نام پدیدآور: میقات الحج: مجله نصف سنویه، تعنی بالشوون الثقافیه..... محمد محمدی ری شهری.

مشخصات نشر: [بی جا: بی نا، ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری: ۳۰۰ص.:نمونه، عکس.

شابک: ۵۰۰۰ ریال

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی توصیفی

یادداشت: عربی.

یادداشت: شماره پنج این مجله بنام میقات الحج است.

یادداشت: پشت جلد به انگلیسی: Mighat al - Haj.

یادداشت: کتابنامه.

شناسه افزوده: محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵ -، مدیر مسئول

شناسه افزوده: قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵ -

شماره کتابشناسی ملی: ۱۵۴۲۸۹۶

ص: ۱

اشاره

وجيزة حول الكعبة الشريفة

ص: ٦

آية الله الشيخ عبدالله جوادي آملی

أحمدُ لله الذي جعل الكعبة قياماً للناس، و الصلاة والسلام على جميع الأنبياء، سيما الخليل (ع) الذي رفع قواعدها، و الحبيب (ص) الذي طهرها من الصنم، و عترته المعصومين، سيما خاتمهم المهدي الموجود الموعود (عج) الذي به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً؛ بهم نتولى ومن أعدائهم نتبرأ إلى الله.

إنَّ الله سبحانه خالق كلِّ شيءٍ ممكنٍ و يكون خلقه إياه بالتجلى كما قال مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع): «أحمدُ لله المتجلى لخلقهِ بِخلقهِ». (١) أي فتجلى الله سبحانه بالخلق لكل مخلوقٍ فكل مخلوقٍ يعرفُ الله سبحانه و يستبحه و يحمده و يسجد و يأتيه طائعاً كما في غير واحدة من الآيات، فلا الخلق بالتجافي بل بالتجلى، و لا المخلوق محجوب عن خالقه المتجلى له، إذ ليس المتجلى له هو خصوص الانسان، و إن كان هو أقوى مخلوقٍ تجلى الله له.

فهذا أصل إلهي، و هو أن الله مُتَجَلٍّ في خلقه و أن مخلوقه متجلى له بلا استثناء في شيء من هذين المطلبين.

إنَّ كمال الخالق و حسنه الوجودي (لا-الاعتباري) يتجلى في خلقه و إنَّ كمال المخلوق و حسنه الوجودي يكشف كمال الخالق و حسنه الوجودي، و لا يختص ذلك في خلق الإنسان الذي له أحسن تقويم؛ فما ورد

ص: ٧

فيه من قوله تعالى: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. (١) إنما هو تمثيل لا تعيين، لأنه جارٍ بعينه في إنزال القرآن الحكيم الذي هو أحسن الحديث و أبلغ الموعظة، و حيث إن الله سبحانه نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي. (٢) فهو أحسن المتكلمين وأحسن المحذثين، وما إلى ذلك من الأشباه والنظائر.

إن الله سبحانه رفيع الدرجات ذو العرش، و يرفع الذين آمنوا درجةً والذين أوتوا العلم درجات، و يرفع الأوحدي منهم مكاناً علياً. فجميع ذلك مصداق خلقه المتجلى به للمخلوق، فأى مخلوق عَرَفَ نفسه يعرف ربه بمقدار معرفته، و لا- خصيصه لهذا الأصل بالإنسان، و إن كان له حظٌ وافٍ، و لا يمكن أن لا يعرف مخلوق أى مخلوق كان نفسه إلا بسوء عمله الذى يختلف باختلاف المخلوق شدةً و ضعفاً، و كل مخلوق عرف نفسه يعرف خالقه المتجلى له بالضرورة.

و حيث إن درجات التجلى متفاوتة فكل مقدار نقص منه ينتزع من القدر الناقص عنوان التجافى المقابل للتجلى، إذا الميز بينهما بأن المتجلى يكون جامعاً بين الدرجات بنحو إذا هبط إلى الأرض يكون موجوداً فى السماء أيضاً، و إذا نزل إلى السفلى يكون موجوداً فى العلو و يصير مظهراً لله الذى هو دان فى علوه و عالٍ فى دنوه، بلا اتحاد و لا حلول، و بأن المتجافى لا يكون كذلك، حيث إنه إذا كان عالياً لم يكن سافلاً، و إن كان هابطاً لم يكن

١- سورة المؤمنون: ١٤.

٢- سورة الزمر: ٢٣.

ص: ٨

صاعداً، وذلك كالمطر حيث إنه مادام في سحب السماء لا يكون في بحر الأرض أو نهرها، و مادام هبط إلى البرّ أو البحر لا يكون في سحبها.

مع أنّ كل شيء مسبوق بوجوده في خزائن الله سبحانه، وأنّه هبوطه إلى الأرض ليس بمعنى خلوّ المخزن عما اخترن فيه؛ فما أفاده سبحانه بقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ. (١) حق لا ريب فيه، إلّا أنّ بين أنحاء التنزيل فرقاً.

إنّ القرآن قد نزل من لدن عليّ حكيم، وإنّ المطر أيضاً نزل من مخزنه، ولكن بينهما تفاوتاً من البدء إلى الختم، ومن كيفية الانزال وما إلى ذلك؛ فالقرآن نزل بالتجلى الخاص كما أفاده مولانا أمير المؤمنين (ع): «فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه». (٢) والمطر نزل بالتجافى فالقرآن بمثابة الجبل الممدود من الصدر إلى الساقه بلا طرح ولا نبذ، والمطر مُلقى و مَبُودُ فأين

أحدهما من الآخر؟

فالقرآن من أدلّه الذي يكون بيد الله إلى آخره الذي بأيدي الناس كلام الله حيث قال تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ. (٣) والتفصيل موكول إلى موطنه المعدّ لبيان كيفية نزول القرآن و مَيّز نزوله عن نزول غيره.

١- سورة الحجر: ٢١.

٢- نهج البلاغه، الخطبة: ١٤٧.

٣- سورة الزخرف: ٣ و ٤.

ص: ٩

إنَّ الكعبةَ التي هي قبله المسلمين، و مطاف الطائفين، و مزار الزائرين، قد نزلت إلى الأرض قرب نزول القرآن إليها، لا كنزول المطر إليها، و يشهد له ما ورد في شأن الحجر الأسود، من أنه يمين الله في الأرض، فمن استلامه فكأنه بايع يمين الله الذي كلتا يديه يمين، مع نزاهته عن الجسم، و برأته عن المادة، و طهارته عن لوث الجسمي، و ما إلى ذلك؛ سُبُوْحٌ قَدُوسٌ ربنا و ربّ الملائكة و الروح.

إنَّ الكعبةَ هي متن القبلة فمن دخلها فهو في عين القبلة بحيث أينما يتوجّه فثمّ وجهه الله و لا مَيزَ هناك بين الأمام و الخلف و اليمين و اليسار و الفوق و التحت إلّا بالاعتبار، و إلّا فالجميع قبله و البيت الذي هذا شأنه فهو مَجَلِّيٌّ لله المتجلّي فيه، لأنّه تعالى يكون مع الإنسان أينما كان، و كيف كان، و حيث كان، و لا يعمر هذا البيت إلّا الموحّد الخالص: **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ. (١)** و لا- يطوف حوله إلّا العتيق عن حُبِّ غير الله، و لا يستقبله إلّا المستدبر ما سوى الله.

إنَّ الكعبةَ رقيقةٌ للبيت المعمور الذي يعمره الملائكة الذين لا يعصون الله ما يأمرهم و هم بأمره يعملون، و لا يسبقونه بالقول و يخافون ربّهم من فوقهم، و يسبّحونه و يقدّسونه، و هم المدبّرون العالم بأمره تعالى، و حيث إنّ البيت المعمور بالملائكة أقوى درجة من الكعبة فهو بتمامه أى داخله و سطوحه الخارجة كلها بحيث أينما يتوجّه إليه ملكٌ من الملائكة فثمّ وجه الله.

ص: ١٠

والسرّ في تماثل الكعبة و البيت هو أنّ ذلك البيت حقيقةً لرقيقة الكعبة، و هي رقيقة لتلك الحقيقة صوتاً للتجلّي عن التجافى، فجميع ما في البيت المعمور حاصله للكعبة ضعيفاً، و جميع ما في الكعبة حاصله للبيت المعمور شديداً.

إنّ البيت المعمور رقيقة للعرش الإلهي، و ذلك حقيقة لهذه الرقيقة كما أشير في التماثل بين الكعبة و البيت المعمور، و العرش معموّر بمن يستولى عليه و هو الله سبحانه: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. (١) و لكنه تعالى إنما يعمر عرشه بأسمائه الحسنی، و أوصافه العليا، و كلماته التامة التي تحكيها التسيحات الأربع و هي:

سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر

كما دلّت عليها الرواية الدالّة على أنّ تربع العرش و كونه ذا أركان أربعة إنّما هو لأنّ تلك الكلمات التي بنى عليها العرش أربع، فلو أمكن لأحد أن يصعد إليه بإذن الله تعالى فهو يرى نفسه محفوظاً بالتوحيد المشار إليه تارةً بالتسيح، و أخرى بالتحميد، و ثالثةً بالتهليل، و رابعةً بالتكبير، و هي و إن كانت كثيرة لفظاً و مفهوماً و لكنّها متحدةً مصداقاً.

فهذا الصاعد الذي عرج بروحه إلى ذلك المستوى، فهو يرى قلبه، إنه أينما توجه فثم وجه الله، و حيث إنّ هذا السعيد الصاعد ذو قلب سليم ليس فيه غير حبّ الله، فيصير بذلك بمنزلة العرش، الذي مبناه، و بناؤه، و

ص: ١١

جداره، و سقفه، و بابه، و ميزابه، و كل ما يتعلّق به توحيداً خالصاً لله الذى ليس كمثله شىء.

ثم إنّ تلك الكلمات الطيبة حقيقة العرش الذى هو رقيقتها، و يكون العرش حقيقة البيت المعمور الذى هو رقيقته، و يكون البيت المعمور حقيقة بيت الله فى الأرض (الكعبة) الذى هو رقيقته، و من هنا يتبين أنّ نزول الكعبة إلى الأرض بالتجلى الخاص لا التجلى العام الذى يصحبه التجافى أحياناً، و أنّ معنى ما قد يقال: إنّ الكعبة من تخوم الأرض إلى عنان السماء قبله، له معنى دقيق فى الفقه الأكبر و الأوسط، كما أنّ له معنى رائجاً فى الفقه الأصغر، و أنّ صغر الفقه و كبره يرجعان إلى المحتوى الناظر إلى الجهاد الأصغر و الأكبر، إذ لا يمكن الفتح فى الجهاد الأكبر بسلاح الفقه الأصغر، لأنّ لكلّ جهادٍ سلاحاً، و ظُفراً، و غنيمَةً، كما أنّ له هزيمةً و غرامه، و أنّ قلب المؤمن إنّما يصير عرش الرحمن، إذا التزم بجميع ما فى الفقهين الأصغر و الأكبر، و عرفه و اعترف به، و آمن بذلك، و عمل به خالصاً لله، البرىء من الرّياء، و السمعه، و ما إلى ذلك من هوى النفس، فلا بدّ من تضحيتها، و تزكية الروح، و تزكية العقل، حتى يليق بأن يصعد، و يصير بنفسه بمنزلة عرش الرحمن، فحينئذٍ إذا أفيض على قلبه شىء من المعارف العلمية، أو العملية، يصير ذلك كلمةً عرشيةً، لأنّها أفيض على عرش الرحمن و استقرّ عليه، و كلّ ما يستقرّ على العرش يصير عرشياً، فتلك المعارف تصير حكماً عرشيةً، كما هو المعهود لدى أبناء التحقيق؛ لا أنّ كل مطلبٍ عريقٍ عميقٍ دقيقٍ يستحقّ بأن يُعبّر عنه بالحكمة العرشية؛ لأنّه أفيض على

ص: ١٢

قلب الغير، و أى مطلب أفيض على الغير فهو عاربه ترجع إلى صاحبها، و لا- مساس لها بالمستعير، فليس له أن يتفوه بذلك إلا بعد التصريح بالاعارة و الاستعارة، لأن ذلك المطلب السامى، و إن كان مشهوداً للعارف، أو معقولاً للحكيم، إلا أن نقله ليس عرفاناً و لألسفهُ، إذ الناقل المستعير لا يكون عارفاً شاهداً، و لا حكيماً عاقلاً، إذ نقل الشهود و العقل أجنى عنه منقوله.

فكما أن قارىء القرآن له أن يقرأ و يرقى، حيث يقال له: «إقرأ و ارق» (١) و لا يختص ذلك بالآخرة، و إن كان هنالك بنحو أتم، بل يجرى فى الأولى أى الدنيا أيضاً، فكل الحاج و المعتمر و الزائر، و كل من يتجه إلى الكعبة و يصلّى نحوها يقال له: طُف، زُر، صَلَّ و أَرَقَ من الكعبة إلى البيت المعمور، و منه إلى العرش، و منه إلى محتوى التسيحات الأربع، و صير عبداً خالصاً ذا قلب سليم ليس فيه شىء سوى حُبِّ الله، و حُبِّ آثاره القيمه من القرآن، و العتره (هم) الذين ورد فيهم أنهم بمثابة الكعبة تُوتى و لاتأتى؛ لأن الإمام لا يكون إلا كذلك.

إن الكعبة التى لم يذكر إلها بضعه مميًا ورد فيها هى مدار حياة الأُمّيه و مماتهم و جوباً أو ندباً، من الصلاة، و الذبح، و النحر، و الاحتضار، و التصليه، و الدفن، و ما إلى ذلك؛ فلذا يقال حيّاً و ميتاً: إن الكعبة قبلتى، كما يقال فى الحالتين: إن القرآن كتابى و إن محمداً (ص) نبى و رسولى، و إن عليّاً و أولاده المعصومين الأحد عشر (هم) أئمتى، و ما إلى ذلك من الأمور الدينيه؛ فيلزم معرفتها بحيث لا يضيع شىء من حقها أولاً، ثم تجعل

ص: ١٣

سَلَمًا للصعود إلى البيت المعمور هكذا ثانيًا، و من هنا يصح أن يقال: «الكعبة! و ما أدراك ما الكعبة؟! حيث إن الطائف لا يرى منها إلّا حجرًا لا- يضّرّ ولا-ينفع» كما أنّ قارئ القرآن لا يسمع إلّا لفظًا عربيًا، و لكنه لا يدري من أين تجلّى؟ و من أين نزل في القوس النزولى؟ و إلى أين يصعد و يترقى في القوس الصعودى؟

إنّ كلمة «ياء» التى أضيف إليها لفظ البيت فى قوله تعالى: طَهَّرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ... (١) ليست إضافةً اعتباريةً، بل تحكى الإضافة الإشراقية التى يكون المضاف فيها تابعاً للإضافة، بخلاف ما فى الاعتبارية منها، حيث إنّ الإضافة فيها تابعة للمضاف، كما أنّها تابعة للمضاف إليه.

والحاصل أنّ إضافة البيت إلى الله تشريفية، تحكى شرافة المضاف تكويناً لا اعتباراً صرفاً، و أنّ التشريف التشريعى يساوق التكوين، إذ الشريعة الإلهية عين الحكمة بلا جزافٍ، و متن الواقعية بلا تسامح و لاتساهل.

و إن شئت فقل هذه الإضافة و الإضافة التى فى قوله تعالى: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي. (٢) إذ المضاف هناك أى الروح موجود مجرد ملكوتى من أمر الله، و له شأوٍ قاصٍ تحكيه الإضافة المذكورة و إن يكن بين الروح الإنسانى المنفوح فيه من الله، و بين ظاهر الكعبة المنبئة من أحجار

١- سورة البقرة: ١٢٥.

٢- سورة الحجر: ٢٩.

ص: ١٤

لا تضرّ و لا تنفع (١) فرق، و لكن بعد التدبّر فى باطنها يعترف بإمكان التشابه، و من هنا قيل فى نعت الكعبة باللغة الفارسية المقاربة للعربية فى غير واحد من المعارف و الحكّم عدا ما فيها من القرآن الحكيم و كلام أهل بيت الوحي:

كعبه را جامه كردن از هوس است ياء بيتى جمال كعبه بس است

(٢) أى لا- تحتاج الكعبة إلى تزيينها بالثوب الحريرى و نحوه؛ لأنّ جمالها إنّما هو فى لفظه الياء فى كلمه بيتى فى قوله تعالى: طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ. (٣) حيث إنّ جمال المخلوق بإضافته إلى الخالق الجميل الذى كلّ جماله جميل، و إنّ نسأله بأجمله فى «دعاء السحر» حسب ما علّمنا مولانا أبو جعفر الباقر (عليه و على آباءه الأطيبين و أبناءه الأنجيين آلاف التحية و الثناء).

إنّ الكعبة سبب قيام الناس للتوحيد و العدل، على الإلحاد و الظلم، فهو موجب لمقاومتهم تجاه الباطل، أى باطل كان، و سبب لإقامة الحقّ، أينما كان، فهى أى الكعبة تهدى الناس إلى أن يدوروا مع الحق حيثما دار، و تهدموا الباطل أينما ظهر، لأنّ معها لا يبدئ الباطل و لا يعيد: قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ. (٤) والدليل على كونها أى الكعبة

١- نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

٢- ديوان الحكيم السنائى الغزنوى.

٣- سورة البقرة: ١٢٥.

٤- سورة سبأ: ٤٩.

ص: ١٥

عاملة للقيام هو قوله سبحانه: قِيَامًا لِلنَّاسِ. (١) فهي محور المقاومة والوحدة الإسلامية من مشارق الأرض و مغاربها، و من يُرد فيها بظلم أو إلحاد يذقه الله عذاباً أليماً.

و لعلّ بناء الخليل (ع) - الجذاذ للأوثان و الأصنام - جعل الكعبة سبباً للقيام على كسر أصنام الجاهلية بإذن الله، و الشاهد على أنّ هذا البيت الرفيع بناؤه، هو استقرار مقامه فيه من أبعده عهدٍ إلى اليوم كما قال سبحانه: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ. (٢) و العربي الجاهلي جعله مأمناً للقاتل و كان يحفظه مادام هو فيه، و ليس ذلك لكونه معبداً للصنم، إذ لم يعهد إجلال معبده أصلاً، حيث إنه كم من معبد في شرق الأرض و غربها للصنم و الوثن لا يعهد فيه مثل ذلك؛ و الحاصل أنّ الكعبة سبب قيام الناس للاعتقاد.

و أنّ المال سبب قيام الناس للاقتصاد حسبما يستفاد من قوله تعالى: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا. (٣) فإذا قام الناس بالكعبة للاعتقاد، يتمّ لهم القيام بالمال للاقتصاد، و إذا قعدوا عنها و لا يقوموا بها للاعتقاد صار المال وبالاً و دوله بين الأغنياء منهم، و يصيرون شيعاً يستضعف الغنى منهم الفقير، و يستأثرون لأنفسهم ما الناس فيه شرعٌ سواء، و يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، و يحومون حوم النثيل و المعتلف، أعاذ الله الأمة الإسلامية من هؤلاء، و من يحذو حذوهم.

١- سورة المائدة: ٩٧.

٢- سورة آل عمران: ٩٧.

٣- سورة النساء: ٥.

ص: ١٦

فالحج والعمرة سير إلى سبب القيام للاعتقاد، وتعديل لما هو عامل القيام للاقتصاد، إذ: ما جاع فقيرٌ إلّا بما مُتّع به الغنى. إنَّ التحقيق حول معنى التجلّي الممتاز عن التجافى، و حوم الحقيقة و الرقيقة يزيج أى شكّ يمكن أن يختلج ببال من لا يؤمن إلّا بما يراه جَهْرَةً، فيقول: لو كانت الكعبة بحذاء البيت المعمور للزم سكون الأرض و السماء معاً، أو حركتهما من مبدأ خاص إلى منتهى مخصوص على سرعه خاصية، حفظاً للمحاذاة، ذهولاً عن معنى التحاذى المعنوى، و غفلةً عن التقابل الملكوتى، و ما إلى ذلك مما يناسب تحاذيهما كمحاذاة البيت المعمور العرش المحاذى للكلمات الأربع.

إنَّ الإنسان المطبوع على قلبه، المختوم على سمعه و بصره، كما يُبدل هويته، و يجعل فؤاده كالحجر أو أشدّ قسوةً، يجعل أول بيتٍ وُضع للناس بيت العنكبوت، و لا تكون عبادته لديه إلّا مكاءً و تصديعاً، فمن دسى نفسه و خاب بتدسيسها، يُبدل أقوى البيوت بأوهنها، و أما من عرف نفسه و زكّاه، يعرف قدرها و يفتح له بذلك أبواب المعارف و الحكم، و ينكشف له سرّ التعبير عن الكعبة بالبيت، مع أنّه لا- بيتوته هناك لأحدٍ، و السرّ هو أنّ عنوان البيت يحكى الليل التى إليها بركات، لا توجد فى النهار كما قال تعالى: **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا. (١)** و المرجو أن تتبرك الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها ببركة الكعبة ما هو خير لها.

أمين يا ربّ البيت الحرام

١- سورة المزمل: ٦.

ص: ١٧

مقالة و رسالة

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

١. التبرك

على ضوء الكتاب والسنة

لا يشك ذو مسكة في أن التقريب بين المذاهب الإسلامية وقادتها وأتباعها، هو بغية كل مسلم عارف بما يسودهم من الظن السيئ والتباعد بينهم، وأن أعداء الإسلام على سعي حثيث، في زرع العداة والتباغض بين أبناء الأمة الواحدة، وإغراء طائفة على طائفة أخرى بصور مختلفة، وبين ظهرانهم آذان صاغية للنعرات الجاهلية، كما أن بينهم أقلاماً مستأجرة تلعب بحبل الأعداء لإشعال نار الفتنة بين الإخوة، الذين تجمعهم وتربطهم أمور شتى من الإيمان بالله ورسله وكتبه وخاتم أنبيائه وسنته وشريعته إلى غير ذلك من أواصر الوحدة.

والطريق الوحيد لتقريب الخطى بين الإخوة هو الدعوة إلى الأخذ بالمشتركات، وتبيين أن ما يوحد المسلمين على اختلاف فرقهم أكثر مما يفرقهم ويشتتهم، فاللازم هو التأكيد على أواصر الوحدة، والإغماض عما

ص: ١٨

يسبب الفرقة، خصوصاً إذا كانت المفترقات مسائل كلامية أو فروعاً فقهية مما لا تمت إلى الإيمان والكفر بصله. ولأجل أن نجسد كيفية الدعوة إلى الوحدة الإسلامية نضع أمام القارئ الكريم (سنيّاً كان أم شيعياً) رسالة التبرك بآثار النبي (ص) الذي هو من الأصول المشتركة بين عامية المذاهب الإسلامية، عسى أن نسكت الصوت المخالف لهذا الأمر الذي دعا إليه الكتاب والسنة، ونساهم في تعزيز الروابط بين المسلمين، حتى يصبح الجميع في كل موطن وموقف إخوة متحابين متمسكين بحبل الوحدة، الذي أرشد إليه سبحانه بقوله عزّ من قائل: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً. (١)** إن من ينطلق من الكتاب والسنة وأحاديث أئمة أهل البيت (هم) والسيرة الرائجة بين المسلمين لا يخالف في أمر التبرك قدر شعرة، وإنما يخالف فيه ويناقش في مشروعيته من يأبى التحرر من أسر تقليد بعض من لم يمعن النظر في هذه المصادر، ولم يرزق التوفيق في التبرك بآثار النبي، الذي يعبر عن غاية مودته وتوقيره وتعظيمه (ص).

التبرك لغةً

التبرك مأخوذ من «برك» وله معنيان:

١- آل عمران: ١٠٣.

ص: ١٩

١. الثبات والدوام، كما يقال: وبارك على محمد وعلى آل محمد، أى أثبت وأدم ما آتيتهم من التشريف والكرامة.

٢. الزيادة والنمو. (١) ويناسب المعنى الثانى قوله تعالى: وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ. (٢)

، وقوله سبحانه: الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ. (٣)

ويقال فى المثل: بارك الله الشىء وبارك فيه وعليه؛ ففى الموارد المشار إليها، خير مكنون يزيد وينمو على مر الزمان، ويقصده المتبرك.

التبرك اصطلاحاً

التبرك اصطلاحاً هو طلب ثبوت الخير الإلهى فى الشىء. (٤)

وعلى هذا فالمتبرك بالقرآن والآثار المتبقية عن الأنبياء والأئمة، يطلب الخير الإلهى، لا- بمعنى أنها تحمل خيراً فى ذاتها، وإنما يتوسل بها لطلب الخير من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالأحرى أن يعدّ التبرك من فروع التوسل، فكلّ خير من الأثر المتبرك به فإنما هو من الله سبحانه وهو الذى أعطاه هذا الأثر، فطلب الخير منه طلب خير من الله وهو كعمله ذات وجهين، فهو يطلب الخير من الأثر ظاهراً ولكن يطلبه من الله حقيقة؛ لأنّ ما للسبب من الأثر هو من الله سبحانه وليس منه بالذات، وهنا كلمة قيمة لبعض الأعلام نأتى بنصّها:

١- مقاييس اللغة ٢٢٧: ١؛ النهاية فى غريب الحديث ١٢٠: ١.

٢- الأنعام: ١٥٥.

٣- الإسراء: ١.

٤- الموسوعة الكويتية ٦٩: ١٠.

ص: ٢٠

إنَّ التَّبَرُّكَ ليس إلَّا تَوَسُّلاً إلى الله تعالى بذلك المتَّبَرِّك به، سواء أكان أثراً أو مكاناً أو شخصاً. أمَّا الأعيان فلا اعتقاد بفضلهما وقربها من الله سبحانه وتعالى مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شر إلَّا بإذن الله. وأمَّا الآثار فلائها منسوبة إلى تلك الأعيان فهي مشرفه بشرفها ومكرمه ومعظمه ومحبوبه لأجلها. وأمَّا الأمكنه فلا فضل لها لذاتها من حيث هي أمكنه، وإنما لما يحل فيها ويقع من خير ويزر، كالصلاة والصيام وجميع أنواع العبادات ممَّا يقوم به عباد الله الصالحون، إذ تنزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكة وتغشها السكينة، وهذه هي البركة التي تطلب من الله في الأماكن المقصودة لذلك.

وهذه البركة تطلب بالتعرض لها في أماكنها، بالتوجه إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره، وتذكر ما وقع في تلك الأماكن من حوادث عظيمة ومناسبات كريمة تحرك النفوس وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح. (١) إذا عرفت ذلك فلنذكر النصوص الدالة على جواز التبرك بين الأمم السالفة، والأمة الإسلامية.

١- مفاهيم يجب أن تصحح، للسيد محمد بن علوى المالكي: ٢١٩، الطبعة العاشرة.

ص: ٢١

١. التبرك في الأمم السالفه

يظهر من الآيات والروايات أنّ التبرك بآثار الأنبياء كان رسماً شائعاً عند الأمم السالفه، فكانوا يطلبون الخير تارة من الأسباب الطبيعية، وأخرى من الأسباب غير الطبيعية.

وبعبارة أخرى: أنّ الخير في كلا الموردین بيد الله تعالى لقوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ. (١)

ولكنه ينزل ضمن أسباب خاصه، تارة عادية طبيعية، وأخرى على خلاف العادة، وطالب الخير تارة يقصده من القسم الأول وأخرى من الثاني والسيره جاريه على هذا في أكثر الأمم.

ذكر صاحب تاريخ الخميس في خلافة «المتقى لله» القصة التاليه: في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة أرسل ملك الروم يطلب منه- المتقى لله- منديلاً زعم أنّ المسيح مسح به وجهه، فصارت صورة وجهه فيه، وكان هذا المنديل في كنيسة الرهبان، وأرسل ملك الروم يقول: إن أرسلت هذا المنديل أطلقت لك عشرة آلاف أسير من المسلمين.

فأحضر المتقى لله الفقهاء واستفتاهم فقالوا: أرسل إليهم هذا المنديل، ففعل وأطلق الأسراء. (٢) وما نقله الديار بكرى يكشف عن وجود التبرك عند المسيحيين وقد ورثوا الفكرة عن آباؤهم وأجدادهم.

١- آل عمران: ٢٤.

٢- تاريخ الخميس: ٣٥٢: ٢.

ص: ٢٢

وقد ورد لفظه «بارك» ومشتقاتها كثيراً في الكتاب المقدس ومنه: «بركة هارون وبنيه لبني إسرائيل» (عد ٢٣: ٦-٢٧) وقد بارك المسيح تلاميذه قبل أن يصعد. (انجيل لوقا ٥٠: ٢٤-٥١). (١) ٢. التبرك في القرآن الكريم وقد ذكر القرآن الكريم التبرك في العديد من الآيات نذكرها تباعاً:

١. هذا هو نبي الله يعقوب الذي تبرك بقميص يوسف، قال تعالى حاكياً عن يوسف: اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ. ثم قال تعالى: فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. (٢) فالله سبحانه هو الذي جدد بصر يعقوب بعدما كُفَّ، لكن بسبب خاص وهو قميص ولده يوسف.

وأما ما هي الصلة بين القميص المنسوج من القطن وإعادة البصر إلى يعقوب؟ فغير معلومة لنا، وعلى كل تقدير فللقميص وإرادة يوسف مدخلية في إعادة البصر بإذن من الله سبحانه.

٢. تبرك بني إسرائيل بصندوق العهد، أي التابوت، والتابوت هو الصندوق الذي صنعه موسى (ع) بأمر الله تعالى، وقد وصفه في قاموس الكتاب المقدس بأن طوله كان ذراعين ونصفاً وعرضه ذراعاً ونصفاً وارتفاعه

١- قاموس الكتاب المقدس: ١٧١.

٢- يوسف: ٩٣، ٩٤.

ص: ٢٣

ذراعاً ونصفاً، وكان في التابوت الوعاء الذي يحتوى على المنّ، وعصا هارون التي أفرخت، ولوحا العهد وكان عليهما وصايا الله العشر المكتوبة. (١) ويصفه سبحانه بقوله: فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ. (٢) قال الطبرسي: [إن التابوت كان] هو [الذي أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنها وألقته في البحر، وكان في بنى إسرائيل معظماً يتبركون به، فلما حضر موسى الوفاء، وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة، وأودعه عند وصيه يوشع بن نون، فلم يزل التابوت بينهم، وبنوا إسرائيل في عزّ وشرف ما دام فيهم. (٣) وقال السيوطي: كان في التابوت عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ولوحان من التوراة والمن وكلمة الفرج: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، وسبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين». (٤) وعلى كل تقدير فقد كان بنو إسرائيل يتبركون به ويحملونه عند مواجهة الأعداء فينتصرون، وكفى في قداسة التابوت أنه سبحانه يقول: تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ وَقِصَّةُ التَّابُوتِ وَكَيْفِيَّةُ غَلْبَةِ الْعَمَالِقَةِ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ

١- قاموس الكتاب المقدس: ٢٠٩.

٢- البقرة: ٢٤٨.

٣- مجمع البيان ٦١٤: ١، ط. بيروت.

٤- الدر المنثور ٧٧٨: ١.

ص: ٢٤

وأخذ التابوت منهم، مذكورة في التفاسير، والله سبحانه وعدهم بأنهم لو قاتلوا مع ملكهم طالوت، يسترجع إليهم التابوت وتحمله الملائكة إليهم؛ يقول سبحانه: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ. (١) أى أن آية ملك (طالوت) هو أنه يحارب الأعداء، ويسترجع التابوت الذي تحمله الملائكة فيرونه بنو إسرائيل عياناً. (٢) ٣. التبرك بأصحاب الكهف، فعندما يذكر الله سبحانه وتعالى أصحاب الكهف والرقيم في سورة الكهف، يتدئ بيان قصتهم بالآية ٩ ويختتمها بالآية ٢٦.

وقد نزلت هذه الآيات لتشدد قلوب المؤمنين وثبت الإيمان فيها، وذلك بالوقوف على مصير أصحاب الكهف الذين تركوا متاع الحياة الدنيا وزينتها وهجروا مجتمعهم الغارق في الوثنية والتجأوا إلى كهف ضيق موحش من أجل أن تبقى قلوبهم عامرة بالعبادة الصحيحة، متوهجة بحرارة الإيمان.

فلما علم سبحانه صدقهم وثباتهم في طريق التوحيد شملتهم عناية الله تبارك وتعالى فالتجأوا إلى الكهف، فأطبق الله سبحانه على آذانهم فناموا سنين طويلة، وبذلك خلصوا من مكائد الملك وأعوانه الذين كانوا يروجون الوثنية ويحاربون الموحدين، فلما بعثهم الله سبحانه بعد مضي ثلاثة قرون وانكشف أمرهم للناس، وثبت أن وعد الله حق حيث إن إيقاظهم الذي

١- البقرة: ٢٤٨.

٢- مجمع البيان ٦١٥: ١.

ص: ٢٥

يشبه البعث والإحياء بعد إنامتهم التي تُشبه الموت، أقوى دليل على قدرته سبحانه على أن يبعث الناس يوم القيامة ثم إنه بعدما تبين ما هو الغرض من إنامتهم وإيقاظهم أماتهم الله سبحانه، واختلف الناس في حقهم وفي شأنهم، فذهب فريق منهم إلى إغلاق باب الكهف وسترهم عن أعين الناس وجعلهم وراء البنيان وإلى هذا يشير قوله سبحانه: ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا. (١) والقائلون بذلك هم الأقلية الوثنية، أرادوا بذلك أن يخفوا أمرهم لكي ينسأه الناس ولا يتحدثون به، وقالوا- تحقيراً بشأنهم-: رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ. (٢) وقال الفريق الآخر، أى: الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ. (٣) أى على أمر القائلين بالاقتراح الأول: لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسَاجِدًا. (٤) تتعبدون فيه لله سبحانه تبركاً بتربتهم، وهذا يدل على أمرين:

١. جواز بناء المساجد على قبور الأولياء.

٢. جواز التبرك بتربة القبور، لأن القرآن يذكر ذلك من دون ردّ واعتراض، بل يظهر منه التأييد والموافقة.

١- الكهف: ٢١.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق.

ص: ٢٦

تبرك الصحابة بآثار النبي (ص)

ذكر أصحاب السير والتاريخ تبرك الصحابة بأنواع متعددة من آثار النبي (ص) نظير: «التبرك بماء وضوئه، وبريقه، وبنخامته، وبدمه، وبشعره، وبسوره، وبطعامه، وبأظافره، وبلباسه، وبأوانيهِ، وبما لمسهُ، وبمصلاه»؛ هذا ما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: ٧٠: ١٠ - ٧١، ولكن الموارد أوسع ممّا ذكر هناك، ولأجل الإشارة إلى شيء منها، نذكر بعض النصوص:

١. التبرك بماء وضوئه (ص)

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي ليمثلها في صلح الحديبية مع رسول الله (ص)، وكلمه رسول الله (ص) بنحو ما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، وبعد ما تمت المذاكرة بين الطرفين قام عروة من عند رسول الله (ص) وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ، إلّا ابتدروا وضوءه، ولا يئصق بـصاقاً إلّا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه، فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إنني قد جئت كـشـرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قطّ مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً، فَرَوَا رَأْيَكُمْ. (١) ٢. التبرك بقدمه

١- السيرة النبوية لابن هشام ٣٢٨: ٣.

ص: ٢٧

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى حازم، عن سهل بن سعد، أنه قال: فأقبل النبى (ص) يومئذ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: «اسقنا يا سهل!»، فأخرجت لهم هذا القدر فأسقيتهم فيه [وقال أبو حازم] فأخرج لنا سهل ذلك القدر فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك فوهبه له. (١) ٣. التبرك بسوره

روى أحمد بن حنبل عن أبى صالح، عن أم هانى أن النبى (ص) دخل عليها يوم الفتح، فأنته بشراب، فشرب منه، ثم فصلت منه فضله، فناولها فشربته، ثم قالت: يا رسول الله، لقد فعلت شيئاً ما أدري يوافقك أم لا؟ قال (ص): «وما ذاك يا أم هانى؟»، قالت: كنت صائمة فكرهت أن أرد فضلك فشربته، قال (ص): «تطوعاً أو فريضة؟» قالت: قلت: بل تطوعاً، قال (ص): «فإن الصائم المتطوع بالخيار إن شاء صام، وإن شاء أفطر». (٢) ٤. التبرك بمنبره

سأل عبدالله بن أحمد عن أبيه قال: سألته عن الرجل يمس منبر النبى (ص) ويتبرك بمسّه، ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، أو نحو ذلك يريد بذلك التقرب إلى الله جلّ وعزّ، فقال: «لا بأس بذلك». (٣)

١- فتح البارى ٩٨: ١٠، برقم ٥٦٨٧.

٢- مسند أحمد ٣٩١: ١٠، برقم ٢٧٤٥٤. ط. دارالفكر، بيروت.

٣- العلل ومعرفة الرجال ٤٩٢: ٢، برقم ٣٢٤٣.

ص: ٢٨

وعلق محقق كتاب (العلل ومعرفة الرجال) على هذا الحديث وقال: أما مس منبر النبي (ص) فقد أثبت ابن تيمية - في الجواب الباهر لزوار المقابر - فعله عن ابن عمر، دون غيره من الصحابة، وروى أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف (١٢١: ٤) عن زيد بن الحباب قال حدثني أبو مودود قال: حدثني يزيد بن عبد الملك بن قسيط، قال: رأيت نقرأ من أصحاب النبي (ص) إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا؛ قال: «ورأيت يزيد يفعل ذلك».

وقال الكرمانى حول قول عمر: عندما جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت النبي يقبلك ما قبلتك: «وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك وكذلك تقبيل أيدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية؛ وقد سأل أبو هريرة الحسن (رض) أن يكشف له المكان الذي قبله رسول الله (ص) وهو سرته فقبله تبركاً بآثاره وذريته (ص)، وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس (رض) حتى يقبلها ويقول: يد مسّت يد رسول الله؛ وقال أيضاً: وأخبرني الحافظ أبو سعيد ابن العلاءي قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم، عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ، أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي (ص) وتقبيل منبره فقال: لا - بأس بذلك؛ قال: فأريناه للشيخ تقي الدين بن تيمية، فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجيب أحمد عندي جليل يقوله هذا كلامه أو معنى كلامه. وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به، وإذا

ص: ٢٩

كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة وكيف بآثار الأنبياء (هم)؟! ولقد أحسن مجنون ليلي حيث يقول:

أمّر على الديار ديار ليلي أقبّل ذا الجدار ولا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(١) ٥. التبرّك بالدنانير التي لمسها النبي (ص)

أخرج أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنت مع النبي (ص) في سفر - إلى أن قال: - وكنت على جمل فاعتلّ قال: فلحقني

رسول الله (ص) وأنا في آخر الناس قال: فقال: «مالك يا جابر؟» قال: قلت اعتلّ بعيري، قال: فأخذ بذنبه ثم زجره قال: فما زلت إنّما أنا

في أوّل الناس يهمنى رأسه فلما دنونا من المدينة قال: قال لي رسول الله (ص): «ما فعلَ الجملُ؟» قلت: هو ذا، قال: «فبعنيه» قلت: لا بل

هو لك، قال: «بعنيه» قال: قلت: هو لك، قال: «لا، قد أخذته بأوقية، اركبه فإذا قدمت فائتنا به» قال: فلما قدمت المدينة جئت به فقال:

«يا بلال زن أوقية وزده قيراطاً» قال: قلت: هذا قيراط زادنيه رسول الله (ص) لا يفارقني أبداً حتّى أموت قال: فجعلته في كيس فلم يزل

عني حتّى جاء أهل الشام يوم الحرّة فأخذوه فيما أخذوا. (٢) ٦. التبرّك بالعصا التي أعطها النبي (ص)

١- عمدة القارئ ٥: الجزء ٢٤١: ٩.

٢- مسند أحمد: ٥١: ٥- ٥٢، برقم ١٤٣٨٣.

ص: ٣٠

روى أحمد في مسنده عن عبدالله بن أنيس في حديث فلما قدمت على رسول الله (ص) فرآني فقال: «أفلح الوجه». قال: قلت: قتلته يا رسول الله قال: «صادقت».

قال: ثم قام معي رسول الله (ص) فدخل في بيته فأعطاني عصاً فقال: «أمسك هذه عندك، يا عبدالله بن أنيس». قال: فخرجت بها على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله (ص) وأمرني أن أمسكها، قالوا: أو لا ترجع إلى رسول الله (ص) فتسأله عن ذلك؟

قال: فرجعت إلى رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ يوم القيامة». فقرنها عبدالله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فصبت معه في كفنه ثم دفنا جميعاً. (١) ٧. التبرك بقميص النبي (ص)

روى ابن عبد البر في ترجمه فاطمه بنت أسد بن هاشم، قال: أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت بها، وقال الزبير: هي أول هاشمية ولدت لهاشمي.

ص: ٣١

قال: وقد أسلمت وهاجرت إلى الله ورسوله وماتت بالمدينة في حياة النبي (ص) وشهدها رسول الله (ص).

قال أبو عمر: روى سعدان بن الوليد السابري، عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله (ص) قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي

طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها». (١) ٨. التبرك بالبردة المهداة

قدم كعب بن زهير على الرسول (ص) وأنشد قصيدته اللامية المعروفة التي مستهلها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول مقيم إثرها لم يُفد مكبول

وجاء فيها قوله:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آله حذاء محمول

أنبت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول

قال الديار بكرى: رمى عليه رسول الله (ص) بردة كانت عليه، وأن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف مثقال، فقال: ما كنت لأؤثر بثوب

١- الإصابة ٣٦٨: ٤؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ٣٧٠: ٤.

ص: ٣٢

رسول الله (ص) أحداً، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم. قال: وهى البردة التى عند السلاطين إلى اليوم. (١) ٩. التبرك بجبته (ص)

روى مسلم عن أسماء بنت أبى بكر أنها أخرجت جبّة رسول الله (ص) كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها، وكان النبى (ص) يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى ونستشفى بها. (٢) ١٠. التبرك بالقبر الشريف

أخرج الحاكم فى مستدركه عن داود بن أبى صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته وقال: أتدرى ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصارى (رض) فقال: جئت رسول الله (ص) ولم آت الحجر، سمعت رسول الله (ص) يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (يعنى البخارى ومسلم). (٣) وروى السمهودى عن أبى الجوزاء قال: قُحِطَ أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: فانظروا قبر النبى (ص) فاجعلوا منه كُوَّةً

١- تاريخ الخميس ١٣١: ٢.

٢- صحيح مسلم، برقم ٢٠٦٩، باب النهى عن لبس الحرير، كتاب اللباس والزينة.

٣- مستدرك الحاكم ١١٥: ٤، كتاب الفتن والملاحم.

ص: ٣٣

إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب وسمت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق.

قال الزين المراعى: واعلم أن فتح الكوة عند الجذب سبب أهل المدينة حتى الآن، يفتحون كوة في سفلى قبة الحجرة: أى القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة، وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء.

قلت: وستتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة، والاجتماع هناك، والله أعلم. (١)
وروى البخارى: لَمَّا حضرت الوفاة عمر بن الخطاب، قال لابنه عبدالله: انطلق إلى أم المؤمنين عائشة، فقل: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، قال: فاستأذن وسلم، ثم دخل عليها وهى تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه.

فقلت: كنت أريده لنفسى ولأثرته اليوم على نفسى، فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شىء أهم من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملونى ثم سلّموا ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فادفنونى، وإلا فردّونى إلى مقابر المسلمين. (٢) ١١. التبرك بالمواضع التى صلى فيها الرسول (ص)

أخرج البخارى عن مولى بن عقبه قال:

١- وفاء الوفا ٥٦٠: ١.

٢- صحيح البخارى، برقم ١٣٩٢، كتاب الجنائز.

ص: ٣٤

رأيت سالم بن عبدالله يتحرى أماكن من الطريق فيصلى فيها ويحدث أن أباه كان يصلى فيها، وأنه رأى النبي (ص) يصلى فى تلك الأمكنة، وحدثنى نافع عن ابن عمر أنه كان يصلى فى تلك الأمكنة، وسألت سالمًا فلا أعلمه إلا وافق نافعًا فى الأمكنة كلها إلا أنهما اختلفا فى مسجد بشرف الروحاء. (١) ١٢. التبرك بخاتم النبي (ص)

روى عبدالرزاق عن معمر، قال: أخرج إلينا عبدالله بن محمد (بن) عقيل خاتمًا نقشه تمثال، وأخبرنا أن النبي (ص) لبسه مرّة أو مرتين، قال: فغسله بعض من كان معنا فشربه. (٢) ١٣. التبرك بالمسح واللمس

كانت الصحابة يطلبون من النبي (ص) أن يمسخ على رؤوسهم ويبارك لهم، ومن هؤلاء زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي، قال ابن حجر: فدخل زياد منزل ميمونة أم المؤمنين وكانت خالته ... فقالت: يا رسول الله (ص) إنه ابن أختي، فدعا فوضع يده على رأسه ثم حدرها على طرف أنفه، فكان بنو هلال يقولون: ما زلنا نعرف البركة فى وجه زياد.

ثم قال ابن حجر: وذكر ابن سعد القصة مطولة عن هشام بن الكلبي ... وقال الشاعر لعلى بن زياد المذكور: يا ابن الذى مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير عند المسجد

١- صحيح البخارى، برقم ٤٨٣، باب المواضع التى صلى فيها النبي ص.

٢- المصنف لعبدالرزاق الصنعاني ٣٤٧: ١.

ص: ٣٥

ما زال ذاك النور في عرينه حتى تبوأ بيته في ملحد

(١) هذه ثلاثة عشر مورداً تبرّك فيها الصحابة ولم يعترض عليه أحد، وكانوا يتلقون التبرّك بأنّه غير مناف للتوحيد الذي بعث لأجله

النبي (ص) والموارد كثيرة نكتفي بهذا المقدار، ومن أراد التفصيل فليراجع إلى الكتابين التاليين فقد بلغا الغاية:

١. «تبرّك الصحابة بآثار النبي والصالحين» للعلامة المحقق والمؤرخ الخبير محمد طاهر بن عبدالقادر بن محمود المكي، طبع الكتاب في القاهرة، مطبعة المدني، عام ١٣٨٥ هـ. ق.

٢. «التبرّك» بقلم المحقق الخبير آية الله على الأحمدي الميانجي (١٣٤٤ - ١٤٢١ هـ)، فقد تتبع في كتابه هذا - ونحنو يثير الإعجاب حقاً - المسألة من جميع أبعادها التاريخية والحديثية و... وأثبت بما لا مزيد عليه ونحنو لا يدع للتريد أو الشكّ مجالاً في أنّ سيرة المسلمين عامّة والصحابة والتابعين خاصة كانت قائمة على التبرّك بآثار النبي (ص) والصالحين.

١- الإصابة ٥٣٩: ١- ٥٤٠، رقم الترجمة ٢٨٥٦.

ص: ٣٦

التبرّك في روايات أهل البيت (هم)

قد ذكرنا فيما مضى التبرّك في السنة النبوية ومصادر التاريخ، والآن نذكر ما ورد عن أئمة أهل بيت رسول الله (ص)، وهم أعلم بما فيه.

١. التبرّك باسم الله جل وعلا

روى الإمام الحسن بن علي العسكري (ع)، عن آبائه، عن علي (هم) - في حديث - أن رجلاً قال له: إن رأيت أن تعرّفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس، فقال: «تركك حين جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، إن رسول الله (ص) حدّثني عن الله عزّوجلّ أنّه قال: كلّ أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبت». (١) ٢. التبرّك بالقرآن الكريم

روى الكليني بسنده عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله (ع) قال: «قال أمير المؤمنين (ع): البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإنّ البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عزوجل فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين». (٢) ٣. التبرّك بماء وضوء النبي (ص)

روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا (ع)»، عن الإمام الرضا (ع) قال: «سمعت أبي يحدث عن أبيه، عن جدّه (هم)، عن جابر بن عبد الله قال:

١- تفسير الإمام العسكري ع: ٢٤ و ٢٥؛ الوسائل: كتاب الصلاة، الباب ١٧ من أبواب الذكر، الحديث ٤.

٢- أصول الكافي ٦١١: ٢، كتاب فضل القرآن.

ص: ٣٧

كان رسول الله في قبته من آدم وقد رأيت بلائاً الحبشّي وقد خرج من عنده ومعه فضل وضوء رسول الله (ص) فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً تمسّح به وجهه، ومن لم يُصب منه شيئاً أخذ من يدي صاحبه فمسح به وجهه، وكذلك فعل بفضل وضوء أمير المؤمنين (ع)». (١) ٤. التبرّك بقبر النبي (ص)

روى الكليني بسنده عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن موسى، عن أبيه، عن جدّه (هم) قال: «كان علي بن الحسين (ع) يقف على قبر النبي (ص) فيسلم عليه ويشهد له بالبلاغ، ويدعو بما حضره، ثم يسند ظهره إلى العروة الخضراء الدقيقة العرض ممّا يلي القبر، ويلتزم بالقبر ويسند ظهره إلى القبر، ويستقبل القبلة فيقول: «اللّهم إليك ألجأت ظهري، وإلى قبر نبيّك محمّد (ص) عبدك ورسولك أسندت ظهري، والقبلة التي رضيت لمحمّد (ص) استقبلت، اللّهم إنّي أصبحت لا أملك لنفسي خيراً ما أرجوه، ولا أدفع عنها شرّاً ما أحذر عليها، وأصبحت الأمور بيدك فلا فقير أفقر منّي، ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير، اللّهم ارددني منك بخير فإنّه لا رادّ لفضلك، اللّهم إنّي أعوذ بك من أن تبدّل اسمي، أو تغيّر جسمي، أو تزيل نعمتك عندي، اللّهم كرمني بالتقوى، وجملني بالنعم، وأعمرني بالعافية، وارزقني شكر العافية». (٢)

١- عيون أخبار الرضا ع: ٢٢٧؛ بحار الأنوار ٣٣: ١٧، برقم ١٥.

٢- الوسائل ١٤: كتاب الحج، الباب ٦ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٢.

ص: ٣٨

وروى الكليني - أيضاً - عن ابن فضال قال: رأيت أبا الحسن (الرضا) (ع) وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة فأتى القبر من موضع رأس رسول الله (ص) بعد المغرب فسلم على النبي (ص) ولزق بالقبر، ثم أتى المنبر، وانصرف حتى أتى القبر فقام إلى جانبه يصلي، وألصق منكبه الأيسر بالقبر قريباً من الأسطوانة التي دون الأسطوانة المخلقة التي عند رأس النبي (ص) فصلى ست ركعات - أو ثمان ركعات - في نعليه. (١) وروى الكليني بسنده عن معاوية بن عمارة قال: قال أبو عبد الله (ع): «إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي (ص) فائت المنبر فامسح بيدك وخذ برمانيته، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به فإنه يقال: إنه شفاء للعين، وقم عنده فاحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإن رسول الله (ص) قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة - والترعة هي الباب الصغير - ثم تأتي مقام النبي (ص) فتصلي فيه ما بدا لك». (٢) شبهة القائمين بحرمة التبرك لما وقف القائيل بمنع التبرك على هذه الروايات الهائلة الحاكية عن تبرك الصحابة بآثار النبي (ص)، حاول أن يتخلص من ذلك بالوجهين التاليين:

١- الوسائل ١٤: كتاب الحج، الباب ١٥ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٣.

٢- الوسائل ١٤: كتاب الحج، الباب ٧ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ١.

ص: ٣٩

الأول: التبرك مخصوص بآثار النبي (ص) في حال حياته لا بعد رحيله. (١) ولسائل أن يسأل القائل: هل كان التبرك بآثار النبي (ص) في حال حياته أمراً عبادياً يتقرب به إلى الله سبحانه أو كان عملاً عادياً - لا عبادياً - نظير الأعمال التي يقوم بها الناس حسب فطرتهم؟ فعلى الأول يكون التبرك عندئذ شركاً يعدّ نوع عبادة للغير فلا يجوز للنبي أن يقره فيسكت عنه أو أن يدعمه بدفع العصا وغيرها، كيف وقد وصف سبحانه الشرك بأنه ظلم عظيم؟ قال سبحانه مخاطباً لنبيه: لئن أشركت ليحبطن عملك. (٢) وعلى هذا فلا محيص من ردّ هذا الفرض.

وعلى الثاني أى كون التبرك أمراً عادياً يطلب المتبرك الخير من مورده كما يطلب الخير من سائر الأمور فلا يصح تخصيص الجواز بآثار النبي (ص)، لأن المفروض أنه خارج عن إطار العبادة وداخل تحت الأمور العادية. إن التبرك بآثار الأولياء والعلماء والأخيار أمر فطري للناس، ولذلك تبركت بنو إسرائيل بتابوت موسى، كما تبرك الموحدون بأصحاب الكهف ببناء المسجد على قبورهم والعبادة فيه، وقد مرّ أنّ إمام الحنابلة أحمد

١- التبرك والتوسل والصلح مع العدو الصهيوني: ٤٠، والقائل عبدالعزيز بن باز مفتي السعودية سابقاً.

٢- الزمر: ٦٥.

ص: ٤٠

بن حنبل تبرك بماء غسل فيه قميص الشافعي. (١) وقد جاء في بعض الروايات أن في سؤر المؤمن شفاءً. (٢) ونقل بعض الثقات أنه شارك في ضيافته أقمها الشيخ عبدالعزيز بن باز لجماعه من العلماء وهو منهم ورأى بام عينيه أن أصحاب المفتى في نهاية الأمر تسابقوا إلى سؤر طعامه، أفصح بعد ذلك تخصيص التبرك بآثار النبي؟!!

الثاني: أن التبرك يختص بما مس جسده الشريف. إن التبرك بما مس جسده (ص) من ماء وضوء أو عرق أو شعر، فهذا معروف وجائز عند الصحابة، لما في ذلك من الخير والبركة؛ وهذا قد أقره النبي دون ما لم يمس جسده. (٣) وعلق محقق كتاب الإمام أحمد باسم «العلل ومعرفة الرجال» فقال في الهامش: وأن هذا كان لما كان منبره المذى لامس جسده الشريف، أما الآن فقد تغير، لا يقال بمشروعيته مسه تبركاً به. (٤) يلاحظ عليه أولاً: أن تخصيص التبرك بالآثار مسها جسد النبي المطهر (ص) لا يخلو من وجهين:

١. إن لجسده المطهر تأثيراً في نشوء الخير وزيادة النعمة؛ وهذا الوجه مرفوض بما عليه علماء السنة وبالأخص فقهاء الحنابلة؛ لأنهم

١- مراً سابقاً فراجع.

٢- الوسائل ٢٥: الباب ١٨ من أبواب الأشربة المباحة، الحديث ١.

٣- التبرك والتوسل والصلح مع العدو الصهيوني: ٤٠.

٤- العلل ومعرفة الرجال ٤٩٤: ٢.

ص: ٤١

ينكرون أى مؤثر فى العالم سوى الله تبارك وتعالى وشعارهم فى هذا الموضوع قول القائل:

ومن يقل بالطبع أو بالعلّة فذاك كفر عند أهل الملة

فعلى هذا الأصل فليس لجسده المطهر أى تأثير فى وجود الخير وزيادة النعمة، وإلّا يلزم الاعتقاد بمؤثر سوى الله سبحانه، ولو كان التأثير ظلياً وتابعا لمشيئته سبحانه فإنهم ينفون ذلك كله.

٢. نفى القول بالتأثير لكن تبرك الصحابة كان فى خصوص ما مسّ جسده الشريف لا غير؛ لكن هذا الوجه مردود بنص التاريخ، وذلك:

أولاً: أن فاطمة الزهراء (ها) بنت النبى الأكرم (ص) التى طهرها الله سبحانه فى كتابه وقال: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.** (١)، وأناط سبحانه رضاه وغضبه برضا فاطمة وغضبها فقال النبى (ص):

«فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى». (٢) وفى رواية أخرى، أن غضب الزهراء (ها) ورضاها يوجب غضب الله سبحانه ورضاه، فقال:

«يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». (٣)

١- الأحزاب: ٣٣.

٢- صحيح البخارى ٢١٠: ٤، دار الفكر، بيروت؛ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ٨٤: ٧.

٣- مستدرک الحاکم ١٥٤: ٣؛ مجمع الزوائد ٢٠٣: ٩، وقد استدرك الحاکم فى كتابه الأحاديث الصحيحة حسب شروط البخارى ومسلم ولكن لم يخرجاه، وعلى ذلك فهذا الحديث صحيح عند الشيخين وهو متفق عليه.

ص: ٤٢

إنها (ها) تبركت بتراب قبر أبيها ووضعت شيئاً منه على عينها وقالت:

ماذا على مَنْ شَمَّ تربةَ أحمدَ أَلَّا يشمَّ مدى الزمانِ غواليا

صُبَّتْ عَلَيَّ مصائبٌ لو أَنَّها صُبَّتْ على الأيامِ صِرْنَ لياليا

(١) والتراب الذي أخذته بنت النبي لم يمَسَّ جسد النبي (ص)، إذ لم تأخذه من تراب داخل القبر الذي مسَّ جسده، بل أخذته من تراب ظاهر القبر الذي يوارى به الميت.

وهذا هو مضيّف النبي أبو أيوب الأنصاري حيث جعل خدّه على تراب قبر النبي (ص) متبركاً به أيام كانت الحكومة بيد الأمويين وعلى رأسهم مروان بن الحكم. (٢) وهؤلاء هم صحابة النبي (ص) كانوا يتبرّكون بالصلاة في أماكن صلى فيها النبي، ومن المعلوم أنّ تلك الأماكن لم تكن مسقّفة أو مفروشة بالحُصير والبوارى، بل كانت أراضٍ مكشوفة صلى فيها النبي (ص)، فمن المعلوم أنّ الأمطار والرياح والعواصف تفرّق ترابها إلى نقاط بعيدة وترسل غبار الأماكن الأخرى إليها.

١- المغنى لابن قدامة: ٤١١: ٢.

٢- مرّ سابقاً في مبحث: ٧. التبرك بالقبر الشريف.

ص: ٤٣

إنه سبحانه أمر حجاج بيته الحرام بالصلاة في مقام إبراهيم (ص) فقال: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ. (١) وليس المقام إلا جزءاً من المسجد الحرام، ولكنه سبحانه أمر بالصلاة فيه وما هذا إلا للتبرك به، والمقام الموجود حالياً وحتى الموجود في القرون السابقة لم يكن ممّا مسّه جسد بطل التوحيد.

ومن قرأ تبرك الصحابة بآثار النبي يقف على أن تلك المحاولة ليست إلا لرأى مسبق ودعمًا للمذهب ولم تكن هذه المحاولة وما تقدّمها في خلد أي صحابي يتبرك بآثار النبي (ص).

وثانياً: أن كثيراً من الأعمال التي يمارسها المسلمون في الحرمين الشريفين من تقبيل الضريح والجدران والأبواب وأركان البيت وغير ذلك كله تجسيد منهم لحب الله وحب رسوله الذي أمر سبحانه به في قوله: إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. (٢) وأمر في آية أخرى بتوقير النبي (ص) إلى جانب الإيمان به ونصرته واتباعه وقال: ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (٣) والمراد من التعزير هو تكريمه وتوقيره،

١- البقرة: ١٢٥.

٢- التوبة: ٢٤.

٣- الأعراف: ١٥٧.

ص: ٤٤

وبما أن يد المحبين لاتصل إلى يد النبي (ص) حتى يقبلونها، يقبلون ما له به صلته، وهذه هي العادة السائدة بين العقلاء فيقبل الولد ما ورثه من الآباء من ألبسة وكتب وأقلام وتصاوير، وكأنَّ منطلق الجميع منطلق مجنون ليلي العامرية:

أمر على الديار ديار ليلي أقبّل ذا الجدار ولا الجدارا

وماحبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

(١) وقد عدّ البيهقي محبة النبي من شعب الإيمان. (٢) كما عقد مسلم في صحيحه باباً باسم توقيره (ص) وترك إكثار سؤاله عمّا لا ضرورة إليه. (٣) والعجب أن أتباع ابن تيمية- الذي يعدّ التبرك بآثار النبي (ص) بعد رحيله بدعة- كانوا يتبركون بالماء الذي فضل من غسله، يقول تلميذه ابن كثير في حوادث سنة ٧٢٨هـ: شرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقيه الصدر الذي غُسل به، ودفع في الخيط- الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه (عق ابن تيمية) بسبب القمل- مائة وخمسون درهماً، وقيل: إنَّ الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمس مائة درهماً، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير وتضرع، وختمت له ختمات كثيرة

١- مَرَّ مصدر البيتين سابقاً.

٢- شعب الإيمان ١٢٩: ٢.

٣- صحيح مسلم: كتاب الفضائل، الباب ٣٧.

ص: ٤٥

بالصالحية وبالبلد، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون، ورويت له منامات صالحه ورثاه جماعة بقصائد جمه. (١)

٢. رساله مفتوحة

إلى رئيس مركز البحوث والدراسات في مبره الآل والأصحاب المحترم

قرأنا في جريدة الرأي الكويتية (العدد: ١٠٤٢٨) حواراً مع الشيخ محمد سالم الخضر حول مشروع (مبره الآل والأصحاب) تحت عنوان: «هدفنا تخليص الأمة من الصراع الطائفي».

١- البداية والنهاية ١٤٢: ١٤-١٤٣.

ص: ٤٦

وإليك بعض فقرات هذا الحوار:

١. قال المحاور- جواباً عن سؤال: كيف جاءت فكرة مبرة الآل والأصحاب؟- بزغت الفكرة نتيجة للوضع الطائفي القائم في الأمة الإسلامية والذي استغله أعداء الإسلام أسوأ استغلال، فأردنا أن نقوم بعمل شيء إيجابي حتى نخلص المجتمع من الصراع الطائفي الذي وصل إلى الكويت، وصارت فكرة المبرة مقبولة لدى المعتدلين من الطرفين حيث إنها مسّت الجرح وتعاملت معه بحكمة وأبرزت بعض الحقائق الغائبة عن المنتسبين للطرفين.

٢. وقال: إنَّ حبَّ آل البيت فطري عند جميع المسلمين، وإنَّ المبرة على وشك الانتهاء من كتاب يستوعب شخصية الإمام الحسين من ميلاده ونشأته، وقد أسميناه «قرّة العين في سيرة الإمام الحسين رضى الله عنه» إلى أن يقول: إننا نعيش في فترة حرجة في حياة الأمة تفرض علينا أن نتعقّل في رؤيتنا لمأساة الحسين رضى الله عنه، وأن نقف موقفاً واحداً ضد النداءات الطائفية المستفزة والتي من شأنها أن تخلق جوّاً من التشاحن البغيض بين المسلمين.

٣. وقال: أذكر منها عبارة (يا لثارات الحسين) التي تستحق من خطباء المنابر والقادة السياسيين (سنّة وشيعه) موقفاً موحّداً لما فيها من الاستفزاز الطائفي والتحريض على المسلمين:

فيزيد لم يكن سنياً كما أنّ الحسين لم يكن شيعياً، إذ لم يكن في ذلك الزمان (سنّة وشيعه) بالمعنى العقائدي أصلاً، وترديد عبارة (يا لثارات

ص: ٤٧

الحسين) في زماننا هذا، وقد مات قتله الحسين رضى الله عنه منذ أكثر من ١٣٦٠ سنة يعنى أننا نكرس في أبنائنا، الطائفية، والرغبة في الانتقام من الآخر.

وعلينا أن نتساءل: من مَن يتحمل دم الحسين رضى الله عنه ويستحق أن يُنتقم منه؟

٤. ثم يتطرق المتحدث إلى صيام عاشوراء وأنه ليس فكرة طائفية ولا حتى من خصوصيات طائفة دون أخرى، فإن الذين ينتقدون هذه السنة النبوية يتناسون أن المسألة اتفافية بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة الاثنى عشرية بغض النظر عن اجتهادات وآراء البعض. هذه فقرات أربع اقتطعناها من الحوار الذى أجرى مع رئيس مركز البحوث والدراسات فى المبرة المذكورة.

ولنا معها وقفات، نريد عطف نظر الرئيس المحترم إليها:

الاولى: لا شك أن توحيد الكلمة والابتعاد عن التفرق والتشردم أمر يستحسنه العقل، ويأمر به الشرع، فالله سبحانه مدح الوحدة وذم الفرقة بقوله: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**. (١) فكان الأمة المتفرقة كالمتردى فى البئر، حيث لا تكتب له النجاة إلا بالتمسك بالحبل الموصول إليه، وهكذا الأمة المتفرقة، لا تنجو من عواقب الفرقة إلا بالتمسك بحبل الله سبحانه.

١- آل عمران: ١٠٣.

ص: ٤٨

ونحن إذا أمعنا النظر في هذه الآية: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَ كُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ. (١) نرى أنه سبحانه جعل تفرق الأمة إلى شيع، في عداد العذاب النازل من السماء! فأى بيان أفضل من هذا؟ كما نزه سبحانه نبيه الأكرم (ص) من أن يكون في عداد المفرقين للدين فقال: إِنَّ الَّذِينَ فَزَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. (٢) ويقول الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «والزمو السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة؛ وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب؛ ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه». (٣)

وعلى هذا، فالتقريب بين المسلمين و تخلص الأمة من الصراع الطائفي، هو أمنيته كل مسلم واع ينبض للإسلام ومصالح المسلمين قلبه. ولأجل تحقيق هذه الأمنيته قام في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، رجال مخلصون من الشيعة والسنة بتأسيس دار باسم «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وإصدار مجلة باسم «رسالة الإسلام» وقد نجحوا في أهدافهم نجاحاً باهراً يقف عليه كل من قرأ شيئاً من منشوراتهم، وما قدّموا

١- الأنعام: ٦٥.

٢- الأنعام: ١٥٩.

٣- نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

ص: ٤٩

للأمة من أفكار وآراء وأعمال صادقة تنم عن إخلاصهم وتفانيهم في سبيل التقريب.
هذا ممّا لا- نقاش فيه، ونحن نوافق أصحاب المبرة فيما يدعون إليه من التقريب و الوحدة الإسلامية و تخليص الأمة من الصراع الطائفي.

الثانية: جاء في الفقرة الثانية: إن حب أهل البيت أمر فطري وعطف عليه حب الصحابة وإنه أيضاً فطري، ونحن لا نناقشه في جعل أهل البيت والصحابة في ميزان واحد، مع أنه لا يقاس بآل محمد أحد؛ قال علي (ع) في حقهم: «لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة». (١) كيف يقاس بهم غيرهم مع أنه سبحانه فرض مودتهم على المسلمين عامة، من غير فرق بين الصحابة وغيرهم؟! وقال تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. (٢) كيف يقاس بهم غيرهم وقد أشركهم النبي (ص) في المباهلة دون غيرهم؟! فقال سبحانه: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. (٣)

١- نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٢- الشورى: ٢٣.

٣- آل عمران: ٦١.

ص: ٥٠

وقد اتفق أهل السير والحديث والتفسير على أنه لم يحضر في أرض المباهلة غير النبي وسبطيه وبنته وصهره وأشركهم في المباهلة، وأمرهم بالتأمين بعد دعائه، وترك أزواجه وأقرباءه وعامة الصحابة.

وكم وكم لآل البيت (هم) من فضائل، ومناقب متواترة أو متضافرة أصفق على نقلها أئمة الحديث، وليس لغيرهم ما لهم، وهذا يبعثنا على أن نعطي لكل فئة حقها، ونقيم لهم وزناً خاصاً ولا نبخس الناس أشياءهم.

نحن نمرّ على هذه التسوية مرار الكرام، ولكن نناقشه في أمرين آخرين:

١. إن الكاتب يدعى أن حب آل البيت (هم) أمر فطري، فلازم ذلك أن يرى أثر الحب على مائدة المدّعين: في كتبهم وخطبهم وآرائهم، والدفاع عن محبيهم إلى غير ذلك من مظاهر الحب، ومن أظهر مظاهر الحب هو الطاعة حيث قالوا: «إن المحب لمن أحب مطيع» وقد شاع وذاع: الحب هو الاتباع.

ومع ذلك لا نجد في حياة المدّعين أي أثر من آثار الحب سوى هذه الكلمة وما أشبهها، وقد ملأوا كتبهم بآثار غيرهم، واستشهدوا برواياتهم وآرائهم وفتاواهم، ولم يذكروا عن آل البيت (هم) في الفقه والتفسير والأدب والأخلاق والأصول والفروع إلا شيئاً يسيراً جداً!!!

هذا هو أبو هريرة قد عاش مع النبي (ص) وصحبه أقل من أربع سنين وقد رووا عنه أزيد من خمسة آلاف حديث، في حين عاش على (ع) مع النبي (ص) منذ بعثته إلى رحيله (ص) ولكنهم لم يرووا عنه إلا عشر ما

ص: ٥١

رووا عن أبي هريرة!! فهل هذا ينسجم والتسوية بين الآل والأصحاب في الحب والاتباع؟!
 ٢. أن لازم حب آل البيت (هم) حب من يحبهم ويطيعهم، ويأخذ منهم حلالهم وحرامهم، وفي الوقت نفسه يأخذ عن غيرهم إذا صحَّ الطريق، وهؤلاء هم المعروفون بالشيعة في أقطار العالم، ومنهجهم ودينهم هو العمل بقول الرسول (ص):

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأنهما لا يفترقان حتى يردا على الحوض» (١).

وفي هذا المجال نقول: إن الأبطال المجاهدين في جنوب لبنان هم من الشيعة الإمامية، وقد وقفوا أمام أطماع الصهاينة في الأراضي الإسلامية حتى ردوا السهام إلى نحورهم، فأعمالهم البطولية وتضحياتهم أمر مشكور يقدره كل من له غيره على إسلامه ودينه، ولكن ممّا يثير الدهشة، أنه في الوقت الذي يقاتل فيه هؤلاء المجاهدون الأبطال في لبنان، القوات الصهيونية المعتدية، دفاعاً عن حياض الوطن وعن كرامة الأمة العربية والإسلامية، ويسطرون أروع الملاحم في الثبات والتضحية والفداء، كانت الأصوات المبحوحة لـ «علماء» ودعاة وخطباء تلك الفئة المتطرفة، تدعو الناس إلى عدم تقديم أى شكل من أشكال المساعدة لهم، بل راحوا يفتنون (مأجورين من حكّامهم) بتحريم رفع يدي الضراعة إلى الله عزّوجلّ، والدعاء لأبطال الجهاد والمقاومة بالنصر وتثبيت الأقدام!!

١- حديث متواتر رواه أصحاب الصحاح والمسانيد بأسانيد كثيرة.

ص: ٥٢

فلو أنّ امرءاً حرّاً (مسلماً كان أو غير مسلم) مات أسفاً من هذه المواقف المخزية، ما كان به ملوماً، بل كان جديراً به عند ذوى الضمائر الحيّة.

فأية قلوب مختومة تضمّ صدور هؤلاء، حيث لا يفقهون مصالح المسلمين، بل مصلحة أنفسهم؟! وأيّة غشاوة على أعينهم، إذ لا يبصرون من يدافع بحق عن كيان الأُمّة ومقدّراتها ومقدّساتها؟! وأيّ وقر في آذانهم، يصمّمهم عن سماع صراخ اليتامى والثكالى، وأنين الجرحى والمعدّين والمشردّين من أبناء دينهم وأمتهم؟! وأيّة أنفُس شحيحة ينطوون عليها، حين تدفعهم إلى البخل عليهم بالدعاء، بل يأمرّون الناس فيه بالبخل!!

كيف يتلون الكتاب المجيد، وتلهج ألسنتهم بآياته، وهم يخذلون، ويحضّون على خذلان من يصدّ عدوان أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا، وينعتونهم بكل سوء لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. (١) ومع ذلك يدعون حبّ آل البيت (هم) وتخليص الأُمّة من الصراع الطائفي!!!

الثالثة: تطرّق الشيخ محمد الخضر في كلامه إلى الشعار الذي ترفعه الشيعة وخطباء المنابر - أعنى قولهم: «يا لثارات الحسين» - وسأل عن معنى هذا الشعار ومن الذي يُنتقم منه؟

أقول: إنّ التساؤل عن معنى شعار «يا لثارات الحسين»، وعن الغاية المقصودة منه، وقد بات قتلة الحسين في مزبلة التاريخ، والإيحاء بأنّ المناداة به دعوة للانتقام من أتباع سائر المذاهب الإسلامية، ما هو إلّا تساؤل مريب،

ص: ٥٣

ومحاولة بائسة للطعن على حملة هذا الشعار، وتشويه سمعتهم، وتمزيق وحدة المسلمين.

فالحسين (ع) يمثّل أحد طرفي الصراع المشتعل أواره بين الحق والباطل، والعدل والجور، والاستقامة والانحراف، والصلاح والفساد، والحرية والاستبداد، ومن هنا بقيت قضيته حيّة خالدة، ولم تمت باستشهاده ولن تموت، ولم تنته بموت قاتليه ولن تنتهي، فكلّ سعى، وكلّ تحرّك، وكلّ موقف ينتصر للحق والعدل والاستقامة والحرية والمبادئ السامية، ويخذل الباطل والظلم والانحراف والاستبداد والانتهازية، فهو انتقامٌ لأبي الأحرار الإمام الحسين (ع) وأخذٌ بثأره.

والتاريخ، لم يسجّل في صفحة واحدة من صفحاته الكثيرة، استغلال الشيعة لهذا الشعار استغلالاً سيئاً، باستباحة دم أيّ مسلم من أيّ مذهب كان، على الرغم ممّا تعرّضوا له من ظلم واضطهاد وقتل وسجن وتشريد على أيدي الحكام الجائرين وأشياعهم، وعلى الرغم من امتلاء تاريخهم القديم والحديث بالثورات والانتفاضات والمواقف الجريئة ضد الطغاة المفسدين.

وتزداد الصورة نصاعة أكثر، إذا انضمّ إلى ما تقدّم، وقوفهم إلى صفّ أتباع سائر المذاهب الإسلامية في الدفاع عن الإسلام، والمصالح العليا للمسلمين، بل لهم فضل السبق على غيرهم في مواجهة الأعداء والغزاة المستعمرين، كما حصل مثلاً في حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني الغاشم لمدينة البصرة في عام (١٣٣٣ هـ-)، ودفاعهم عن الخلافة العثمانية على الرغم

ص: ٥٤

مما مارسه العثمانيون ضدهم من قمع وظلم وإقصاء وتهميش، وكما حصل أيضاً في ثورة العشرين العارمة (١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م) ضد القوات البريطانية المحتلة للعراق.

الرابعة: ختم رئيس مركز الدراسات في المبرة كلامه بقوله:

نفخر أن لدينا مشروعاً عملياً للوحدة الإسلامية منطلقاً من صيام عاشوراء وقال: إنه لا بد من إحياء تلك السنة النبوية فإن المسألة اتفافية بين أهل السنة وبين الشيعة الاثني عشرية؛ واستند إلى قول المرجع الديني السيد الخوئي - رضوان الله عليه - أقول: إذا كانت الغاية، تخليص الأمة من الصراع الطائفي وتجسيد الوحدة الإسلامية من خلال صيام عاشوراء، فنعمت الغاية وبثست الوسيلة، وذلك للأمر التالية:

١. أن تسمية صيام ذلك اليوم بالسنة النبوية يعرب عن الخلط بين السنة، والنفل، لأن المطلوب بلا منع من الترك إن كان ممّا واظب عليه النبي (ص) أو الخلفاء الراشدون من بعده فسنة، وإلا فمندوب ونفل. (١) روى البخاري عن عائشة: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله (ص) يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه. (٢)

١- الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة سنة، ٢٦٥: ٢.

٢- صحيح البخاري، كتاب الصوم، رقم الحديث ٢٠٠٢.

ص: ٥٥

وتدل الرواية بوضوح على أنّ الرسول (ص) والصحابه الكرام تركوا صيامه بعد فرض رمضان؛ و مع هذا، كيف يصفه الشيخ بالسنة، ويريد إحياءها وقد تركه صاحب الشريعة وخلفاؤه؟!

والحديث يدلّ على أنّ صيام عاشوراء كان سنّة جاهليّة وقد كان النبي (ص) يصومه قبل قدومه للمدينة.

ويظهر من صحيح البخارى أنّ معاوية بن أبى سفيان بعد ما اغتصب الخلافة، صار بصدد إحياء تلك السنّة الجاهليّة، حيث روى عن محمد بن عبد الرحمن أنّه سمع معاوية بن أبى سفيان يوم عاشوراء عام حج، على المنبر يقول: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله (ص) يقول: هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر. (١) ما هو المراد بعاشوراء فى الحديث النبوى (ص)؟

روى البخارى عن ابن عباس قال: قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بنى اسرائيل من عدوّهم، فصامه موسى؛ قال: فأنا أحقّ بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. (٢)

١- صحيح البخارى، كتاب الصوم، رقم الحديث ٢٠٠١.

٢- صحيح البخارى، حديث ٢٠٠٤.

ص: ٥٦

والحديث يدل على أن صيام يوم عاشوراء من سنن اليهود على خلاف ما دل عليه الحديث السابق من أنها سنة جاهلية عربية، ويمكن الجمع بأن العرب في الجاهلية اتخذتها عن اليهود فصارت سنة لهم.

وعلى أى تقدير سواء أكانت سنة جاهلية أم سنة يهودية، فيوم عاشوراء الذى كان اليهود يصومون فيه وصام فيه النبى (ص) بحجة أنه أحق بموسى منهم، غير اليوم العاشر من محرّم الحرام الذى يتصوّر أن صيامه سنة من سنن النبى (ص).

وذلك لأنّ الحديث يحكى بوضوح أن النبى (ص) أوان قدومه للمدينة، وجد اليهود يصومون فيه، ومن المعلوم أن هجرة النبى (ص) كانت فى النصف الأول من ربيع الأول، فالיום الذى صام فيه النبى (ص)، وأمر بصومه كان فى النصف الأول من شهر ربيع الأول ولا صلة له بعاشر محرّم الحرام، فمن يريد أن يعمل بالحديث فليصم اليوم العاشر الذى يصوم فيه اليهود، لا عاشر محرّم الحرام.

وقد تنبه بعض الفلكيين من المسلمين لذلك الخطأ الرائج على ألسنة العوام، أعنى الفلكى الطائر الصيت أبو ریحان محمد البيرونى (٣٦٢ - ٤٤٠) حيث قال: إن عاشوراء هو عبرانى معرّب يعنى: «عاشور» وهو العاشر من «تشرى» اليهود، الذى صومه صوم «الكبور» وأنه اعتُبر فى شهور العرب، فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو فى اليوم العاشر من أول شهور اليهود، ثم نقل الرواية من أن النبى (ص) لما قدم المدينة ... وقال: وهذه الرواية غير صحيحة؛ لأن الامتحان يشهد عليها وذلك لأن أول المحرم كان

ص: ٥٧

سنة الهجرة يوم الجمعة، السادس عشر من شهر تموز سنة ثلاث وثلاثين وتستعمائه لاسكندر، فإذا حسبنا أول سنة اليهود في تلك السنة كان يوم الأحد، الثاني عشر من أيلول ويوافق اليوم التاسع والعشرون من صفر، ويكون صوم العاشور يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول، وقد كانت هجرة النبي (ص) في النصف الأول من ربيع الأول، إلى أن قال: ... فيكون على ما ذكرنا قدوم النبي المدينة قبل العاشور بيوم واحد وليس يتفق وقوعه في المحرم إلا قبل تلك السنة بضع سنين أو بعدها بتيف وعشرين سنة، فكيف يجوز أن يقال: إن النبي صام عاشوراء لاتفاقه مع العاشور في تلك السنة؟! (١) وبعبارة أكثر وضوحاً: إن السنة العبرية (اليهودية) تبدأ في الخريف، بدلاً من منتصف فصل الشتاء (كما في التقويم الميلادي)، وهي (أي السنة العبرية) تعتمد على القمر، وتتكون من (١٢) شهراً، وهي:

تشرى، مرحشوان، كسلو، طبت، شباط، أدار، نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول.
وتتكون الأشهر من (٣٠) و (٢٩) يوماً بالتبادل. ويضاف في خلال (١٩) عاماً شهر قوامه (٢٩) يوماً سبع مرات بين شهرى (أدار ونيسان)، ويطلق على هذا الشهر اسم (فيادار)، وفي الوقت ذاته يصبح أدار (٣٠) يوماً. (٢)

١- الآثار الباقية، عن القرون الخالية: ٤٢١، تحقيق اذكيائي.

٢- أنظر: الموسوعة العربية العالمية ٨٢: ٧-٨٣، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.

ص: ٥٨

وعلى ضوء ذلك نقول: إذا صحَّ أنه نُدب إلى صيام يوم عاشوراء، وأنَّ ثَمَّةً من يريد صوم ذلك اليوم، فليصم في يوم (العاشور) من شهر (تشرى) الذى يقع دائماً فى فصل الخريف (حسب التقويم العبرى)، لا- أن يصوم فى يوم (عاشوراء) من شهر (محرم الحرام)، الذى يتحرك عبر الفصول، وفقاً للتقويم الهجرى.

وممّا يثير العجب ما نقله ابن حجر عن بعض من حاول تصحيح الحديث وقال: يحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحسب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسبهم اليوم الذى قدم فيه المدينة. (١) ولا أظن أنه يخفى على القارئ وجود التناقض فى كلام القائل، إذ كيف يمكن أن يصادف قدوم النبى (ص) يوم عاشوراء بحسبهم؟ ولذلك قال ابن حجر: إنَّ سياق الأحاديث تدفع هذا التأويل.

وفى الختام نلفت نظر الأساتذة الذين يصرّون على الاحتفال بيوم عاشوراء أنَّ أوّل من احتفل بهذا اليوم الحجاج بن يوسف الثقفى فى أيام عبدالملك بن مروان، يقول المقرئى: إنَّ ملوك بنى أيوب الذين أزالوا الفاطميين عن منصّة الخلافة كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتسبطون فى المطاعم ويصنعون الحلوات ويتخذون الأوانى الجديدة، ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التى سنّها لهم الحجاج فى أيام عبدالملك بن مروان؛ ليرغموا بذلك

ص: ٥٩

آناف شيعه على بن أبى طالب- كرم الله وجهه- الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على، لأنه قتل فيه. (١) وقد لعب الوضاعون الكذابون دوراً عظيماً فى الدعوة إلى إظهار الفرح والسرور فى عاشر محرم، واتخاذة عيداً وإظهار الزينه كالخضاب والاكتحال إلى حد، قام غير واحد من المحققين بتكذيب هذه المراسم.

قال ابن حجر: إن ما أصيب به الحسين (رض) فى يوم عاشوراء إنما هو الشهادة الداله على حظوته و رفعتة ودرجته عند الله، وإحاقه بدرجات أهل بيته الطاهر- إلى أن قال- واما بدع الناصبه المتعصبين على أهل البيت من اظهار غاية الفرح والسرور، واتخاذة عيداً وإظهار الزينه فيه، كالخضاب والاكتحال ولبس جديد الثياب، وتوسيع النفقات، وطبخ الأطمعه والحجوب الخارجة عن العادات، واعتقادهم أن ذلك من السنه والمعتاد، والسنه ترك ذلك كله، فإنه لم يرد فى ذلك شىء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع إليه، وقد سئل بعض أئمة الحديث عن هذه الأمور، فقال: لم يرد فيه حديث صحيح عنه (ص) ولا أحد من أصحابه، ولا استجبه أحد من أئمة المسلمين لا من الأربعة ولا من غيرهم، ولم يرد فى الكتب المعتمده فى ذلك صحيح أو ضعيف (٢)

١- الخطط المقريزية ٤٩٠: ١ المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار.

٢- الصواعق المحرقة: ١٨٣، بتلخيص ولكلامه ذيل يليق بالمطالعه.

ص: ٦٠

٢. أن القول بأن صيام يوم عاشوراء أمر أتفق على جوازه، السنّة والشيعة، أمر لا يوافق الواقع، فإنّ لفقهاء الإمامية فيه آراء سبعة إليك إجمالها:

أ. حرمة صومه إذا كان بنىء التبرك بمصرع الحسين وآل بيت النبي (هم) سواء أثبت صيام عاشوراء عن النبي (ص) أم لم يثبت؟
ب. استحباب الإمساك في هذا اليوم عن الأكل والشرب وبقية المفطرات إلى ما بعد صلاة العصر تأسياً بعطش الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه.

ج. استحباب صومه كاملاً لكن على وجه الحزن فقط، ومعنى ذلك استحبابه بهذا القيد.

د. كراهة صومه من دون نية الحزن، ولعله المشهور.

هـ. .. استحباب صومه من حيث هو.

و. حرمة صومه مطلقاً بأى نية كانت، حزناً أم تبركاً.

ز. الاحتياط - وجوباً - باجتنب صومه مطلقاً بأى نية كانت. (١) ومع ذلك فكيف يصف المتحدث صيام عاشوراء أمراً أصفّق عليه الفريقان؟!

١- لاحظ رياض المسائل ٤٦٧: ٥؛ جواهر الكلام ١٠٥: ١٧؛ الصوم في الشريعة الإسلامية الغراء للكاتب ٣٠٦: ٢ - ٣١٠؛ الرسول المصطفى ص والشعائر الحسينية: ٤٧٥-٤٧٨ وقد أفاض القول في حكم الصيام مما لا مزيد عليه.

ص: ٤١

نعم، قال السيد الخوئي بكونه مندوباً- لكن مندوباً- بالذات، و حراماً بالعرض، وقد اختزل المتحدث كلامه فاكتفى بصدوره وترك ذيله، وإليك ما قاله في ذيل كلامه:

نعم لا إشكال في حرمة صوم هذا اليوم بعنوان التيمّن والتبرك والفرح والسرور كما يفعله أجلاف آل زياد والطغاة من بنى أمية، من غير حاجة إلى ورود نص أبداً، بل هو من أعظم المحرمات، فإنه ينبئ عن خبث فاعله، وخلل في مذهبه ودينه، وهو الذي اشير إليه في بعض النصوص المتقدمة من أن أجره مع ابن مرجانة الذي ليس هو إله النار، ويكون من الأشياع والأتباع الذين هم مورد اللعن في زيارة عاشوراء، وهذا واضح لا ستره عليه، بل هو خارج عن محلّ الكلام كما لا يخفى. (١) ٣. سلّمنا، كون صيامه سنّة يليق أن تُحيا، فلماذا تُحيا بالابتهاج والسرور، أيجوز في منطق العقل، والعاطفة، والابتهاج بيوم سيفك فيه دم إمامهم سبط رسول الله وريحانته، ودماء الأبرار الأتقياء من أهل بيته وأصحابه؟!

أو ليس هذا دليلاً على أن وراء الكواليس شيئاً، وأنّ النيات ليست بصادقة ولا خالصة، وأنّ المبره مصيدة للشيعه أو صدّ عن انتشار التشيع الذي بدأ ينتشر منذ أعوام لقوة منطقته، ووضوح مسالكه؟!

إنّه يجدر بمن تهّمه وحدة خطأ المسلمين، ويدعو إلى جمع كلمتهم وإصلاح واقعهم المأساوي، يجدر به أن يعمل على تجنّب إثارة مسائل الخلاف، والتأكيد على المشتركات- وما أكثرها- لتعزيز روح الثقة، التي هي

١- مستند العروة، كتاب الصوم ٣٠٥: ٢.

ص: ٤٢

مفتاح التآخي والتعاون والتآلف بينهم، وأن تكون نيته صادقة في هذا الاتجاه، لا أن يرفع يافطة الوحدة، ليخفي وراءها، ويخفي معه- كما يظن- أغراضه السقيمة، فيصبح مصداقاً للمثل السائر: سَبَّحَ لِيَسْرُق.

فدعوا هذا الحرص المصطنع على الوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية، فإنَّ إصراركم على استفزاز الآخرين في عقائدهم ومشاعرهم، يكشف عن نياتكم الحقيقية، ويفضح دموع التماسيح التي تذرّفونها أسىً كاذباً على مصالح المسلمين، الذين لم يَعد ينطلي عليهم هذا التمويه والخداع.

الخامسة: نفترض أن صيام يوم عاشوراء سنّة نبوية، ولكن من أصول بعض أهل السنّة وعلى رأسهم ابن تيمية، ترجيح ترك السنّة إذا كان شعاراً للمخالف وله نظائر:

١. تسطيح القبر

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي: السنّة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي. (١) وقال الرافعي: إنَّ النبي (ص) سَطَّحَ قبره ابنه، وعن القاسم بن محمد قال: رأيت قبر النبي (ص) وأبي بكر وعمر مسطّح.

١- اختلاف الأئمة ٨٨: ١، في هامش الميزان، للشعراني.

ص: ٤٣

وقال ابن أبي هريرة: إن الأفضل الآن العدول من التسطيح إلى التسنيم، لأن التسطيح صار شعاراً للروافض، فالأولى مخالفتهم وصيانة الميت وأهله عن الاتهام بالبدعة. (١) ٢. الجهر بالبسملة

روى البيهقي عن أبي هريرة قال: كان رسول الله (ص) يجهر بالصلاة ب- «بسم الله الرحمن الرحيم»، وكان على (ع) يجهر بالتسمية، وقد ثبت بالتواتر وكان على بن أبي طالب (ع) يقول: «يا من ذكره شرف للذاكرين»، ومثل هذا كيف يليق بالعاقل أن يسعى في إخفائه. (٢) ولكن حكى الرافعي عن ابن أبي هريرة أن الجهر بالتسمية إن صار في موضع شعار للروافض، فالمستحب هو الإسرار بها مخالفة لهم. (٣) ٣. ترك المستحبات إذا صارت شعاراً للشيعة

قال ابن تيمية عند بيان التشبه بالروافض: ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم، فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم ولا يتميز السنن من

١- العزيز في شرح الوجيز ٤٥٣: ٢.

٢- مفاتيح الغيب ٢٠٥: ١.

٣- العزيز في شرح الوجيز ٤٥٣: ٢.

ص: ٤٤

الرافضى، ومصالحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم، ومخالفتهم، أعظم من مصلحة هذا المستحب. (١) حكى البرسوى عن كتاب «عقد الدرر والآلى وفضل الشهور والليالى» للشيخ شهاب الدين الشهير بالرسام ما يلى، يقول: ولا ينبغى للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون فى بعض الأفعال، وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً، يعنى لا- يجعل ذلك اليوم يوم عيد أو يوم ماتم، فمن اکتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه وإن كان للاکتحال فى ذلك اليوم أصل صحيح، فإن ترك السنة، سنة إذا كانت شعاراً لأهل البدع كالتختم باليمين فإنه فى الأصل سنة، لكن لما كان شعار أهل البدعة والظلمة، صارت السنة أن يجعل الخاتم فى خنصر اليد اليسرى. (٢) إلى غير ذلك من الموارد التى تركوا فيها السنة لأجل كونها شعاراً للمخالف.

فإذا كان هذا هو الأصل المتبع عند السلف فيليق بالخلف أن يتبع فى كل سنة صارت شعاراً للمخالف، ومن المعلوم- إلى حد علمه الأكمه والأصم- أن صيام عاشوراء صار شعاراً للأمويين بعد مقتل الحسين (ع) وشهادته، ويقول باقر العلوم (ع):... اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد بقتلهم الحسين (ع)... (٣)

١- منهاج السنة ١٤٣: ٢.

٢- روح البيان ١٤٢: ٤.

٣- مصباح المتعجد: ٧٧٥؛ بحار الأنوار ٢٩٥: ٩٨.

ص: ٦٥

فعلى من ينبض قلبه بوحدة الكلمة وتوحيد الأمة أن لا يصوم يوم عاشوراء، لئلا يتشبهه بالأمويين وأذنبهم ومن سار على نهجهم.
هذه رسالتي المفتوحة لرئيس مركز البحوث والدراسات في مبرة الآل والأصحاب عسى أن ينظر إليها بعين الإنصاف والتجرد عن
الرأى المسبق الذى نشأ عليه فى بيئته.
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

مقتطفات من كتاب: الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة «٢»

إعداد وتقديم: محمد علي المقدادي

لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

المقدمة

إنّ من كان له أدنى إلمام بالمعالم الإسلامية، يعلم بأنّ قسماً كبيراً منها يرتبط بالآثار الباقية من رسول الله (ص) وأهل بيته الطيبين (هم) والصالحين؛ ولا شك أنّ الأجيال سواء أكانت المؤمنة أم الأخرى التي تريد الاطلاع والدراسة- التي لم تكن حاضرة في تلك العصور- لا يمكنها التعرّف على هؤلاء القادة السادة إلّا من خلال الاطلاع على آثارهم التي تبين تاريخهم النير، و دورهم الكبير، وعطاءهم المبارك، وتضحياتهم الجسام، حقاً «إنّ آثارهم تدلّ عليهم».

ص: ٦٧

فالآثار خير وسيلة وأنجع طريقة للتعرف على سيرتهم وأخلاقهم، وللتعرف على ما حملوه من قيم ومبادئ، راحت تترك بصماتها على سلوكهم وأخلاقهم، وظلت هذه الآثار تحكى بصدقٍ عظمتهم جهودهم التي بذلوها في سبيل رسالة السماء، وهداية الناس، وانقاذهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الحياة الإيمانية، غير مكنتين بأنفسهم وأهلهم ومن حولهم في عصرهم، بل حتى للذين يأتون بعدهم بما يتركونه من تراث مقروء، أو مسموع، أو مرئي يمكن الاستفادة منه؛ في الاقتداء بهم، والسير على نهجهم القيم، المنبتق من كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص).

فلو علم الإنسان المسلم أن رسول الله (ص) الذي وصفه القرآن الكريم بقوله: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ قد تجسد خلقه هذا، وهو يعيش حياة متواضعة مشحونة بالتواد والتراحم، بعيدة عن الفظاظ والغلظة؛ تتلمسها في دار صغيرة بسيطة اتخذها سكناً، وفي مسجد اتخذته مقراً لعبادته وقيادته للأمة والدولة، وهكذا في كل مواقفه ومواقفه ومنازله وعلاقاته.. فسيأخذ هذا الإنسان المسلم طريقاً صحيحاً مماثلاً لما عليه رسول الله (ص) وأهل بيته (هم) و الصالحون رضوان الله تعالى عليهم لَمَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.. (١) و يقتدى بهم بسبب ما رأى من آثارهم، ويعيش حتماً مثل ما رأى و عرف من كيفية منازلهم، و بساطة عيشهم؛ و بسبب هذا التعرف على آثارهم يصير ذلك الإنسان أنموذجاً حياً في عصره، و إن كان عصره بعيداً عنهم بقرون، فضلاً عما يترتب على زيارة هذه المواقع من بركات وأجر وثواب...

و ليس هذا من منافع التعرف على آثارهم القيمة فحسب، بل ستكون هذه الآثار معلماً واضحاً، وداعياً قوياً، للتعرف على المنهج المبارك

ص: ٦٨

نفسه الذى ساقته السماء والتزم به الصالحون، فيا حبذا لو كانت دار رسول الله (ص) وآثاره المباركة باقية فى عصرنا، لتكون داعية حقيقية إلى الإسلام العزيز الحنيف!!

ولكن يا للمصيبة! فقد ابتلى الإسلام والأمة الإسلامية بفرقة فاسدة حاقدة، بدأوا بتكفير أبناء الأمة الإسلامية، واتهموهم بالشرك والإلحاد! ولم يكتفوا بهذه الاتهامات الكاذبة، بل بدأوا بهدم كل ما تعلق به نفوس المؤمنين من الأماكن الإسلامية، وتخريب الآثار المقدسة التى بقيت من عصر الرسول الأكرم (ص).

إن الذى ارتكبه هؤلاء ضد آثار الرسول (ص) وأهل بيته (هم)، وتكفير المجتمع المسلم وقتلهم الأبرياء، لا يقل بشاعة مما يرتكبه الصهاينة، وهو يلبي ما يأمله أعداء الإسلام ويهدفون إليه من إيجاد الخلافات وإثارة النزعات بين الأمة الواحدة...

إن الأستاذ الدكتور عبدالوهاب إبراهيم، قد بذل جهده فى هذا الكتاب لإثبات قدسية الأماكن الشريفة والمعالم الأثرية فى مكة المكرمة وأهميتها، تلك الآثار التى كانت عامرة منذ قرون وسنين، قبل أن يقوم الوهابيون الجاهلون بهدمها وتخريبها، فحرموا الناس من منافعها وبركاتها.. إنهم لا يسمعون شيئاً ولا يعقلون سوى ما يلبي أهدافهم واعتقادهم الضال!

إن ما قام به الدكتور لجهد واسع نافع، مع أنه كان يعيش فى ظروف صعبة وخطيرة؛ وليس فى هذه المجلة ما يسع كل ما تفضل به الدكتور من مباحث كتابه القيم، فاقطفنا من ثمار هذه الروضة الجليدة بحثاً يستفيد منها القراء الكرام؛ وهذا هو القسم الثانى من الكتاب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، إنه سميع قريب مجيب.

ص: ٦٩

مقدمه المؤلف

إن الأماكن التاريخية ذاكرة الأمم الحية، والشاهد القائم الذي لا يكذب، والدليل الناطق الباقي إذا اندثرت الأجيال. مكة المكرمة مهد الإسلام، ومبعث النور، ومنطلق خاتمة الرسالات، شرفت بولادة المصطفى (ص)، واحتضنت كبار صحابته الكرام على أرضها المباركة، شهدت عرساتها و مراتبها ملحمة الصراع بين الحق والباطل، و زكت تربتها بالدماء الزكية، دماء الشهداء. في كل شعب منها وزاوية وبقعة أثر خالد، ومنار مضيء يحكي قصصاً من جهادهم، و أمثلة من كفاحهم، تظل وقائعه حية في نفوس الأجيال المسلمة سماعاً، ومشاهدة، تكتحل بها نواظرهم، و تردد على أسماعهم مآثرهم، ترسخ بها معاني الإيمان، تتقوى بها عزائمهم، وتتجدد بها هممهم؛ لنشر العقيدة السليمة، والمبادئ، والقيم الصحيحة، يستنطقون من خلال السيرة والمسيرة والآثار القائمة أمجاد التاريخ الإسلامي في مراحل المبكرة؛ ليعث حياً في النفوس.

مكة المكرمة قد ضمت العديد الكثير من تلك الأماكن التاريخية المهمة في تاريخ الإسلام، حظيت بعناية المسلمين واهتمامهم منذ العصور الإسلامية المبكرة تأليفاً وتدويناً، توثيقاً، ورواية متواترة، علمياً ومحلياً، فهي سجل حافل، في صفحات موثقة، يتوارث معرفتها الخلف عن السلف في تسلسل تاريخي منتظم، منذ ظهور الرسالة المحمدية، حتى الوقت الحاضر، حرص السلف الصالح: محدثون، وفقهاء، ومؤرخون، و أدباء منذ

ص: ٧٠

القرن الأول الهجري على ترسيم تلك الأماكن، وتوقيعها، وتحديدتها تخليداً للحدث، مرتبطاً بمشاهدة المكان، فللمكان إحياءاته وإشعاعاته، بقيت تراثاً خالداً باقياً عبر الأجيال المتعاقبة في أمانة وصدق، دون أن تمس بسوء.

إنّ هذا البحث يواصل تلك المسيرة التي ابتدأها سلفنا الصالح في صياغة تحليلية جديدة، فهو امتداد لتلك الجهود، خصوصاً وأنّ الكثير منها قد اختفى عن الأنظار؛ لغرض توسعة المسجد الحرام، وإعادة تخطيط المدينة المقدسة، مكة المكرمة بحسب ما جد فيها من طرق، وتزايد عدد السكان، وأعداد الحجاج الذين بلغ إحصاؤهم إلى ما يزيد على المليونين، والمستقبل ينبئ بزيادات مضاعفة في السكان، والحجاج والمعتمرين.

أدى هذا وغيره إلى غياب بعض تلك الأماكن من الوجود، وحتى تظل تلك الشواهد التاريخية التي عاصرت أفضل الخلق، وأعظم أجيال الإسلام محفورة في الذاكرة- وحتى لا يصبح تاريخنا و ماضيها أسطورة مثل ما حدث لبعض الأمم السابقة- يأتي هذا البحث لرصدها، وما طرأ عليها، استمراراً للتسلسل التاريخي لجزء من أهم خصائص المدرسة التاريخية المكية.

ظهرت العناية بهذه الأماكن المأثورة في مكة المكرمة عبر القرون الماضية توثيقاً في مدونات متعددة كثيرة، ومن لدن جهات علمية متنوعة.

في مدونات السيرة النبوية والمدونات التاريخية، والدراسات الفقهية، يسند هذا التدوين العلمي تواتر محلي تتوارثه الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة، حرصاً ألا- يطويها النسيان، فللمكان إحياءاته وإشعاعاته الإيمانية، واستذكار الذين أدوا دوراً مهماً في نشر الإسلام.

ص: ٧١

بهذا المفهوم التربوي الراقى، البعيد عن الغلوّ والمجافاة، استحوذ هذا الموضوع على اهتمام علماء الإسلام: محدثين، وفقهاء، ومؤرخين من عصر التابعين حتى العصر الحاضر، فقاموا برصد تلك الأماكن التاريخية تحديداً، وتعييناً، و تاريخاً لما حدث عليها من إحدائات، يدعمهم النقل المتواتر بين الأجيال، بالسماع والمشاهدة، جيلاً بعد جيل، فى حرص وأمانة علمية شديدة، تجلى هذا الاهتمام فى الآتى: أولاً: مدونات السيرة النبوية.

ثانياً: سير الصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثاً: المصادر التاريخية العامة، والأخرى المتخصصة فى التاريخ المكى.

رابعاً: كتب المناسك ومدوناتها المطولة والمختصرة، فقد أصبح ذكر هذه الأماكن موضوعاً ثابتاً، وباباً مهماً مستقلاً فى معظم كتب المناسك تحت عناوين مختلفة، قل أن يخلو منها كتاب من تلك الكتب، بل إن بعض العلماء أفردوا بكتابات مستقلة، ورسائل مفردة زيادة فى العناية والاهتمام.

يقتصر العرض لمختارات من المدونات السابقة تفصيلاً إن شاء الله تعالى، توثيقاً صريحاً للتواتر العلمى.

واجب الأمانة العلمية والتاريخية يقضى ذكر العناوين التى يضعها المؤلفون فى تقديمها وعرضها، فإن لكل عنوان مدلوله عند المؤلف، وسيكون من مهمة البحث تحليل تلك العناوين تحليلاً علمياً متجرداً.

ص: ٧٢

الواجب العلمي يقضى إنصاف كل ذى رأى فى هذا الموضوع بأدلته، وبالفهم الذى يفهمه، دون تحيز، أو افتئات، فمن ثم اقتضت الدراسة تقسيم البحث إلى الفصول الآتية ...

أودّ أن أنبه القارئ الكريم إلى أمرين ينبغى أن يكونا فى الحسبان:

أولاً: مهمة البحث أصالة هو العرض المتجرد بما يمليه المنهج العلمى، خصوصاً فيما يتصل بالآراء الفقهيّة، فليس المجال مجال سجال، أو جدال، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلّا صاحب الرسالة سيدنا محمد (ص)، وللقارئ أن يرجح ما يشاء، دون غمط، أو تقليل، أو نبذ للآخرين، فهذا ليس من خلق الإسلام.

ثانياً: جاء الاقتباس من مصادر متعددة متنوعه لقرون مختلفة، فبرغم تكرار أسماء المواضيع، لكن يختلف المؤلفون فى أسلوب العرض، وذكر معلومات إضافية عن الموضوع بما حدث له من عمار، أو خراب له فى عصره، كذلك ليتم الاقتناع بالتواتر العلمى فى كل مجموعة من تلك الكتب المنتسبة إلى فنونها على انفرادها، وفق عصور مختلفة، وبجميعها مجتمعة، بالإضافة إلى التواتر المحلى فى تعيين هذه الأمكنة، وتحديدتها، وتوارث مواقعها جيلاً بعد جيل، يتجلى هذا من وصف بعض الأمكنة فى ثنايا كتابات بعض المؤلفين، مثل الحديث عن مكان مولد النبى (ص): «وهو من أصح الآثار عند أهل مكة، يحقق ذلك مشايخهم»، وبهذا يتحقق المعنى الاصطلاحى بين علماء الإسلام لمدلول (التواتر) وهو:

ص: ٧٣

«الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب».(١) تم العرض على هذا الأسلوب من أجل قطع الشك باليقين، وحتى لا يسقط القارئ المتأمل في دائرة الإنكار التي لا تستند إلى دليل، والذي يروج له البعض من دون علم ومعرفة بالمواقع والأنحاء في مكة المكرمة، ولأمر ما يشككون فيما جرى عليه التواتر العلمي والمحلي فيما لا شك فيه منذ القرون الإسلامية الأولى، دون علم أو سند؛ سامحهم الله.

على أنه ينبغي أن يكون القارئ الكريم على وعى تام للفرق بين أمرين مختلفين حكماً:

أولاً: المحافظة على هذه الأماكن من يد العابثين، فهي أمانة الماضي، وأمانة تاريخية ينبغي أن تبقى دروساً حية، ناطقة للأجيال القادمة، ينظرون إلى تاريخ الرسالة المحمدية من خلالها.

ثانياً: الممارسات المخالفة للعقيدة الصحيحة بأبها العقل، وترفضها العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهذا ما ستم مناقشته والحديث عنه بشكل تفصيلي. والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان - مكة المكرمة

١- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، الطبعة الأولى: ٧٤، بيروت: لبنان، عام ١٩٦٩ م، التواتر.

ص: ٧٤

... ثانياً: المنظوم:

المنظومات الشعرية للأماكن المتواترة المأثورة:

تنوع اهتمام العلماء من فقهاء و مؤرخين وغيرهم بالأماكن المأثورة المتواترة بمكة المكرمة، فرصدوها نظماً في مدوناتهم الفقهية، أو خصوصاً بمؤلفات مستقلة.

من هؤلاء الذين ضمنوها في مؤلفاتهم الفقهية:

١. العلامة الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد المرادي المعروف بالنجاس، أو ابن النجاس (٢٦٠ - ٣٣٨ هـ / ٨٧٣ - ٩٤٩ م) في كتابه (المناسك).

٢. العلامة الشيخ عبدالملك بن جمال الدين العصامي (٩٧٨ - ١٠٣٧ هـ / ١٥٧٠ - ١٦٢٧ م):

نظم الأماكن المأثورة في مكة المكرمة على وفق ما قال الحسن "البصري"، "لكن قيد كل موضع بزمن تبعاً للنقاش المفسر، فقال:

«قد ذكر النقاش في المناسك وهو لعمرى عمدة المناسك»

«أن الدعاء بخمسة و عشره في مكـ — ة يقبل ممن ذكره»

ثم عرضها جميعاً في خمسة عشر موضعاً، (١) ثم شرحها العلامة الشيخ إدريس الشماع الشافعي بعنوان (الإنبأ في أماكن الإجابة).

١- النووي، أبو زكريا يحيى، الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، الطبعة الأولى، القاهرة: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، عام ١٣٤٩

هـ / ١٩٣١ م، ٣٨٥: ٤.

ص: ٧٥

٣. العلامة الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي المكي (ت ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م)، قال:
«وقد كنت نظمتها، وزدت عليها مواضع أخرى، فقلت:
أحمد لله و صلى الله على نبيه الذي اجتباه و للقصر
محمد و الآل و الصحابة و هذه مواضع الإجابة
وذلك الحجر الطواف و الصفا و المروة المسعى لدى من عرفا
ملتزم و المستجار و منى و عرفات ثم جمع فاتقنا
كذا لدى الثلاث من جمرات و زمزم أتى عن الثقات
خلف المقام و بوسط الكعبة و غير ذا مواضع بمكة
مثل حرا و مسجد التنعيم و المختبي و مولد الكريم
و مهبط الوحي و عند المتكا و غار ثور فادع تعطى سؤلكا
و غيرها مواضع مأثورة و هي لدى أربابها مشهورة.»

(١)

١- النووى، الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ٣٨٥: ٤.

ص: ٧٦

الفصل الثالث

الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة في المدونات الفقهية

المبحث الأول:

المتواتر من الأماكن المأثورة في مكة المكرمة في كتب (المناسك):

اهتمت كتب المناسك عموماً، ومؤلفات الفقهاء المكيين خصوصاً بذكر الأماكن المأثورة في مكة المكرمة مما له علاقة بالرسول (ص) مباشرة، أو بحدث من الأحداث الإسلامية المهمة، أو ذى علاقة بأحد من أصحاب رسول الله (ص) مما نقل بالتواتر من الصدر الأول للإسلام، واستمر نقله ومعرفته حتى العصر الحاضر.

وضع الفقهاء لهذه الأماكن التاريخية المأثورة في مكة المكرمة آليه علمية لفحصها وإثبات صحتها، وذلك بتحديد مواضعها، ومقاساتها بأدوات القياس لديهم ذرعاً، وضعوا لها عناوين مختلفه مناسبة يبدو واضحاً عليها الصنعة الفقهية بذكر الأحكام الشرعية المناسبة لها، والآداب التي ينبغي للزائر أن يلتزمها عند حضوره عندها.

من الصعب استقصاء هذه الكتب، ولكن يتم اختيار مجموعة من الكتب لمؤلفين، لهم شهرتهم في الوسط العلمي، ينتج من سرد بعضها الاقتناع بالتواتر العلمي الفقهى، من هذه المدونات:

ص: ٧٧

أولاً- كتاب (مثير الغرام الساكن على أشرف الأماكن) تأليف: الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م): (١)

ورد ذكرها لديه تحت عنوان:

(باب ذكر أماكن بمكة يستحب فيها الصلاة والدعاء)، وهي ثمانية عشر موضعاً:

المكان الأول- البيت الذي ولد فيه رسول الله (ص) وكان عقيل بن أبي طالب قد أخذه حين هاجر رسول الله (ص)، فلم يزل بيده وولده حتى باعوه من محمد بن يوسف أخى الحجاج، فأدخله فى داره التى يقال لها (البيضاء)، وتعرف اليوم بدار ابن يوسف، فلم يزل ذلك البيت فى الدار حتى حجت الخيزران جارية المهدي، فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذى يقال له: زقاق المولد.

المكان الثانى- منزل خديجة (ها)، وهو البيت الذى كان يسكنه رسول الله (ص)، وفيه توفيت خديجة (ها)، ولم يزل النبى (ص) مقيماً به حتى هاجر، فأخذه عقيل، ثم اشتراه منه معاوية وهو خليفة، فجعله مسجداً يصلى فيه، وبناه، وفتح فيه معاوية باباً من دار أبى سفيان، وهى الدار التى قال فيها رسول الله (ص) يوم الفتح: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

المكان الثالث- مسجد دار الأرقم بن أبى الأرقم، وهى التى يقال لها دار الخيزران، كان النبى (ص) فيه مستتراً فى بداية الإسلام.

١- الطبعة الأولى، قدم له وحققه وفهرسه مصطفى محمد حسين الذهبى، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

ص: ٧٨

المكان الرابع - مسجد بأعلى مكة عند الردم، عند بئر جبير بن مطعم يقال: إن النبي (ص) صلى فيه.
المكان الخامس - مسجد بأعلى مكة يقال له مسجد الجن، وهو، فيما يقال: موضع الخط الذي خطه لابن مسعود ليلتئذ، ويقال له مسجد البيعة، فيقال: إن الجن بايعوا رسول الله (ص) هنالك.
المكان السادس - مسجد بأعلى مكة أيضاً، يقال له مسجد الشجرة، يقابل مسجد الجن، يقال: إن النبي (ص) دعا شجرة كانت في موضع المسجد فأقبلت تخط الأرض، حتى وقفت بين يديه، ثم أمرها فرجعت.
المكان السابع - مسجد تسميه أهل مكة مسجد عبدالصمد بن علي، لأنه بناه.
المكان الثامن - مسجد عن يمين الموقف، يقال له مسجد إبراهيم وهو غير مسجد عرفه الذي يصلى فيه الإمام.
المكان التاسع - مسجد بمنى يقال له: مسجد الكبش؛ لأن الكبش الذي فدى به إبراهيم ولده نزل هنالك.
المكان العاشر - مسجد بأجياد، وفيه موضع يقال له: المتكا، يقال: إن النبي (ص) اتكا هنالك.
المكان الحادي عشر - مسجد على جبل أبي قبيس، يقال له مسجد إبراهيم، وبعضهم يقول: هو مسجد لرجل يقال له إبراهيم، وليس بالخليل.
المكان الثاني عشر - مسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم، يقال: إن النبي (ص) بايع الناس عنده يوم الفتح.

ص: ٧٩

المكان الثالث عشر- مسجد العقبة، حيث بايع الأنصار.

المكان الرابع عشر- مسجد بنى طوى، وكان النبي (ص) ينزل هنالك حين يعتمر، وحين يحج تحت سمره في موضع المسجد وبنته زبيده بأرج.

المكان الخامس عشر- مسجد الجعرانه، حيث أحرم النبي (ص) بعمرة.

المكان السادس عشر- مسجد التنعيم، قال رسول الله (ص) لعبدالرحمن ابن أبي بكر: «عمر أختك من التنعيم فإذا أهبطت بها الأكمة، فمرها، فلتحرم».

المكان السابع عشر- مسجد في جبل حراء فإن النبي (ص) كان يتعبد فيه.

المكان الثامن عشر- مسجد في جبل ثور، وهو الذي اختفى فيه رسول الله (ص)، وأبو بكر». (١)

١- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن،: ٣٤٤.

ص: ٨٠

ثانياً- كتاب (البحر العميق في مناسك العمرة والحج إلى البيت العتيق)، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء القرشي (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م). (١)

ورد ذكر هذه الأماكن تحت عنوان (فصل في ذكر الأماكن المباركة بمكة المشرفة، وحرمة وقربها التي يستحب زيارتها، والصلاة والدعاء فيها رجاء بركتها)؛ بعد هذا التعريف بهذه الأماكن يقول:

«وهذه الأماكن مساجد ودور، وجبال، ومقابر، والمساجد أكثر من غيرها، إلا أن بعض المساجد اشتهر باسم (المولد)، وبعضها باسم الدار...».

ثم عرض كل ذلك بالتفصيل إلى أن قال: «و أما المواضع المباركة بمكة المعروفة بالموالد، فاعلم أن هذه المواضع مساجد، لكنها مشهورة عند الناس ... بالمواليد، فأفردت عن المساجد بالذكر لهذا المعنى، منها:

الموضع الذي يقال له مولد النبي (ص)، وهو عند أهل مكة مشهورة في الموضع المعروف بسوق الليل، قال الأزرقى: البيت الذي ولد فيه رسول الله (ص) هو في دار محمد بن يوسف، كان عقيل بن أبي طالب أخذه حين هاجر النبي (ص)، وفيه وفي غيره يقول النبي (ص) عام حجة الوداع: «وهل ترك لنا عقيل من ظل؟»، فلم يزل بيده ويبيد ولده حتى باعه ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج، فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء، ثم تعرف بدار ابن يوسف، فلم يزل ذلك البيت في الدار حتى حجت الخيزران أم

١- الطبعة الأولى، تحقيق عبدالله نذير أحمد عبدالرحمن مزى، مكة المكرمة: المكتبة المكية ومؤسسة الريان، عام ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

ص: ٨١

الخليفتين موسى الهادي، وهارون الرشيد، فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من الدار، وأشرعته في الزقاق الذي على أصل تلك الدار، ويقال له: زقاق المولد، قال الأزرقى: سمعت جدي، ويوسف بن محمد يشتان أمر المولد، وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة...».

ثم تكلم عن الدور المباركة بمكة، قائلاً:

«فاعلم أن بمكة دوراً مباركة معروفة عند الناس غالبها مساجد، ولكنها اشتهرت بالدور عند أهل مكة، فلذلك أفردناها بالذكر عن المساجد، منها: دار أم المؤمنين خديجة (ها)، بالزقاق المعروف زقاق الحجر، ويقال له قديماً زقاق العطارين، كما ذكره الأزرقى، ويقال لهذه الدار مولد فاطمة (ها)؛ لأنَّ فيها ولدت، قال الأزرقى: كان يسكنها رسول الله (ص)، وفيه ابنتى بخديجة، وولدت فيها أولادها جميعاً، وفيها توفيت، فلم يزل النبي (ص) ساكناً حتى خرج إلى المدينة مهاجراً...» (١).

ثالثاً- كتاب (لباب المناسك وعباب المسالك): تأليف العلامة الفقيه المحدث الشيخ رحمه الله السندی، ثم المكي (٩٣٠-٩٩٣هـ-)

١٥٢٣-١٥٨٥ م). (٢).

ذكر هذه الأماكن تحت عدة عناوين:

١- البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق، ٢٦٢٣: ٥.

٢- الطبعة الثالثة، تحقيق عبدالرحيم بن محمد أبوبكر بيروت: دار قرطبة، عام ١٤٢١هـ-.

ص: ٨٢

(فصل في أماكن الإجابة)، و (فصل في المواضع التي صلى فيها رسول الله (ص) بالمسجد الحرام)، وأخيراً (فصل: في زيارة المواضع المشهورة بالفضل)، ثم عرض بعد هذا قوله: «يستحب زيارة بيت خديجة (ها)، وقيل: هو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام، ومولد النبي (ص)، ودار أبي بكر، ومولد علي، ودار أرقم، وغار جبل ثور، وغار جبل حراء، ومسجد الرائية، ومسجد الجن، ومسجد الشجرة مقابله». (١) هكذا تواترت كتب المناسك في عرض هذا الموضوع.

رابعاً- كتاب (إرشاد السالك إلى أفعال المناسك) للعلامة الفقيه برهان الدين إبراهيم بن فرحون المدني المالكي (ت ٧٩٩هـ - / ١٣٩٦ م): (٢)

ذكر هذه الأماكن تحت العنوان التالي:

(الباب العشرون: في ذكر آثار شريفه بمكة ينبغي أن تقصد للتبرك بها).

«واعلم أن بمكة آثاراً ينبغي للحاج أن يقصدها ويدعو الله فيها:

الموضع الأول- البيت الذي ولد فيه رسول الله (ص)، وهو في زقاق معروف يقال له زقاق المولد.

الموضع الثاني- منزل السيدة خديجة (ها)، وفيه ولدت أولادها منه (ص)، وفيه توفيت خديجة، و لم يزل النبي (ص) مقيماً به إلى أن هاجر، وكان

١- لباب المناسك وعباب المناسك،: ٢٩٤-٢٩٧.

٢- الطبعة الأولى، دراسة وتحقيق محمد بن الهادي أبوالأجفان، تونس: بيت الحكمة، عام ١٩٨٩ م.

ص: ٨٣

معاوية اشتراه فجعله مسجداً يصلى فيه، وفتح معاوية فيه باباً من دار أبي سفيان، وهى الدار التى قال فيها رسول الله (ص) يوم الفتح: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

الموضع الثالث- مسجد فى دار الأرقم التى على الصفا، ويقال لها: «دار الخيزران، فكان له (ص) تردد، وإقامة...» (١). ثم يستمر المؤلف فى تعداد ماتبقى من هذه الأمكنة ...

خامساً- كتاب (الإيضاح فى مناسك الحج والعمرة)، تأليف الإمام يحيى بن شرف النووى، (٦٣١-٦٧١ هـ/ ١٢٣٣-١٢٧٢ م). (٢).

فقد عقد الباب الخامس فى كتابه بعنوان (فى المقام بمكة وطواف الوداع وفيه مسائل)، منها:

«المسألة الرابعة عشرة: يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل فى مكة والحرم، وقد قيل: إنها ثمانية عشر موضعاً منها: البيت الذى

ولد فيه رسول الله (ص)، وهو اليوم مسجد فى زقاق يقال له زقاق المولد، وذكر الأزرقى أنه لا خلاف فيه.

ومنها: بيت خديجة (ها)، وفيه ولدت أولادها من رسول الله (ص) وفيه توفيت خديجة (ها)، و لم يزل رسول الله (ص) مقيماً به حتى

هاجر، قال

١- إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، ٥٤٥: ٢.

٢- حاشية العلامة ابن حجر الهيتمى على شرح الإيضاح فى مناسك الحج المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ت. د..

ص: ٨٤

الأزرقى: ثم اشتراه معاوية وهو خليفه من عقيل ابن أبى طالب فجعله مسجداً. ومنها: مسجد دار الأرقم وهى التى يقال لها دار الخيزران، كان النبى (ص) مستتراً فيه فى أول الإسلام، قال الأزرقى: هو عند الصفا، وفيه أسلم عمر بن الخطاب...» (١). كتاب (القرى لقاصد أم القرى)، تأليف الحافظ أبى العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبى بكر محب الدين الطبرى المكى، (٦١٥-٦٩٤ هـ-١٢١٨-١٢٩٤ م). (٢)

يعد هذا الكتاب من أعظم كتب المناسك، وأجلها، وأكبرها، وأمثلها منهجاً وطريقة، يصفه محققه مصطفى السقا بقوله: «إنه أجمع كتاب فى موضوعه، وحسبه أنه يشتمل على جميع ماورد فى الحج من الآيات القرآنية، والنصوص الحديثية من كتب الصحاح الستة: البخارى، ومسلم، والموطأ، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، ومن غيرها من كتب المسانيد، والسنن، التتقط أصح ما فيها ... إلى غيرها من كتب المناسك والسنن...» (٣).

عرض فى هذا الكتاب للأماكن التاريخية تحت عنوان (ما جاء فى ذكر أماكن بمكة وحواليها يستحب زيارتها والصلاة والدعاء فيها رجاء

١- حاشية العلامة ابن حجر الهيتمى على شرح الإيضاح فى مناسك الحج: ٤٤٤.

٢- الطبعة الثانية، عارضه بمخطوطات مكة المكرمة والقاهرة مصطفى السقا، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

٣- المصدر السابق: ٩.

ص: ٨٥

بركتها) يقول في بدايته: «وهي ثمانية عشر موضعاً» نأتى هنا على عناوينها حسب ترتيبه:

الأول- الموضع الذى ولد فيه رسول الله (ص).

الثانى- دار خزيمه، كان مسكن رسول الله (ص)، وولدت فيه خديجه أولادها من رسول الله (ص)، وفيه توفيت، ولم يزل النبي (ص) مقيماً فيه حتى هاجر، فأخذه عقيل، ثم اشتراه معاوية بن أبى سفيان وهو خليفه، فجعله مسجداً يصلى فيه.

الثالث- مسجد الأرقم بن أبى الأرقم التى عند الصفا.

الرابع- مسجد بأعلى مكة عند أول الردم، وعند بئر جبير بن مطعم.

الخامس- مسجد بأعلى مكة أيضاً يقال له مسجد الجن.

السادس- مسجد بأعلى مكة يقال له مسجد الشجرة.

السابع- مسجد بأعلى مكة أيضاً عند سوق الغنم.

الثامن- مسجد بأجباد.

التاسع- مسجد على جبل أبى قبيس يقال له مسجد إبراهيم.

العاشر- مسجد بذى طوى.

الحادى عشر- مسجد العقبة، حيث بايع الرسول (ص) الأنصار.

الثانى عشر- مسجد الجعرانه، أكرم الرسول (ص) من هنالك بعمره.

الثالث عشر- مسجد التنعيم، حيث أمر الرسول (ص) عبدالرحمن أن يعمر عائشه منه.

الرابع عشر- مسجد الكبش بمنى، فدى إسماعيل، أو إسحاق بكبش هنالك.

ص: ٨٦

الخامس عشر- مسجد عن يمين الموقف وهو غير المسجد الذي يصلى فيه الإمام بعرفة.
السادس عشر- مسجد الخيف.

السابع عشر- مسجد بقرب مسجد الخيف من يمانيه يعرف بمسجد المرسلات، فيه نزل على النبي (ص) سورة المرسلات.

الثامن عشر- غار جبل حراء، كان النبي (ص) يتعبد فيه.

التاسع عشر- غار جبل ثور، اختفى فيه النبي (ص) و أبوبكر. (١) سابعاً- كتاب (هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك)، تأليف الإمام عز الدين بن جماعة الكنانى (٦٩٤-٧٦٧هـ / ١٢٩٤-١٣٦٥ م). (٢)

خص الباب العاشر بهذا الموضوع بعنوان: (فى دخول مكة المعظمة وفى الطواف والسعى، وما يتعلق بذلك) وقد جاء فيه:

«واستحب- كما قال بعض الشافعية- زيارة المواضع المشهورة بالفضل، كالموضع المعروف بمولد سيدنا رسول الله (ص)، وكالموضع المعروف بيت خديجة ... وكالمسجد الذى فى دار الخيزران عند الصفا...». (٣)

١- القرى لقاصد أم القرى: ٦٦٤؛ يلاحظ أن المؤلف ذكر فى البداية أن هذه الأماكن ثمانية عشر موضعاً، فى حين أن تعدادها فى العرض وصل إلى تسعة عشر موضعاً.

٢- الطبعة الأولى، تحقيق نورالدين عتر، بيروت: دار البشائر الإسلامية، عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

٣- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك ٩٥٥: ٢.

ص: ٨٧

ثامناً- كتاب (فتح الفتح شرح الإيضاح)، تأليف محمد علي بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م). (١)

جاء في (فتح الفتح) قوله: «المواضع المشهورة بالفضل، بمعنى الفضيلة في الذات، ولكثير الثواب في مكة، والحرم، وخارجها كمسجد المبايعه عند جمره عقبه منى، وقد قيل إنها ثمانية عشر موضعاً، عبر الطبري بتسعة عشر بالفقيه، وعد ما ذكر المصنف.

منها: البيت الذي ولد فيه رسول الله (ص)، وهو اليوم مسجد، وذكر الطبري أن الذي جعل المولد النبوي مسجداً، الخيزران سريه المهدي، لما حجت، وأنه كان بيد عقيل وورثته، إلى أن اشتراه أخو الحجاج فأدخله في داره في زقاق يقال له زقاق المولد.

وذكر الأزرقى: أنه لاختلاف فيه، فيؤخذ منه رد ما قيل: إنه بالدار التي بالصفاء، أو بالردم، أو بمنى، أو بعسفان، كما بينه في كتاب طيب المورد في تاريخ محل المولد، أو أنه لضعفه نزل منزله العدم». (٢) وكذلك في كتاب (الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية)، خص المواضع التي صلى فيها رسول الله (ص) حول الكعبة بنظم مستقل. (٣)

١- فتح الفتح في شرح الإيضاح للنووي مكة المكرمة: مكتبة الحرم الشريف، فقه شافعي، رقم ٤٤، مصور عن مخطوط.

٢- ابن علان الصديقي، محمد علي، فتح الفتح في شرح الإيضاح للنووي: ٤١٩-٤٢٠.

٣- ٤ : ٣٩٥-٣٨٥.

ص: ٨٨

وغيرها من كتب الفقه والمناسك التي أعطت أهمية خاصة لذكر هذه الأماكن، وتحديدها وبخاصة مؤلفات الفقهاء المكيين ما ذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

المبحث الثاني:

التحليل العلمي للعناوين الفقهية في كتابات الفقهاء، للأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة:

معظم المدونين للتاريخ المكي هم من الفقهاء والمحدثين المكيين، حرصوا فيه على تخصيص فصل مستقل للأماكن التاريخية المأثورة، وبيان الثابت الصحيح منها، في دقة كاملة، وحرص شديد على بيان الصحيح نسبته إلى النبي (ص) وبيان غير الصحيح، يتجلى هذا بداية في عناوين كتاباتهم أولاً، وثانياً تسجيل وقوفهم عليها، واختبار صحتها، هؤلاء الفقهاء، القضاة، المحدثون لاتخذهم مقالات العامة، ولا ينساقون مع الشائع، والدائع، وقد دون معظمهم المنهج العملي لاختبار الصحيح منها، والزائف في كتابات تاريخية موثقة في مدوناتهم التاريخية والفقهية، رائدهم في ذلك إثبات ماتصح نسبته إلى النبي (ص) وتأكيده، فإن الكاذب على النبي (ص) يتبوأ مقعده من النار، كماورد الحديث بهذا، فليس الكذب على النبي (ص) كالكذب على أحد من أمته، وإن كان الكذب مذموماً في جميع الأحوال.

يقدم البحث تحليلاً لبعض مقالاتهم لبيان وجهة نظرهم، ونبذة مختصرة من سيرهم في نهاية البحث، حتى يعرف القارئ مكانتهم العلمية فيزداد ثقة بما يقولونه، وألا يحمله عدم معرفته بمكانتهم الجراًة عليهم ...

ص: ٨٩

لم يفت معظم الفقهاء الذين كتبوا في فقه المناسك سواء من المكيين، أو غيرهم، وهم علماء ثقات لهم وزنهم الكبير في الفقه الإسلامي أن يخصصوا باباً مستقلاً للأماكن الإسلامية المأثورة في مكة المكرمة في كتب المناسك، يتناول البحث طائفة محدودة منهم، أنموذجاً لكتابات الآخرين، وقد جاءت العناوين في صياغات مختلفة:

(الأماكن المشهورة) (الأماكن المباركة) (الأماكن المعظمة) (المشاهد المكرمة) (الأماكن التي يستحب زيارتها).

ملاحظ أن بعض العناوين ليس فيها استعمال المصطلح الفقهي (يستحب)، لكنها تعنى الحث على زيارتها.

يتجاوز هذا الجزء من البحث عبارات المورخين، ويركز بصفة خاصة على عبارات بعض المحدثين والفقهاء خصوصاً عند إعطاء زيارة هذه الأماكن حكماً شرعياً.

وردت لدى بعض الفقهاء عبارة (الاستحباب) في صياغة فقهية صريحة، هذه الكلمة حين يطلقها الفقيه فإنه يعنى معناها الفقهي الاصطلاحي (الثواب على الفعل، والتجاوز عن الترك).

يهتم البحث هنا ببيان هذا التوجه لإطلاق هذا المصطلح الشرعي، وتعليه فقهاً حسب منطق أولئك العلماء، فالمهم هو إدراك تفسيرهم كما يدور في خلدتهم، لتفسيره حسب رأى المخالف لهم وهو ما يقتضيه البحث العلمي المتجرد، حتى يمكن إنصاف صاحب كل رأى؛ من هؤلاء:

ص: ٩٠

الإمام محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى (ت ٢٥٠ هـ) بعنوان:

«ذكر المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة المكرمة، وما فيها من آثار النبي (ص)، وما صح من ذلك». (١)

الإمام أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، من علماء القرن الثالث الهجرى:

«المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة، وآثار النبي (ص) فيها وتفسير ذلك». (٢) الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٧

هـ):

«ذكر أماكن بمكة يستحب فيها الصلاة والدعاء: وهي ثمانية عشر موضعاً:

المكان الأول: البيت الذي ولد فيه رسول الله (ص) ...

المكان الثانى: منزل خديجة (ها) ...

المكان الثالث: مسجد فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ...

المكان الرابع: مسجد بأعلى مكة عند الردم ...

المكان الخامس: مسجد بأعلى مكة يقال له: مسجد الجن ...

المكان السادس: مسجد بأعلى مكة أيضاً يقال له مسجد الشجرة ...، ثم أتم بقية هذه المواضع». (٣)

١- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١٩٨: ٢.

٢- أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه، ٥: ٤.

٣- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن: ٣٤٤.

ص: ٩١

الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري ثم المكي (٦١٥-٦٩٤):
«فينبغي لمن قصد آثار النبوة أن يعم بصلاته الأماكن التي هي مظنة صلاته (ص) فيها رجاء أن يظفر بمصلى النبي (ص) من كل مكان:
خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوبكما ثم انزلا حيث حلت
ومسا تراباً طيباً مس ذيلها وبيتاً وظلاً حيث باتت وظلت
ولا تياسا أن يعفو الله عنكما إذا أنتما صليتما حيث صلت».
(١) الإمام يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦):

«الرابعة عشرة: يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل في مكة والحرم، وقد قيل إنها ثمانية عشر موضعاً، منها: البيت الذي ولد فيه رسول الله (ص)، وهو اليوم مسجد في زقاق يقال له زقاق المولد، وذكر الأزرقى أنه لا خلاف فيه...» (٢) وبعضهم جمع بين بعض تلك العبارات السابقة مثل:

١- القرى لقاصد أم القرى: ٣٥٠.

٢- كتاب الإيضاح في مناسك الحج والعمرة: ٤٠٤، الطبعة الثانية، وعليه الإيضاح على مسائل الإيضاح على مذاهب الاثمة الأربعة وغيرهم...، بيروت: دار البشائر، عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

ص: ٩٢

الإمام عز الدين بن جماعة الكنانى (٦٩٤-٧٦٧ هـ):

«الباب العاشر (فى دخول مكة المعظمة، وفى الطواف والسعى، وما يتعلق بذلك) إلى أن قال:

واستحب- كما قال بعض الشافعية- زيارة المواضع المشهورة بالفضل، كالموضع المعروف بمولد سيدنا رسول الله (ص)، وكالموضع المعروف ببيت خديجة (ها) ... وكالمسجد الذى فى دار الخيزران عند الصفا...» (١) وذكر فى موضع آخر: إذا فرغ الحاج من الرمى فالسنه كما قال الشافعية أنه ينصرف إلى رحله من منى كما صنع رسول الله (ص)، وحيث نزل منها جاز، لكن الأفضل- كما قال الشافعية- منزل رسول الله (ص) وما قاربه. (٢) العلامة الفقيه برهان الدين إبراهيم بن فرحون المدنى المالكى (ت ٧٩٩ هـ):

«الباب العشرون: فى ذكر آثار شريفه بمكة ينبغى أن تقصد للتبرك بها». (٣)

١- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك ٩٥٥: ٢.

٢- المصدر السابق ١١٢٠: ٣.

٣- إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، ٥٤٥: ٢.

ص: ٩٣

الإمام القاضي العلامة الحافظ أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد ابن علي الفاسي المكي المالكي (٧٥٧-٨٣٢هـ):
جاء هذا الموضوع تحت العنوان التالي:

«الباب الحادي والعشرون: في ذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها الكائنة بمكة المشرفة وحرمها قربه». (١) الإمام الفقيه أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي الحنفي، قاضي مكة المكرمة ومفتيها (٨٥٤هـ-):
«فصل في ذكر الأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها التي يستحب زيارتها والصلاة والدعاء فيها رجاء بركتها»، عددها وخصها بدراسة علمية فقهية بدءاً من الصفحة: ٢٦٢٥ إلى الصفحة: ٢٦٦٧. (٢) الإمام علي بن عبدالله بن أحمد الحسن السموهدي (٨٤٤-٩٢٢هـ) نص على الآتي:

«... ابن زباله عن خالد بن عوسجة قال: كنت أدعه ليله إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار، فمر بي جعفر بن محمد ... يريد العريض، معه أهله، فقال لي: «أعن أثر وقفت هاهنا؟ قلت: لا، قال هذا موقف رسول الله (ص) بالليل، إذا جاء يستغفر لأهل البقيع...».

١- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢٦٠: ١.

٢- البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق، ٥: ٢٦٢٣.

ص: ٩٤

قال المراعى: فينبغى الدعاء فيه، وقد أخبرنى غير واحد أنّ الدعاء هناك مستجاب.

قلت [السمهودى]: الأماكن التى دعا (ص) بها كلها أماكن إجابة، ولذا يستحب الدعاء فيها». (١) العلامة الفقيه جمال الدين محمد جار

الله بن محمد نورالدين ابن أبى بكر ابن على بن ظهيرة القرشى المخزومى (ت ٩٨٦ هـ):

«خاتمة فى ذكر الأماكن المعظمة، والمشاهد المكرمة التى تقصد زيارتها، المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى وكرمها،

وضواحيها من الموالي، والدور، والمساجد، والجبال، والمقابر وما أشبه ذلك». (٢) العلامة على بن عبد القادر الطبرى (١٠٧٠ هـ):

عقد «الفصل الثالث فى الأماكن المشهورة فيها [مكة المكرمة] وفى المساجد: بمكة ونواحيها أماكن مشهورة يستحب زيارتها...». (٣)

١- خلاصة الوفا بأخبار دارالمصطفى: ٤١٥، المدينة المنورة: المكتبة العلمية لصاحبها الشيخ محمد سلطان النمنكانى، عام ١٣٩٢ هـ- /

١٩٧٢ م.

٢- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف: ٣٣٠.

٣- الأراج المسكى فى التاريخ المكى وتراجم الملوك والخلفاء: ٥٨.

ص: ٩٥

العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن عمر المكي المالكي، المعروف بابن الصباغ (١٢٤٣-١٣٢١ هـ):
«الفصل الثالث في الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء بمكة المشرفة وحرمة ما قاربها» (١) إلى غير ذلك من المؤلفين الذين عرضت كتاباتهم بالتفصيل سابقاً في هذا البحث.
ومما ينبغي أن يحذر منه في هذا المجال أن لا يساء فهم كلام الفقهاء السابقين وتوصيفهم لتلك الأماكن (بالمباركة)، أو (استحباب الصلاة فيها، ورجاء إجابة الدعاء) على الحث على القيام بأعمال تتنافى مع صفاء العقيدة وإخلاصها، فإنهم أبعد أن يخرقوا معالم التوحيد، وهم أساطين هذا العلم، والمحافظون على تجريده من أي شائبة تمسه.
الصلاة في المكان الذي صلى فيه الرسول (ص) لأي قصد مشروع لا ينقض عروءه من عرى التوحيد مادامت العبادة لله وحده، خالصة له، ومما هو مسلم أن الأمكنة تتفاضل بحسب من حل بها، وما حل فيها.
يقول الشريف العلامة أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني (ت ١٣٤٢ هـ): إن الأعمال تشرف بشرف الأزمنة، كما تشرف بشرف

١- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، ٥٨٦: ٢.

ص: ٩٦

الأمكنة، ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فوجب أن يكون العمل فيه أفضل». (١)

الفصل الرابع

شواهد التواتر المحلى للأماكن المأثورة في مكة المكرمة

١- النوازل الجديدة الكبرى، فيما لأهل فاس، وغيرهم من البدو والقرى ٢٢٩: ٢، الطبعة الأولى، قابله وصححه عمر بن عباد، المغرب: وزارة الأوقاف، عام ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

ص: ٩٧

المبحث الأول:

مظاهر التواتر المحلي:

(النقل بالتوارث من طرق الإثبات)

يتضح من التواتر المحلي المكى فى القديم والحديث ونقل الجم الغفير من الأجيال اللاحقه عن الأجيال السابقه تعيين الأماكن المأثورة، وتحديدها وهى معروفة، معلومة للمكيين، مشهورة بين علمائهم، ومثقفهم، وعامتهم، كان معظمها قائماً ومشاهداً قبل بدء التوسعة للحرم الشريف عام ١٣٧٥ هـ، يعد هذا التاريخ بداية التطوير والتغيير، لمدينة مكة المكرمة، ثم توالى هذا تباعاً حتى وقتنا الحاضر عام ١٤٣٠ هـ.

يتجلى التواتر المحلي من عبارات المؤلفين الموثوقين، فضلاً عن نقل أفراد المجتمع كافة.

يمكن إدارك هذا النوع من التواتر من نصوص الكتب السابقة، يقدم البحث هنا بعض النماذج من كتابات المؤلفين السابقين التى تشير إلى هذا المعنى، أعنى التواتر المحلي:

كتاب «الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» تأليف: جمال الدين محمد جار الله بن محمد نورالدين بن أبى بكر بن على بن ظهيرة القرشى المخزومى (ت ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م):

«فمنها، وهو من أجلها مولد سيدنا رسول الله (ص)، فنبداً به وهو بمكة فى المكان المعروف بسوق الليل مشهور بمولد النبى (ص)»، إلى أن يقول:

ص: ٩٨

«وكون هذا المكان مولده (ص) مشهور، متوارث، يآثره الخلف عن السلف». (١) كتاب «البحر العميق» تأليف: الفقيه ابن الضياء المكي، القرشي يقول:

«الموضع الذي يقال له مولد النبي (ص)، وهو عند أهل مكة مشهور في الموضع المعروف بسوق الليل».

وقد تقدم هذا النص من كتابه، هذا أنموذج صريح في التعبير عن التواتر المحلي، ينطبق على ماصح من تلك الأمكنة بموازين الفقهاء العارفين.

من فضل الله ونعمه، التي لاتحصى على أمة الإسلام، أن بقيت بعض هذه الأماكن محافظاً عليها لم تندثر، بل ظلت باقية تروى للأجيال الحاضرة والمستقبله تاريخ أمجاد الإسلام...

الكثير من هذه الأماكن المأثورة ظل ظاهراً مشاهداً حتى الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، قبل أن تمتد يد التطوير والتوسعة للحرم الشريف، الكثير من معالم مكة المكرمة ظل باقياً كحاله في القرون الأولى، شاهد هذا الجيل المخضرم من أبناء مكة المكرمة والعالم الإسلامي الذي حضر مكة المكرمة في تلك الفترة قبل عام ١٣٧٥ هـ، شهد الكثير من المعالم العمرانية، والمشاعر الدينية كما كان يتحدث عنها المؤرخون المكيون السابقون أمثال الإمام الأزرقى، والفاكهى، والتقى الفاسى وغيرهم، وهى

١- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف: ٣٢٥.

ص: ٩٩

قطعاً لا مجال للشك في تحقيق أمكنتها، ونسبتها بعد ماحققها أعلام المكين (وأهل مكة أدرى بشعابها)، كما أن أهل كل بلد أدرى بها، فإنكار نسبة هذه الأماكن من من لم يعيش فيها غير معتبر شرعاً وعرفاً، وإنكاره لهذه الأماكن برغم هذا التواتر مكابرةً بغير علم.

المبحث الثاني

عناية الحكومة.. بالأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة:

... منح سعادة الشيخ عباس قطان الأرض البيضاء المعروفة بدار السيدة خديجة (ها) زوجة النبي (ص)، لإقامة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم على أنقاض الدار.

كما تفضل فمنحه أيضاً المكان الذي ولد فيه الرسول الأعظم (ص) لبناء مكتبة ضخمة يؤمها رواد العلم وطلابه، ويشرع هذا الأسبوع بالبناء حسب التصميم الذي وضع لذلك. (١)... اتخذت الخطوات الرسمية العملية لتحقيق هذه الرغبة الكريمة، فوثقت بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة توثيقاً شرعياً بالصك رقم ١٤٠ بالمجلد الرابع، تاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ - ١ فبراير ١٩٥٤ م، هذا فيما يخص المولد النبوي الشريف، وصادر أيضاً صك من المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة بخصوص وقفية دار أم المؤمنين السيدة

١- صحيفة «البلاد»، العدد: ٩٩٨١، السنة الخامسة عشرة، الصادر يوم الأحد ٢٥ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ - الموافق ٤ مارس ١٩٥١ م.

ص: ١٠٠

خديجة (ها)، وكلاهما كان لدى رئيس المحكمة الشرعية الكبرى آنذاك فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، وصدق الصكان من قبل رئاسة القضاة.

وردت في الصك الأول العبارات التالية:

«لدى أنا عبدالله بن عمر بن دهيش، رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة حضر أمين بن الشيخ عباس قطان الوكيل عن عمته المصونة فاطمة بنت يوسف قطان بموجب صك التوكيل الصادر من كاتب عدل مكة برقم ١٩٢ في ٢٣ / ٢ / ١٣٧١ هـ - المخول له ذلك؛ وقرر على طريق الإنهاء قائلاً: إن موكلتي المذكورة كانت تقدمت بطلب من الحكومة السنية السماح لها بإنشاء مكتبة بالموضع المعروف بمولد النبي (ص) بشعب على بمحلة سوق الليل؛ الشهير في محله شهرة تامة تغني عن تحديده ووصفه، وبعد الإجراءات الرسمية صدر قرار الرئاسة برقم ٢٣ / ٥٢٥ / ٢٣ في ١٤ / ٤ / ١٣٧٠ هـ - بالموافقة على الطلب المذكور، لأنه عمل خيري، على أن يجرى تسجيل الوقفية بالمحكمة الكبرى عند تمام البناء، وأن يكون مكتبة عمومية موقوفة بجميع أبنيتها، ومحتوياتها لجميع المسلمين، وقد حاز القرار المذكور موافقة صاحب السمو الملكي نائب جلالة الملك معظم المبلغ إلى أمانة العاصمة برقم ٣٠٦٨، وتاريخ ١١ / ٥ / ١٣٧٠ هـ، وصورة من ذلك إلى مقام رئاسة القضاة ... وقد اشترطت بوقفيتها شروطاً، منها: أنها لا تؤجر الدار المذكورة، ولا تباع، ولا توهب، ولا يستبدل بها، بل تبقى قائمة على أصولها، كما أنها اشترطت أن الكتب التي فيها لا تخرج عنها، وشرطت عدم الاستغلال حاضراً، ومستقبلاً إذا اندثر البناء في غير ما منح من أجله، ولا من ورثته، ولا أي

ص: ١٠١

أحد، فعلى مقتضى البينة المعدلة حسب الأصول، ثبت لدى أن فاطمة بنت يوسف قطان أنشأت بمالها المباني المذكورة بعاليه، فقد أجزت الوقفية المذكورة على الشروط المذكورة، وأمريت بتنظيم صك بها تحريراً في اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية، عام الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف، صلى الله عليه وآله وسلم.

رئيس المحكمة الكبرى بمكة

(ختم فضيلته)

أما ماهو بخصوص دار أم المؤمنين السيدة خديجة (ها)، فقد صدر بوقفيته صك صادر من المحكمة الشرعية الكبرى رقم ١٤٢، تاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ - ١ مارس ١٩٥٤ م، ووردت فيه العبارات التالية:

«أحمد لله وحده، لدى أنا عبدالله بن عمر بن دهيش، رئيس المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة حضر أمين بن الشيخ عباس قطان، وقرر على طريق الإنهاء قائلاً: إن والدي الشيخ عباس بن يوسف قطان حال حياته طلب من الحكومة السنية منح الأرض البيضاء المعروفة بدار السيدة خديجة الكبرى، وبمولد السيدة فاطمة الكائنة بمحلة القشاشية المعروف بمحلها، الشهيرة شهرة تامه تغنى عن تحديدها لإنشاء مباني مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم من خيرات والده الشيخ يوسف قطان، وقد صدر أمر حضرة صاحب السمو الملكي النائب العام لجلالة الملك المعظم إلى أمانة العاصمة برقم ٧١١ في ٢٤ / ٧ / ١٣٦٦ هـ، بالموافقة على الشروط التي أقر المقام السامي بها في الخصوص المذكور، وأرسلت صورة من الأمر الكريم

ص: ١٠٢

المعطى إليه إلى والدى، وأشعرت وزارة المالية، ومقام رئاسة القضاة بصورة منه، ووالدى بصفته وصياً مختاراً من قبل والده الشيخ يوسف قطان على الخيرات والمبرات من مخلفات والده بموجب الصك الصادر من المحكمة الكبرى برقم ١٢٠ فى ٩ / ٢ / ١٣٥١ هـ، قدقام حال حياته بإنشاء المباني للمدرسة المذكورة على الأرض المذكورة من وصاياه والده للخيرات التى كانت تحت يده، لاملك ولا حق فيها، وعاجلته المنية قبل تسجيل هذه الوقية لدى الجهات الرسمية، وحيث إن المباني المذكورة مشتملة على أماكن علوية وسفلية، ومنافع، ومرافق، ومشمولات شرعية، وحوش، محدودة شرقاً بالزقاق النافذ المعروف بزقاق الحجر، وغرباً بالقبان، وشاماً وقف بيت سنبل، ويمناً ملك الأشراف قديماً، وحديثاً ملك حسن طلاقى وأولاده، وقد شرط فى هذه الوقية شروطاً جعل العمل عليها، والمصير إليها منها: أنها لا تؤجر الدار المذكورة ولا تباع، ولا توهب، ولا تعار، ولا يستبدل بها بل تبقى قائمة على أصولها...».

إلى أن يقول رئيس المحكمة:

«فعلى مقتضى البينة المعدلة حسب الأصول ثبت لدى أن عباس بن يوسف قطان أنشأ من مال والده يوسف قطان الأبنية المذكورة بعاليه فقد أجزت الوقية المذكورة على الجهات المذكورة، وأمضيته، وأمرت بتنظيم صك بها تحريراً فى اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية عام الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة والألف...».

ص: ١٠٣

(ختم رئيس المحكمة الكبرى). (١) لابد من وقفين عند هذين الصكين:

الأولى: أن في هذين الصكين ما يثبت التواتر المحلى لكلا- هذين المكانين المأثورين، حيث جاء في وصف مكانهما وتحديدهما استغناء القاضي الشيخ عبدالله ابن دهب عن تحديد هذين المكانين في صك الوقفية، فقد عبر بقوله بالنسبة للمولد النبوي الشريف: «المعروف بمولد النبي (ص) بشعب على بمحلة سوق الليل، الشهير في محله شهرة تامة تغني عن تحديده ووصفه».

وبالنسبة لمنزل أم المؤمنين السيدة خديجة (ها) قول فضيلة القاضي الشيخ عبدالله بن دهب:

«منح الأرض البيضاء المعروفة بدار السيدة خديجة الكبرى، وبمولد السيدة فاطمة الكائنة بمحلة القشاشية المعروف بمحلها، الشهيرة شهرة تامة تغني تحديدها».

الثانية: ... يروي الزميل الأستاذ عبدالرزاق بن المحدث خطيب المسجد الحرام، وإمامه، الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، بداية العمل في تأسيس مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في هذا المكان المبارك قائلاً:

«... وكنا قد عرفنا قبل ذلك أن هذا هو محل دار أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد (ها)، وهي الدار التي ولدت فيها السيدة فاطمة الزهراء (ها)، وبعد فترة من الزمن رأيت عمالاً يحفرون في هذا الموقع لعمل أساسات لمبنى جديد، وقد اتضح وجود مبنى كامل فيه مسجد تحت مستوى

ص: ١٠٤

الشارع، ولا بد أن التي تحيط بالدار هي التي ارتفعت بسبب السيول وغيرها، المهم أنه شيد مبنى جديد في نفس الموقع، وشغلته مدرسة لتحفيظ القرآن، وهو أفضل استغلال لهذا الموقع التاريخي بما قيض الله له من أهل الخير، من فكر هذا التفكير السليم، وقد بنى في نفس الفترة في أواسط الستينيات الهجرية، وأواخرها كان مع دار الأرقم بن أبي الأرقم بالصفاء (دار الإسلام)، وهي أول مدرسة في الإسلام ...

قصة أخرى حيث إنها تقع في زقاق متفرع من المسعى على يسار الذهاب إلى الصفاء، وهذا الزقاق يبعد عن جبل الصفاء بحوالي الخمسين متراً، زقاق الخيزران، أما دار الأرقم فكانت تبعد عن المسعى بنحو مائة متر، وهي قريبة من دور سدن الكعبة المشرفة آل الشيبى، وكانت عبارة عن دار مكونة من دور واحد، ومبنيّة على نفس طراز بناء الحرم القديم من الأعمدة والعقود، وكانت مهجورة. وقد قيض الله لها فضيلة إمام الحرم المكي الشيخ عبد الظاهر أبوالمسح، ونائبه فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، فطلبا من الملك عبدالعزيز منحها لتكون مقراً لمدرسة دار الحديث التي سبق وأن أسسها عام ١٣٥٣ هـ، فوافق الملك عبدالعزيز على ذلك، وسلمت لهما، ولما كانت دوراً واحداً لا يزيد على أربع غرف، وهذا لا يكفي لاستيعاب المدرسة فقد تبرع أحد فاعلي الخير ببناء دور ثان على دورها الأرضي، وقد كان لوجيه جده الشيخ محمد حسين نصيف الذي كان يتعاطف كثيراً مع هذه المدرسة دور كبير في هذا العمل، ولكن هذا الدور المضاف لم يأت متناسقاً مع الدور

ص: ١٠٥

الأرضى، ذلك أن الدور الأرضى كان مبنياً كما أسلفت على الطراز الإسلامى ذى الأعمدة والعقود، أما الإضافة فجاءت على الطراز الحديث الإسمنتى، وهكذا ظهر البناء كمن يلبس ثوباً وعباءة ويضع فوق رأسه قبعه، واستمرت مدرسه دار الحديث تشغل هذا المبنى الأثرى محييه ذكراه الطيبه حتى جاء مشروع توسعه الحرم، فهدم هذا المبنى عام ١٣٧٥ هـ، ومكانه الآن فى الشارع الواقع بين الصفا وجبل أبى قبيس...» (١).

وقال الندوى صاحب كتاب (شهور فى ديار العرب):

«... بعد الطواف رغبت فى السلام على الشيخ أبى السمع، وحين وصلت إلى باب (دار الحديث) وجدت مولانا عبدالوهاب الدهلوى قادماً من مقر إقامتى، وكان قد ذهب لزيارتى، وكان برفقته محمد بن عبدالرزاق حمزه، فجلسنا معاً، نتحدث فى موضوعات مختلفه، كان الشيخ أبوالسمع قد ذهب إلى دار الأرقم، ويقال: إن هذا المبنى الخاص بدار الأرقم بنى فى بداية العهد العباسى، ولهذا فإن مكانته التاريخيه حقيقيه وثابته، وقد أخذ الشيخ أبوالسمع هذا المبنى لدار الحديث، وهناك فكره لبناء مبنى رائع، وضخم فى هذا الموقع، وللأسف لم يتمكن من زياره (دار الأرقم)، الدار التى كان يربط فيها رسول الله (ص) وصحابته من الفدائين الأوائل، وإن شاء الله أزورها بعد العوده من المدينه المنوره بصحبه مولانا عبدالوهاب، فهو من أشهر علماء آثار مكة المكرمه، وهو أيضاً مسؤول المالىة فى لجنة دار الحديث».

وبمناسبة دار الأرقم، ذكر العالم السلفى الشيخ محمد بن عبدالرزاق رأيه فيما يتعلق بالأماكن التاريخية في مكة، فيقول: «يجب الإبقاء على جميع هذه المباني، وجعلها مقراً للإدارات، والهيئات العلمية والدينية، وكان من الضروري هدم القباب، ولكن لا معنى لإهمال تلك الأماكن ذات الصلة بالحياة الأولى للدعوة الإسلامية». (١) يتفق مع هذا الرأي بعض علماء السلف في العصر الحديث مثل العلامة السيد رشيد رضا فهو ممن يؤيدون استغلال هذه الأماكن التاريخية الثابتة استغلالاً حضارياً... (٢) هذا هو الفكر المستنير الوسط في التعامل مع هذه الأماكن التاريخية، فإزالتها اعتداء على التاريخ ومشاعر المسلمين، وتقديسها بصورة تنافى مع العقيدة الصحيحة أمر مرفوض، والعلاج لهذه الظاهرة من بعض الجهلة من خارج البلاد، يكون بالتوعية المفيدة عن طريق تنظيم جموع الزائرين لمشاهدة هذه الأماكن بقيادة دليل يرشدهم، ويعرفهم بتاريخ الإسلام، ونشوته على رحابها، ومحاربتة لكل المظاهر التي تنافى مع التوحيد الخالص الذى ينبغى أن يتحلى به المسلم فى تعامله مع الآثار.

١- حديث شفهي مع ابنه الجليل الأستاذ عبدالرزاق محمد عبدالرزاق حمزة كاتب المقال الأنف الذكر.

٢- أرسلان، الأمير شكيب، السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة: ٤٥٨، الطبعة الأولى، دمشق: مطبعة ابن زيدون، عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م.

ص: ١٠٧

التوعية هي الحل السليم، وهي فيما بعد درس مفيد لكل من يقصد زيارة هذه الأماكن التاريخية، خصوصاً بعد عودة الحجاج، والمعتمرين إلى أوطانهم.

إنّ توظيف هذه الأماكن التاريخية بطريقة عقلانية، وأسلوب حضارى، يحفظ للمكان قدره، ومكانته التاريخية، وجلاله ووقاره، فى نفوس المسلمين.. الذين يعرفون لمثل هذه الأماكن التاريخية أهميتها، وأثرها الكبير على توجيه الأجيال، وإذكاء روحها بمعانى الإيمان.

أما ثلثة الأثافى، وفى نفس السياق لهذا التوجه الحضارى، فهو ما يذكره المربى الثقة الأستاذ محمد أمين إسماعيل خدمدى من أبناء مكة المكرمة والمعاصرين للمربى الفاضل الشيخ عبدالله خوجه رائد مدارس (محو الأمية) عن مدارس النجاح الليلية التى تأسست عام ١٣٥٠ هـ، وعن قصة منح المدرسه (مولد سيدنا على بن أبى طالب (ع)) بشعب على الروايه التاليه:

«أما عن كيفية وجود المدرسه: فإنّ معهد الأنجال بالرياض أراد أن يعمل حفلة تخرج، فذكر لهم أنّ شيخاً بمكة يدعى عبدالله خوجه له باع فى إعداد الحفلات.

يقول الشيخ: أتانى الشيخ طاهر الدباغ ومعه أعيان مكة، وطلبوا منى بغيتهم، فطلبت منهم مصروف البيت، فوعدونى خيراً. وذهبت إلى الرياض، وأعددت الحفل، ونجح نجاحاً باهراً، وبعد نجاح الحفل أردت الاستئذان للعودة إلى ديارى بمكة، إلّا أنهم طلبوا منى أن

ص: ١٠٨

أنتظر يومين، أو ثلاثة، وثالث يوم جاءوا إليّ بدفتر كبير مثل دفتر الحضور والغياب، وقالوا لي تمنّ في هذا الدفتر، ونحن نرفعه إلى جلاله الملك؟

فطلبت وقفاً من أوقاف مكة المكرمة.

فطلبوا مني البحث، فوجدت ضالتي في هذا المكان [مولد سيدنا علي بن أبي طالب (ع)]، واعتمدوا لي «بن لادن بالمونّة، والمعلمين» وشيدت المدرسة، والمدرسة لها فرع في حي الشبيكة تحت إدارة مدير مدرسة الترقى العلمية الكائنة بزقاق العجيمي خلف البريد بالشامية كان يديرها الشيخ أحمد عبدالغنى عجمي ...» (١).

ظلت هذه المدرسة في هذا المبنى تؤدي دورها التثقيفي سنين عديدة حتى جرى هدم حي شعب علي (ع) من أجل توسعة الطرق، وعمل الأنفاق الآتية من حي العزيزية في وسط جبل أبي قبيس.

أدى توظيف هذه الأماكن التاريخية دوراً مهماً في الحياة العلمية والثقافية داخل المملكة السعودية وخارجها، وبعد إزالة بعضها بقصد توسعة ساحات الحرم الشريف للمصلين، يظل مكان المولد النبوي الشريف (مكتبة مكة المكرمة) معلماً حضارياً ثقافياً بارزاً يؤدي دوراً علمياً فريداً داخل المملكة العربية السعودية وخارجها... للحفاظ على تاريخ الأمة الإسلامية من الضياع، وتسلب الجاهلين.

١- وثيقة مخطوطة خاصة لعبد الوهاب أبو سليمان.

ص: ١٠٩

الفصل الخامس

آراء العلماء في زيارة الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة
اختلف فقهاء الأمة في مشروعية زيارة هذه الأماكن إلى فريقين: معارضين ومؤيدين.
فيما يلي عرض رأي الفريقين مع ذكر أهم استدلالاتهم:

ص: ١١٠

المبحث الأول:

رأى المعارضين لزيارة الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة وأدلتهم:

يذهب البعض إلى أن زيارة هذه الأماكن «من البدع المحدثه التي لا أصل لها في الشريعة». (١) كابن تيمية، فإن له موقفاً ورأياً خاصاً نحو هذه القضية.

١. الاعتراض على المصنفين في المناسك في ذكرهم للمزارات:

قال ابن تيمية: «وقد ذكر طائفه من المصنفين في المناسك استحباب زيارة مساجد مكة، وما حولها، وكنت قد كتبتها في منسك كتبه قبل أن أحج في أول عمرى لبعض الشيوخ، جمعته من كلام العلماء، ثم قد تبين لنا أن هذا كله من البدع المحدثه التي لا أصل لها في الشريعة، وأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يفعلوا شيئاً من ذلك، وأن أئمة الهدى ينهون عن ذلك، وأن المسجد الحرام هو المسجد الذى شرع لها قصده للصلاة والدعاء والطواف، وغير ذلك من العبادات، ولم يشرع لها قصد مسجد بعينه بمكة سواه، ولا يصلح أن يجعل هناك مسجد يزاحمه فى شىء من الأحكام، وما يفعله الرجل فى مسجد من تلك المساجد من دعاء وصلاة وغير ذلك إذا

١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،: ٣٣٩، الطبعة السابعة، تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

ص: ١١١

فعله في المسجد الحرام كان خيراً له، بل هذا سنة مشروعة، وأما قصد مسجد غيره هناك تحريماً لفضله فبدعة غير مشروعة». (١) ٢. وفي معرض الإنكار على زيارة الأماكن التي قضى فيها رسول الله (ص) فترة من رسالته بمكة المشرفة يقول: «فتحتته، وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث، ثم إنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته، وفرض على الخلق الإيمان به، وطاعته واتباعه، وأقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق، ولا يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء، ثم هاجر إلى المدينة، واعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية التي صده فيها المشركون عن البيت، والحديبية عن يمينك وأنت قاصد مكة إذا مررت بالتنعيم عند المساجد التي يقال: إنها مساجد عائشة، والجبل الذي عن يمينك يقال له جبل التنعيم والحديبية غربيته، ثم إنه اعتمر من العام القابل عمرة القضية، ودخل مكة هو وكثير من أصحابه وأقاموا بها ثلاثاً، ثم لما فتح مكة وذهب إلى ناحية حنين والطائف شرقي مكة، فقاتل هوازن بوادي حنين، ثم حاصر أهل الطائف وقسم غنائم حنين بالجعرانة فأتى بعمرة من الجعرانة إلى مكة، ثم إنه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع، وحج معه جماهير المسلمين لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله.

١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٣٣٩: ٢.

ص: ١١٢

وهو في ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء، ولا يزوره، ولا شيئاً من البقاع التي حول مكة، ولم يكن هناك عبادة إلا بالمسجد الحرام و بين الصفا والمروة، و بمنى والمزدلفة وعرفات، و صلى الظهر والعصر ببطن عرنه، و ضربت له القبّة يوم عرفه بنمرة المجاورة لعرفه.

ثم بعده خلفاؤه الراشدون، وغيرهم من السابقين الأولين لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء. وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى: **ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** وهو غار بجبل ثور، يمان مكة، لم يشرع لأئمة السفر إليه وزيارته، والصلاة فيه، والدعاء، ولا بنى رسول الله (ص) بمكة مسجداً غير المسجد الحرام، بل تلك المساجد كلها محدثة، مسجد المولد وغيره، ولا شرع لأئمة زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى، وقد بنى هناك له مسجد. ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعاً مستحباً يثب الله عليه لكان النبي (ص) أعلم الناس بذلك، ولكان يعلم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أعلم بذلك، وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثه التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله...» (١).

١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٣٣٣: ٢.

ص: ١١٣

٣. عرض الشيخ خلاف الأئمة في زيارة هذه الأماكن قائلًا:

«وقد اختلف العلماء في إتيان المشاهد، فقال محمد بن وضاح: كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار التي بالمدينة ماعدا قباء، وأحد، ودخل سفيان الثوري بيت المقدس وصلى فيه، ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها.

فهؤلاء كرهوها مطلقاً...، لأن ذلك يشبه الصلاة عند المقابر.

واستحب آخرون من العلماء المتأخرين إتيانها، وذكر طائفة من المصنفين من أصحابنا وغيرهم في المناسك استحباب زيارة هذه المساجد، وعدوا منها مواضع وسموها.

وأما أحمد فرخص منها فيما جاء به الأثر من ذلك إلا إذا اتخذت عيداً مثل أن تتاب لذلك، ويجتمع عندها في وقت معلوم كما يرخص في صلاة النساء في المساجد جماعات، وإن كانت بيوتهن خيراً لهن إلا إذا تبرجن، وجمع بذلك بين الآثار، واحتج بحديث

ابن مكتوم...» (١). ٤. صحه بناء مسجد في موضع صلاة رسول الله (ص)، أو قصد الصلاة في موضع صلاته:

يقر ابن تيمية هذا شريطة أن يكون القصد بناء المسجد أصالة؛ يقول:

«ومثله: ما خرجاه في الصحيحين عن عتبان بن مالك قال: كنت أصلى لقومي بنى سالم فأتيت النبي (ص) فقلت: إني أنكرت بصرى،

وإنّ

ص: ١١٤

السيول تحول بينى وبين مسجد قومي فلوددت أنك جئت فصليت في بيتي مكاناً حتى اتخذه مسجداً، فقال: أفعل إن شاء الله. فعدا على رسول الله (ص) وأبو بكر معه بعد ما اشتد النهار، فاستأذن النبي (ص) فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلى من بيتكم؟ فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن يصلى فيه، فقام رسول الله (ص) فكبر وصففنا وراءه، فصلى ركعتين، ثم سلم وسلمنا حين سلم.

ففي هذا الحديث دلالة على أن من قصد أن يبني مسجده في موضع صلاة رسول الله (ص) فلا بأس به، وكذلك قصد الصلاة في موضع صلاته، لكن هذا كان أصل قصده بناء مسجد فأحب أن موضعاً يصلى له فيه النبي (ص) ليكون النبي (ص) هو الذي رسم المسجد، بخلاف مكان صلى فيه النبي (ص) اتفاقاً فاتخذ مسجداً، لا حاجة إلى المسجد، لكن لأجل صلاته فيه... (١) ٥. مشروعياً قصد الصلاة في الأمكنة التي كان يقصدها (ص) للصلاة عندها بقصد الإتيان والاعتداء:

«فأما الأمكنة التي كان النبي (ص) يقصد الصلاة أو الدعاء عندها فقصد الصلاة فيها، أو الدعاء سنة اقتداء برسول الله (ص) وإتباعاً له، كما إذا تحرى الصلاة، أو الدعاء في وقت من الأوقات، فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته، وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب ...

ص: ١١٥

ومثل هذا ماخرجاه في الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد قال: كان سلمة ابن الأكوع يتحرى الصلاة عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت له: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة.

فقال: رأيت النبي (ص) يتحرى الصلاة عندها، وفي رواية لمسلم عن سلمة بن الأكوع: أنه كان يتحرى الصلاة في موضع المصحف يسبح فيه، وذكر أن رسول الله (ص) كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة.

وقد ظن بعض المصنفين أن هذا مما اختلف فيه، وجعله والقسم الأول سواء، وليس بجيد، فإنه هنا أخبر أن النبي (ص) كان يتحرى البقعة، فكيف لا يكون هذا القصد مستحباً!

نعم: إيطان بقعة في المسجد لا يصلح إلا فيها منهي عنه كما جاءت به السنة، والإيطان ليس هو التحرى من غير إيطان. فيجب الفرق بين اتباع النبي (ص) والاستئذان به فيما فعله، وبين ابتداء بدعة لم يسنها لأجل تعلقها به... (١) ٦. المحاذير المتوقعة من زيارة الأماكن النبوية المباركة:

لا يخفى القائلون بهذا الرأي من ارتكاب بعض المحظورات الواقعة من بعض الجهلة لدى زيارة هذه الأماكن المنافية لعقيدة التوحيد، وهذا ملموس من العامة، فسدلاً لهذه الذريعة يغلق هذا الباب كاملاً صيانة لصفاء

ص: ١١٦

العقيدة، يقرر الشيخ هذا الأمر في العبارة التالية، فمن كره هذه الزيارات إنما كرهها، لأنها «ذريعة إلى اتخاذها أعياداً، وإلى التشبه بأهل الكتاب، ولأن مافعله ابن عمر لم يوافق عليه أحد من الصحابة فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من المهاجرين والأنصار أنه كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي (ص)»، (١) ثم قال ابن تيمية:

«والصواب مع جمهور الصحابة، لأنّ متابعتهم النبي (ص) تكون بطاعة أمره، وتكون في فعله بأن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعله، فإذا قصد العبادة في مكان كان قصد العبادة فيه متابعاً له كقصد المشاعر والمساجد، وأما إذا نزل بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول، أو غير ذلك مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان، فإذا تحرنا ذلك المكان لم نكن متبعين له، فإن الأعمال بالنيات». (٢) أنظر لهذا الاتجاه:

١. الشثري، سعد بن ناصر بن عبد العزيز.

حكم زيارة أماكن السيرة النبوية.

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق.

ص: ١١٧

الرياض: دار إشبيلية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٢. عبد العزيز بن عبد الله الجفيري

الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الإسلامية.

مصر: دار الهدى النبوي، ودار الفضيلة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٣. أبو عمر الماحي.

ماذا يقولون عن التبرك وتقبيل اليد.

الطبعة الأولى، الرياض: مطبعة النرجس التجارية، عام ١٤٢٩ هـ.

المبحث الثاني:

رأى المؤيدين لزيارة الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة وأدلتهم:

فيما يلي عرض موجز لأهم أدلة الفقهاء المجيزين لزيارة الأماكن النبوية المأثورة:

ومما ينبغي أن يحاذر منه في هذا المجال بادئ ذي بدء أن لا يساء فهم كلام الفقهاء وتوصيفهم لتلك الأماكن (بالمباركة)، أو

(استحباب الصلاة فيها، ورجاء إجابة الدعاء) على الحث على القيام بأعمال تتنافى مع صفاء

ص: ١١٨

العقيدة وإخلاصها، فإنهم أبعد أن يخرقوا معالم التوحيد، وهم أساطين هذا العلم، والحافظون على تجريده من أى شائبة تمسه. الصلاة فى المكان الذى صلى فيه الرسول (ص) لا ينقض عرى من عرى التوحيد مادامت العبادة لله وحده، خالصة له: استعمال الفقهاء لكلمة (الأماكن المباركة) لا إشكال فيه، فهو وصف كاشف، كما يقول المناطقة، فالأماكن تتفاضل بحسب أوصافها، ومن حل فيها، وما حدث عليها؛ يستدل لهذه الكلمة بما نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (١)

يذكر العلامة أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسى (٤٨١-٥٤٦) أن:

«البركة من جهتين: إحداهما: النبوة والشرائع والرسول الذين كانوا فى ذلك القطر وفى نواحيه، ونواديه؛ والأخرى: النعم من الأشجار والمياه، والأرض المفيدة التى خص الله الشام بها...» (٢)

يستخلص من هذا:

أن كل مكان حلّ فيه رسول الله (ص) هو مكان مبارك، ولا يخالف فى هذا مسلم جاهل، فضلًا عن عالم عاقل.

١- سورة الإسراء: ١.

٢- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، ١٠: ٩.

ص: ١١٩

يقول العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ «قيل: بالثمار، وبمجارى الأنهار، وقيل: بمن دفن حوله من الأنبياء، والصالحين، وبهذه جعل مقدساً». (١).. فمن ثم استعمل هؤلاء العلماء الفقهاء كلمة (المباركة)، ولا غرابه في ذلك. وحيث عرف تعليل كونها مباركة، نتيجة لهذا يكون الدعاء فيها مستجاباً بإذن الله عزوجل؛ وهذا اعتراف من أئمة في التفسير بأن الأماكن تتفاضل بحسب من حلّ بها، وما حلّ فيها، لهذا المعنى أفرد الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه باباً بعنوان:

«المساجد التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلى فيها النبي (ص)» و عرض لعشرة أحاديث، وكذلك خص هذه الأماكن العلامة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) بعنوان:

«ذكر الأماكن التي صلى فيها رسول الله (ص) وهو ذاهب من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته». (٢)

علق العلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في شرحه على صنيع الإمام البخاري بقوله: ومحصل ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن، وتشدده في الإتيان مشهور، ولا يعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان، فسأل عن ذلك فقالوا: قد صلى فيه

١- الجامع لأحكام القرآن، ٢١٢: ٩، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، عام ١٩٦٦ م.

٢- حجة الوداع: ١٥٦، الطبعة الأولى، تحقيق خالد أبو صالح الرياض: دارالوطن.

ص: ١٢٠

النبي (ص) «فقال: من عرضت له الصلاة فليصل، وإلا فليمض، فإنما هلك أهل الكتاب، لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً»، لأن ذلك من عمر محمول على أنه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة، أو خشى أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنه واجباً.

وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر، وقد تقدم حديث عتيان وسؤاله النبي (ص) أن يصلى في بيته ليتخذه مصلى، وإجابة النبي (ص) إلى ذلك، فهو حجة في التبرك بآثار الصالحين ... (١)

وبنفس السياق يستشهد العلامة الإمام المحدث الورع أبو محمد عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ - من السنة النبوية الشريفة في كتابه بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخارى فى شرحه للحديث الذى رواه عن عمر، يقول: سمعت النبي (ص) بواى العقيق يقول: «أتانى الليلة آت من ربي فقال: صلّ فى هذا الوادى المبارك، وقل: عمرة فى حجة». وفيه دليل على أنّ المقصود منا فى الأمكنة والأزمنة المباركة التبعّد، يؤخذ ذلك من قوله (ص): «صلّ فى هذا الوادى المبارك» فمن أجل بركته أمر بالصلاة فيه، كما قال تعالى فى الأشهر الحرم: فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ونهى عن الظلم فيها لكون الإثم عليه إذ ذاك أكثر مما لو كان فى غيرها،

١- فتح البارى، بشرح صحيح الإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ٥٦٧: ١.

ص: ١٢١

والأمر بالشىء نهى عن ضده، والنهى عن الشىء أمر بضده، فلما نهى عن ترك الظلم فيها يلزم فعل الطاعة، أو يندب إليها... (١).
ثبوت زيارة رسول الله (ص) وبعض كبار أصحابه لغار حراء

فقد جاء فى صحيح مسلم تحت عنوان: (باب من فضائل طلحة والزبير) الحديث التالى: «عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان وعلى، وطلحة، والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله (ص): اهدأ فما عليك إلّا نبى، أو صديق، أو شهيد». (٢)

وبسند آخر إلى «أبى هريرة أن رسول الله (ص) كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله (ص): «اسكن حراء فما عليك إلّا نبى، أو صديق، أو شهيد» وعليه النبى (ص)، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص». (٣)

الإجابة فى هذه الأماكن قد تكون مرفوعة وفضل الله لا يحصى
يعرض لهذا العلامة الفقيه عفيف الدين عبدالله بن إبراهيم ميرغنى، الحسنى المتقى المكي، الطائفى، الحنفى (ت ١٢٠٧ هـ) فى كتابه
(عدة الإنابة فى أماكن الإجابة) عنواناً خاصاً (المستند فى إجابة الدعاء عامة) قائلاً:

١- الطبعة الثالثة، بيروت: دار الجيل، عام ١٩٨٤ م، ١٥٧: ١.

٢- أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، صحيح مسلم، الطبعة الأولى، ١٨٨٠: ٤، خادم الكتاب محمد فؤاد عبدالباقى، القاهرة: دارالحديث، عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، رقم الحديث ٢٤٧١.

٣- صحيح مسلم، ١٨٨٠: ٤.

ص: ١٢٢

«واعلم أنّ الحسن [البصرى] ذكر الإجابة في هذه الأماكن، والظاهر أنه لا يقول ذلك إلّا عن توقيف، لأنه تابعى جليل، بل سيد التابعين. وقال الشيخ محمد بن على علان في شرح الأذكار: عن جده عبدالملك ابن على: إنّ الحسن البصرى رفع ذلك إلى النبي (ص)، فإن ثبت ذلك فيكفى في العمل له، ولعله ثبت عند الشيخ عبدالملك العصامي أيضاً، لأنه ذكره في آخر نظمه المشهور، وله شواهد فإن بعضها مذكور في أحاديث مرفوعة، وقد ذكرها مطلقاً عن الأوقات، وتبعه في ذلك أكثر من ذكرها من مشايخنا، وعليه جرى الناظم، وقال الملا على قارى، والظاهر أنّ هذه الأماكن الشريفة موضع إجابة الدعوات المنيفة في الأزمنة المخصوصة، ويمكن حملها على عمومها، والله سبحانه أعلم، وقيد النقاش البعض، ومشى عليه الشافعية، وفضل الله لا يحصى...» (١).

عمل السلف الصالح من الصحابة

ذكر الأزرقى بسنده إلى ابن جريج عن إسماعيل بن أمية أنّ خالد بن مضرس أخبره أنه رأى أشياخاً من الأنصار يتحرون مصلى رسول الله (ص) أمام المنارة [منارة مسجد الخيف] قريباً منها.

قال جدى: «الأحجار التى بين يدى المنارة، وهى موضع مصلى النبي (ص) لم نزل نرى الناس وأهل العلم يصلون هناك». (٢).

١- شرح الأذكار: ٤١.

٢- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١٧٤: ٢.

ص: ١٢٣

جاء من بعده الفاكهي فذكر أن: «الأحجار التي بين يدي المنارة هو موضع مصلى النبي (ص) لم يزل أهل العلم يصلون هناك وهو مسجد الغيشومة»^(١).

عمل السلف الصالح من التابعين

ذكر مؤرخ المدينة المنورة العلامة أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (١٧٣-٢٦٢ هـ) قوله:

«قال أبو غسان، وقال لي غير واحد من أهل العلم من أهل البلد:

إن كل مسجد من مساجد المدينة ونواحيها مبني بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبي (ص)، وذلك: أن عمر بن عبدالعزيز حين بنى مسجد رسول الله (ص) سأل- والناس يومئذ متوافرون- عن المساجد التي صلى فيها رسول الله (ص) ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة...»^(٢).

«وتفيد المصادر أيضاً أنه أول من بنى محراباً في هذه المساجد، وأطلق المؤرخون على هذا الطراز المعماري للمساجد (البناء العمري)، وقد استمر الأمراء والأعيان وغيرهم من عامة المسلمين يهتمون بهذه المساجد الأثرية عمارةً وتجديداً وترميمًا وتوسعةً»^(٣).

١- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٢٦٥: ٤.

٢- تاريخ المدينة المنورة، ٧٤: ١، الطبعة الأولى، تحقيق فهد محمد شلتوت، المدينة المنورة: السيد حبيب محمود أحمد، عام ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

٣- عبدالغني، محمد إلياس، المساجد الأثرية في المدينة المنورة: ١٣، الطبعة الثانية، المدينة المنورة: مطابع الرشيد، عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

ص: ١٢٤

هذا التعامل مع الأماكن المأثورة التي صحت نسبتها إلى رسول الله (ص) ظهرت في القرن الأول الهجري على يد الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز حينما كان والياً على المدينة المنورة للوليد بن عبد الملك عند ما كتب إليه قائلاً: مهما صح عندك من المواضع التي صلى فيها النبي (ص) فابن عليه مسجداً.

ولم يكن ثمّة اعتراض من الأئمة المعاصرين.

يقول الحافظ أبو عبدالله محمد بن محمود النجار (٥٧٨-٦٤٣ هـ) عن المساجد المأثورة بالمدينة المنورة:

«فهذه الآثار كلها آثار بناء عمر بن عبدالعزيز». (١)

أجاب المؤيدون لزيارة الأماكن النبوية المأثورة على ماورد في احتجاج المانعين لها بما يتم عرضه في صياغة موجزة:

قد ثبت صعود رسول الله (ص) وبعض كبار صحابته زيارة غار حراء، وذلك متوافر في دواوين السنة النبوية: صحيح مسلم، كما تقدم الإشارة إليه وتوثيقه، والترمذي (٣٦٩٦)، ومسند الإمام أحمد رقم (٤٢٠) بسنده مانصه:

«... عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله (ص) يوم حراء إذ

اهتر

١- الدرّة الثمينّة في أخبار المدينة،: ١٨١، الطبعة الأولى، قابله واعتنى به محمد علي شكرى المدينة المنورة: دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع، ت. د.

ص: ١٢٥

الجبل فركله بقدمه، ثم قال: اسكن حراء، ليس عليك إلّا نبي، أو صديق، أو شهيد، وأنا معه؟ فانتشد له رجال... الحديث. (١) عدم فعله (ص) لا يدل على الكراهة:

وهي مسألة أصولية خلافية، وفي هذا يقول الناظم:
الترك ليس بحجة في شرعنا لا يقتضى منعاً ولا إيجاباً
من يدعى حظراً بترك نبينا ويراه حكماً صادقاً وصواباً
قد حاد عن نهج الأئمة كلهم بل جانب الحق الصحيح وخابا
ما الحظر إلا إن يكن نهى أتى متوعداً لمخالفه عقاباً
أو ذم فعل مؤذناً بعقوبه أو ذكر تحريم يصادف عاباً
إنه ليس من الضروري أن يوجد نص من كتاب، أو سنه على الاستحباب، ذلك أنه مما هو مقرر فقهاً أن: المندوب كما يستفاد من أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام، فكذلك كان يترك الشيء وهو يستحب فعله لدفع المشقة عن أمته...
شاهد هذا ما ذكره ابن القيم في كتابه (زاد المعاد في هدى خير العباد) قوله: في الموطأ عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، قالت: ما سبّح رسول الله (ص) سبحة الضحى قط وإنى لأسبحها، وإن كان

١- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٤٧٨: ١، الطبعة الثانية، الرياض.

ص: ١٢٦

رسول الله (ص) ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليه ... (١) الحديث المتصل لا يعارض بالحديث المنقطع

حديث قطع عمر بن الخطاب شجرة الرضوان مقطوع لا يقاوم الحديث المتصل في صحيح البخارى الذى جاء فيه:
(أنها عميت عليهم فى السنة الثانية من البيعة).

ورد فى بحث للعلامة عزالدين الفلواروى عضو المجمع العلمى الإسلامى بالهند نقلته مجلة الأزهر ١: م ٤ بالقاهرة ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ- تحت عنوان: (شجرة الرضوان) ابتداء البحث بقوله:

«هذه الشجرة المباركة التى بايع النبى (ص) تحتها خمس عشرة مائة من المسلمين على الجهاد فى سبيل الله، فتقبلها الله قبولاً حسناً فقال فى كتابه الحكيم: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ لِهَذِهِ الْفُضَيْلَةِ الْعَظِيمَةِ، وَرَضُوا أَنْ يَسْمَاهَا اللَّهُ عَنْهُمْ سَمَاةً النَّاسِ شَجَرَةَ الرِّضْوَانِ، وَوَقَعَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ سَنَةَ سِتٍّ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ثُمَّ يَقُولُ تَحْتَ عِنْوَانٍ:

«إلى ما بقيت الشجرة وما فعل بها؟»

يجيب أول ما يجيب فى هذا البحث بقوله:

١- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبى بكر، زاد المعاد، الطبعة الأولى، ٣٥٢: ١ تحقيق شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، عام ١٣٩٩ هـ- / ١٩٧٩ م.

ص: ١٢٧

«التحقيق في ذلك أنّ صحيح البخارى الذى هو أصح الكتب عند عامة العلماء بإسناد صحيح جيد عن ابن عمر وسعيد بن المسيب أنّ الشجرة قد عميت علينا فى السنة الثانية من البيعة و لم نجد لها بعد.

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية عن نافع قال: (قال ابن عمر رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها كانت رحمة). (١) وقال سعيد بن المسيب عن أبيه: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. (٢) ثم يطرح السؤال الآتى:

«هل قطع الشجرة عمر، أو أمر بقطعها؟»

يذكر الجواب قائلاً:

«هذه كلمة تداولتها الألسن من غير تفكر فى صحتها وسقمها، لافرق فى ذلك بين العالم وأخى الجهل، والهوى، فإنه كلما سئلوا عن المآثر والمقابر، وتعظيمها الشرعى قالوا: هذا كله يفضى إلى الشرك، ألا ترى أنّ عمر قطع الشجرة التى بايع الناس تحتها على يد رسول الله (ص) حسماً لمادة الشرك!

فاعلم أنّ مانسب لعمر من أمر القطع لا أصل له؛ لوجوه عديدة نذكرها:

١- البخارى ٥: ١-٤.

٢- المصدر السابق ٥٩٩: ٢.

ص: ١٢٨

الأول: أن هذا يخالف رواية البخارى الصحيحة، فإنها تدل على خفائها، واستتارها عن عيون الناس - كما قلناه آنفاً - فما معنى قطع الشجرة؟

والثانى: إن أردنا من قول جابر المعنى الذى رواه ابن حجر: أن هذه الشجرة كانت باقية إلى آخر عمره، أى سنة ٧٨ من الهجرة فهذا أيضاً لا يفيد المطلوب، فإن رحله عمر كانت سنة ٢٣ من الهجرة.

والثالث: أن من ذكر هذه الرواية ذكرها فى طبقات ابن سعد، وروى ابن سعد فى طبقاته حديث ابن المسيب (أى حديث الاستتار المذكور) بطرق عديدة، ثم فى آخرها رواية القطع عن نافع، قال فيها:

أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا عبد الله بن عون عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التى يقال لها شجرة الرضوان، فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

هذه الرواية مدار مانسب إلى عمر، وأنه أمر فقطع، لا يحتج به عند أهل الحديث، والانقطاع ظاهر لامريه فيه، فأن نافعاً لم يدرك عمر، وما لقيه، ولا روى عنه، وكشف تلك الغمّة: أن نافعاً مولى لعبد الله بن عمر، ووجدته ابن عمر فى غزوة الديلم، أو الطالقان، أو كابل،

والمدّة بين تلك الغزوات وزمان عمر مديدة طويلة، ونافع قد عمر وتوفى سنة ١٢٠ هـ، وصحب ابن عمر ثلاثين عاماً، وتوفى ابن عمر سنة ٧٤ هـ - (تذكرة الحفاظ) ويروى عن عبد الله بن عمر وأبى هريرة، وأبى لبابة، ورافع بن خديج، وعائشة،

ص: ١٢٩

وأم سلمة، وأبي سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة، ولم يدرك أيام عمر فما معنى روايته عنه؟
أنظر التاريخ الصغير للبخارى، والطبقات لابن سعد، وتهذيب التهذيب ١٢: ١، والتقريب وعامة كتب الرجال، والتاريخ لابن خلكان،
ولذا قالت الشراح فى حديث مالك عن نافع أن عمر بن الخطاب كتب ... المذكور فى الموطأ فى صدر الباب بعد روايات: (أن هذا
الحديث منقطع، فإن نافعاً لم يدرك عمر).

وانظر شرح الموطأ للشيخ سلام الله الدهلوى الحنفى غير مطبوع، والزرقانى ١: ١ طبع مصر على أن رواية القطع ليست بالجزم بل
بصيغة التمريض بقوله: (ويقال لها) فدلّت أن الشجرة لم تكن هى شجرة الرضوان بعينها بل كانت التى تنسب إليها بالظنون لذا أمر
بقطعها.

من هذا يعلم القارئ نقائص هذه الرواية، وكونها غير مقبولة.

واعلم أن هذا الأثر أولى أن لا يقبل عند أهل الحديث، فعندهم المراسيل، والمنقطعات وآثار الصحابة كل هذه ليست بحجة، والأثر
الذى روى عن نافع فى الطبقات خلاف ما يروى عنه فى البخارى عن ابن عمر، ورواة البخارى كلهم أثبات ثقات ...».

... ظهر مما تقدم أن لكل من أصحاب الرايين استدلاله ووجهة نظره.

لمزيد لمعرفة استدلال هذا الاتجاه تنظر الكتب التالية:

١. الكاندهلوى المدنى، محمد زكريا

الكنز المتوارى فى معادن لامع الدرارى وصحيح البخارى ٢٣٤: ٤.

باكستان: مؤسسه الخليل الإسلاميه، عام ١٤١٩ هـ.

ص: ١٣٠

٢. الكردي، محمد طاهر المكي.

تبرك الصحابة بآثار رسول الله (ص) وبيان فضله العظيم.

الطبعة الثانية، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، عام ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

٣. القارئ، أبو مجاهد عبدالعزيز بن عبدالفتاح.

الآثار النبوية بالمدينة المنورة، وجوب المحافظة عليها، وجواز التبرك بها.

المدينة المنورة: يطلب من المؤلف، عام ١٤٢٧ هـ.

٤. الإدريسة، خديجة.

البركة والتبرك من ذهبيات الحافظ الذهبي قراءة عابرة في سير أعلام النبلاء

الطبعة الأولى.

الفصل السادس

الواقع المعاصر للأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة

الآثار الإسلامية في مكة المكرمة حافظ على معظمها سلف الأمة خلال الأربعة عشر قرناً هجرية الماضية، خصوصاً ما كانت نسبتها منها يقيناً إلى الحدث الذي جعله تاريخاً خالداً، فوصل إلينا معظمها سليماً.

ونحن في بداية الثلث الأول من القرن الخامس عشر الهجري وبالتحديد في العام الثلاثين بعد الأربعمئة والألف من الهجرة النبوية الشريفه، متابعه للمنهج العلمي التاريخي للمدرسة التاريخية المكية يتم عرض الأماكن التاريخية المندثرة في مبحث، والباقي في الوقت الحاضر في مبحث ثان:

ص: ١٣١

المبحث الأول:

المنذر من الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة في الوقت الحاضر:

اهتم بعض المؤرخين المكيين، لدى عرض الأماكن المأثورة في مكة المكرمة ببيان المنذر، والباقي منها في زمانهم، أمثال: تقى الدين الفاسي (٧٥٧-٨٣٢هـ / ١٣٧٣-١٤٢٨ م).

جمال الدين محمد جار الله بن محمد بن ظهيرة القرشي (ت ٩٨٦هـ / ١٥٧٨ م).

محمد قطب الدين النهروالي المكي (٩١٧-٩٩٠هـ / ١٥١١-١٥٨٢ م)

ويمتد الزمن حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري / الواحد والعشرين الميلادي، فينذر بعض من تلك، وفي الوقت الحاضر، بدءاً من شهر ربيع الأول عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م حتى عام ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م تمت إزالة أحياء أثرية كاملة أمثال: حي الشامية، والشبيكة، وحارة الباب، والقرارة، والراقوبة، وسوق المدعى، وسوق الجودية.

حتى وصلت الهدميات إلى شمال مكة المكرمة سوق المعلاه، وربما أتت هذه التوسعة الكبيرة فشملت مسجد الراية المسمى حالياً حسب اللوحة (جامع خادم الحرمين)، وما حوته هذه الأحياء من أماكن مأثورة مهمة؛ لصالح توسعة الحرم الشريف، والساحات الشمالية، وإلى حي جرول في الناحية الغربية منها.

ص: ١٣٢

لايسعنا إلّا أن نردد القول المشهور: «تغيرت البلاد ومن عليها»، فلم يبق من أحياء مكة القديمة حول الحرم الشريف وما ضمته من أماكن تاريخية مأثورة إلّا الأسماء والتاريخ المكتوب.

متابعه لهذا المنهج العلمى للمدرسة التاريخية المكيّة، يتم عرض المندثر من هذه الأماكن فى هذا المبحث. خصص جمال الدين محمد بن ظهيرة القرشى مساحة فى كتابه (الجامع اللطيف) للمساجد التى ذكرها الأزرقى و لم تعرف الآن، [عصر ابن ظهيرة القرشى]، فقال:

«وأما المساجد التى ذكرها الأزرقى، ولم تعرف الآن فستة مساجد»:

الأول: مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامر ... وهذا المسجد لايعرف الآن.

الثانى: مسجد بأجباد يقال: إنّ النبى (ص) اتكأ هناك ...، قال الأزرقى: إنّ أهل العلم ينكرون ذلك، وإنما يثبتون أنه صلى بأجباد الصغير، ولايوقف على موضع مصلاه أيضاً تحقيقاً، بل حدساً بغير أصل.

الثالث: مسجد بأعلى مكة، يقال له مسجد الشجرة.

الرابع: مسجد بذى طوى فى علو مكة بين الثنتين اللتين يدخل منهما الحاج.

الخامس: مسجد السرر، تعيين محله يقيناً لايقف عليه الآن، بل جهته.

ص: ١٣٣

السادس: مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له مسجد إبراهيم، وليس مسجد عرفة الذي يصلى فيه الإمام. فهذه المساجد المذكورة لم تعرف الآن [أى فى عصر ابن ظهيرة، وذلك هو القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى] (١). وبعد القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى، اندثر بعض من تلك الأماكن الإسلامية، فأصبحت خبراً من الأخبار، وربما زال الكثير منها فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين / العشرين والحادى والعشرين الميلاديين، لأسباب عديدة يأتى فى مقدمتها كثرة أعداد الحجاج الذين وصلت أعدادهم إلى الملايين، مما لم يكن موجوداً فى القرون الماضية، فاستدعى هذا توسعة الحرم المكى الشريف، وإزالة الكثير مما حوله من العمران، والأماكن بهدف إيجاد مكان لقاصدى البيت الحرام، الذى هو الهدف الأول، ومعظم القصد من حجة العمر، ولهذا أزيل الكثير من تلك الأماكن، فإن معظمها يدخل فى نطاق تلك التوسعة، فمن ثم يتم عرض أسماء ما أزيل من تلك الأماكن الإسلامية المأثورة:

أولاً- منزل السيدة خديجة (ها)

كان فى هذا الموقع المبارك بناءً من ثلاثة أدوار خصصت لتكون مدرسة لتحفيظ القرآن، هدم ذلك المنزل المبارك، لصالح توسعة ساحات الحرم المكى الشريف فى الجهة الشرقية منه، وذلك عام ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، جاء فى مقدمة الدراسة الوثيقية الصادرة عن (إعمار):

١- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف،: ٣٣٨.

ص: ١٣٤

«أثناء إعداد المرحلة الأولى من المشروع الخاص بتطوير المساحات المحيطة للحرم المكي الشريف بمنطقة القشاشية لتهيئة المنطقة شرق المسعى لأداء الصلاة لأكبر عدد من المصلين، ولصالح مشروع أنفاق الخدمات، وتيسير الحركة أمام رواد بيت الله الحرام، وفي ٢٩ ربيع الأول ١٤١٠ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٩٨٩ م، اكتشف القائمون على المشروع في أثناء عملية إزالة العقارات بالمنطقة، وجود بعض الأماكن الأثرية بالقرب من برحة القباني، الواقعة بين المسجد الحرام وسوق المدعى، حيث وجد محراب كبير باتجاه الحرم، وقد لوحظ أن الموقع الذي وجد به هذه البقايا الأثرية هو الموقع نفسه الذي كان لمدرسة تحفيظ القرآن التي أنشأها الشيخ عباس قطان بعد ما استأذن من الملك عبدالعزيز في إنشاء تلك المدرسة في مكان بيت السيدة خديجة (ها)، المعروف باسم (مولد السيدة فاطمة (ها))، في زقاق الحجر، المعروف بزقاق الصوغ، وزقاق العطارين». (١) موقع هذا المنزل المبارك في الوقت الحاضر في الساحة الشرقية، لدى المصباح الكبير مقابل باب السلام بعد اثني عشر متراً في اتجاه الشمال نحو المدعى، حيث شاهدت مخطط هذا الموقع شخصياً بحضور أحد المسؤولين في مؤسسة ابن لادن مع كل من الدكتور عويد المطرفي، والدكتور عبدالله

١- بيت السيدة خديجة على ممر العصور، دراسة توثيقية، الصفحة: ٢، مرقومة بالآلة الكاتبة، وصلتني مناولة من معالي الشيخ أحمد زكي يمانى وزير البترول والثروة المعدنية سابقاً يحفظه الله.

ص: ١٣٥

شاووش في رمضان عام ١٤٢٥ هـ، فتبين الأمر على خلاف ما يعتقد البعض أنّ هذا المنزل يقع في إطار الميضأة. ثانياً- دار الأرقم بن أبي الأرقم

تنسب هذه الدار إلى الصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم القرشي المخزومي «كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم قديماً، قيل: كان ثاني عشر، وكان من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا ونقله رسول الله (ص) سيفاً، واستعمله على الصدقات، وهو الذي استخفى رسول الله (ص) في داره، وهي في أصل الصفا، والمسلمون معه بمكة لما خافوا المشركين، فلم يزالوا بها حتى كملوا أربعين رجلاً، وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب، فلما كملوا به أربعين خرجوا...».

تدعى هذه الدار ب- (دار الخيزران) نسبة إلى أمّ الخليفة الرشيد، وفي التعريف به، ورد أنّ «دار الخيزران» هي دور حول المختبي، ملكتها الخيزران أمّ الرشيد شراء، لَمَاحجت، وتناقلت في يد الملاك إلى أن صارت من جملة أملاك السلطان مرادخان، جاء في (إتحاف فضلاء الزمن): وفي سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م، «عمّر إبراهيم بك دار الأرقم، وهي دار البيعة، ومجتمع الصحابة قبل الهجرة، جددها من أساسها إلى فوقها، وجعل فيها قبة عظيمة، وطاجين، ورمم البيت الشريف، وجعل لمبرك ناقته (ص) مسجداً، وله محراب صغير خلف المحل الشريف مما يلي الطريق، وعمّره من أساسه بالحجر

ص: ١٣٦

الشيبيكي، والشميسي، وجعل على جداره شراريف، وطبب، أعلى سطح الجميع بالنورة». (١)

انتهت العناية بهذا المكان في عهد الملك عبد العزيز، بأن أصبح مدرسه متخصصه في علم الحديث النبوي الشريف، درس فيه كبار العلماء أمثال: الشيخ عبدالظاهر أبي السمح، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة.

ظلت هذه المدرسه في هذا المكان المبارك تعمل على تدريس السنه الشريفه، وعلومها، تخرجت فيها أجيال كثيرة من أبناء العالم الإسلامي شرقه وغربه، فقامت بدور مهم.

أزيل مبنى هذه الدار مع بقية الدور حولها، عام ١٣٧٥-١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥-١٩٥٦ م، لصالح توسعه الحرم الشريف.

أطلق على باب الحرم في الجهة التي كانت بها الدار (باب الأرقم) تذكيراً للمكان الذي شهد بدايات الإسلام، ومعاناة المسلمين، وتخفيفهم لعبادة المولى جل وعلا، وفي البرج المجاور له في الحرم الشريف استقرت رئاسة جماعة تحفيظ القرآن، حيث تجتمع الحفظة فيه كل جمعة لتلاوة القرآن.

لاتزال مدرسه دار الحديث تؤدي وظيفتها التعليمية في مكة المكرمة، وقد تطورت الدراسة والمناهج فيها، وأغلب طلابها من الغرباء، وأصبحت شهادتها النهائية تؤهل للالتحاق بالجامعة.

ثالثاً- مولد الإمام علي بن أبي طالب (ع)

١- الطبري، محمد بن علي بن فضل المكي، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، ٢: ٢٢٣، الطبعة الأولى، مصر: دار الكتاب الجامعي، عام ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

ص: ١٣٧

تقرر هدم منطقة شعب على والمنازل على جبل أبي قبيس بما فيها مدرسة النجاح الليلية المقامة في موقع مولد سيدنا على بن أبي طالب (ع) في العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري/ الحادي والعشرين الميلادي، ضمن إزالة حى شعب بنى هاشم (سوق الليل) عام ١٤٠٢ هـ.

رابعاً- مسجد النحر بمنى، أزيل ضمن مباني منى من أجل توسعه الطرق المؤدية إلى الجمرات.

خامساً- مسجد الكبش بمنى، أزيل ضمن ما أزيل من المباني بمنى من أجل توسعه الطرق المؤدية إلى الجمرات.

سادساً- مسجد المرسلات، أزيل ضمن المباني التي أزيلت بمنى لتوسعه مسجد الخيف، والطرق المؤدية إلى نفق الملك خالد.

سابعاً- مولد جعفر بن محمد الصادق (ع) ليس له وجود في الوقت الحاضر.

ثامناً- دار العباس، دخل في المسعى ضمن توسعه الحرم الشريف، التوسعة الأولى عام ١٣٧٥ هـ.

ص: ١٣٨

الصيد

محسن الأسدي

سجل الصيد في حياة الناس المعيشية والتجارية والترفيهية دوراً مهماً وقديماً في تاريخها، فقد كان الفرس من أوائل الأمم التي اهتمت بالصيد، وهم أول من ضرى البزاة، وحتى ورد أن أول من صاد بالبازي أحد ملوك فارس أثناء رحلة في الطبيعة، وقد قال لرجال دولته: لقد رأيت في هذا الطائر ما يحير اللب، ويملأ القلب، فهو عظيم السطوة، شديد البأس، كبير النفس، طويل الصبر، جليل القدر، تخافه الطيور ولا يخافها ..، ثم واصل حديثه لهم: ولقد علمني هذا الطائر كثيراً مما لم أكن أعلمه من شؤون المملكة وسياسة الناس، فقد أرشدني إلى التزام «الحرمة»، والاستتار من أوباش الناس، وغض الطرف لاستمرار الهيبة، ودوام الصمت للخديعة والسرعة في البطش لتخويف الأعداء، وطول الأكل للاستمرار، وتصغير اللقم للأمن من الغصة، وتشمير الثوب للنظافة.. ثم ختم قوله: وبصورة عامة، لقد جمع هذا الطائر ضروب الأدب مع العقل الكامل.

ص: ١٣٩

هذا عند الفرس وأما عند الروم فهم الأمة الثانية بعد الفرس، التي اختلط بها العرب، فهم أول من لعب وأدب الشواهين واصطاد بها وبالعباق، ولم يسبقهم لاقتنائها أحد؛ يذكر المسعودي في مروج الذهب أن "قسطنطين" ملك عمورية، خرج يوماً يتصيد بالبراء، فكان أول من لعب بالشواهين، ويبدو أن قسطنطين هذا قد أولع بالشواهين ولعاً بالغاً، حتى أنه راضها على أن تظلل من الشمس، فكان إذا ركب حلقت كوكبة منها فوق موكبه، وحامت فوق رأسه، وسارت لمسيره.. فإذا نزل وقعت حوله..؛ وأما الصيد عند العرب في الجاهلية، فلم يكن في حقيقته وسيلة من وسائل الرزق وحسب، وإنما كان متعة من متع النفس، وفناً وأدباً، وبعد من فنون الفروسية وضرباً من ضروب الحرب في أيام السلم، وهم أول من ضرى الصقور وصاد بها، وأن أول من صاد بالصقر وضراه هو الحارث بن معاوية بن ثور بن كنده.

وأيضاً اهتموا بكلاب الصيد كثيراً، واهتمامهم هذا كان قديماً حتى كانت لها عندهم أنساب وأسماء له ولأبيه وجده وأمه، فقد كان لعدى بن حاتم خمسة كلاب سماها بأسماء أعلام، وأحياناً يسمونه باسم المنطقة التي جيء منها وينسبونه إليها، ككلب السلوقي، وهي نسبة إلى مدينة سلق قرب حضرموت، ويعد من أفضل أنواع كلاب الصيد، وقد كان كلب الصيد رفيق البدوي أين ما كان في حله وترحاله، وهو أدواته التي يصطاد بها ويعتاش منها..؛ والصيد بواسطة كلاب السلوقي من أجمل المتع والرحلات في البوادي

ص: ١٤٠

والفلوات والصيد به يعد أجمل بكثير من الصيد بواسطة الصقور وهذا امر مسلم به. وفي العصر الإسلامي، فقد كان الصيد بدرجة راح يتحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن أحكامه بل وآدابه، يقول سبحانه وتعالى في ذلك:

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ يُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. (١)

ومن السنة يقول عدى بن حاتم الطائي وهو أحد ملوك العرب في الجاهلية، حيث كان صياداً عرف بولعه فيه، وكان صاحب كلاب وجوارح، يستعملها في صيده، وكثرت أسأله لرسول الله (ص) عن الصيد حلاله وحرامه حتى وردت عنه عدة روايات تدلنا على مدى اهتمامه وغيره بهذا الأمر:

سألت رسول الله (ص) فقلت: إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب، فقال (ص): «إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم الله، فكل مما أمسكن عليك، إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه، فإن خالطها كلب من غيرها فلا تأكل». وسأله عن صيد الكلب، فقال (ص): «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فأمسك عليك فكل».

ص: ١٤١

سألت رسول الله (ص) عن صيد المعراض؟ قال: «ما أصاب بحده فكل، وما أصاب بعرضه فهو وقيد». قلت لرسول الله (ص): أرمى الصيد وأجده من الغد فيه سهمي؟ قال (ص): «إذا وجدت فيه سهمك وعلمت أنه قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل».

وهذا الشاعر أبو نواس اشتهر في تربيتها وذكرها في أشعاره وسمى ديوانه من بعده (الطروديات) وله:
أنعت كلباً أهله من كده قد سعدت جدودهم بجده
(١) الصيد لغة:

من الفعل صاد الطير والوحش ونحوهما صيداً: أمسكه بالمصيده؛ صاده: قنصه.
اصطاد: أمسك ومنه اصطاد الطير إذا أمسكه بالمصيده؛ والمصيد هو الطير، والمصيد والمصيده: آلة الصيد والجمع مصايد؛ والرجل صائد وصياد.

والصيد يطلق على الاصطياد فيكون مصدرًا؛ ويطلق على المصيد فيكون اسماً، أي ما يصاد، والجمع صيود.

١- أنظر في كل هذا: مروج الذهب للمسعودي؛ القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن؛ حلية الأولياء، لأبي نعيم ٤، ٧، ٨ عدى بن حاتم؛ وكتاب الصيد عند العرب، للدكتور عبد الرحمن الباشا، بتصرف.

ص: ١٤٢

القنص: من قنص الصيد يقنصه قنصاً واقتنصه وتقنصه: اصطاده، فهو قانص وقنيص وقناص، قنص الصيد وقنص والقنيص: المصيد. التصقر: التصيد بالصقر.

آيات الصيد فى القرآن الكريم

وردت كلمة الصيد فى القرآن الكريم أربع مرات فى الآيات التالية من سورة المائدة ١، ٢، ٤، ٩٤، ٩٥، ٩٦؛ و وردت كلمة فاصطادوا مرةً واحدةً فى الآية الثانية من السورة نفسها؛ فيما تضمنت الآية الرابعة وسائل الصيد وما يتوفر فيها، وأحكام شرعيةً لحليه ما يصاد، وهذا يعنى أن الصيد كل ما جاء فيه هو فى سورة المائدة فقط.

سورة المائدة:

الآية الأولى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمِيَهُ لَأَنْعَامٍ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ.

الآية الثانية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا لَشَهْرٍ لِحَرَامٍ وَلَا لِهَيْدَى وَلَا لِقَلَابِدٍ وَلَا آمِينَ لُبَيْتٍ لِحَرَامٍ يَبْتَغُونَ فِضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ لِحَرَامٍ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى لُبِّ وَتَتَّقُوا وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى لَائِمٍ وَلَعْدُونَ وَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

ص: ١٤٣

الآية الرابعة: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلُوبَ أَحِلَّ لَكُمْ لَطِيبَاتٍ وَمَا عَلَّمْتُم مِّن لَّحْيٍ وَارِحِ مَكَلِّبِينَ تَعَلَّمُونَهَا مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَذُكُرُوا سَمَ لِلَّهِ عَلَيْهِ وَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ لِّحِسَابٍ.

الآية الرابعة والتسعون: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشْيَاءٍ مِّن لَّصِيدٍ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ عَتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

الآية الخامسة والتسعون: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا لَصِيدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ كُغْبِهِ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٍ مَّسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَاماً لِّدُوقٍ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا لِلَّهِ غَمًّا سَلَفٌ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو نِقَامٍ.

الآية السادسة والتسعون: أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ بَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ بَرٍّ مِمَّا دُمْتُم حُرماً وَتَّقُوا اللَّهَ لَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

نبدأ أولاً بالآية ٤ من المائدة؛ لأنها تتحدث عن وسائل عملية الصيد وما يجب توفره فيها، وما يترتب على هذه العملية من شروط ليكون ما ينتج عنها طيباً حلالاً..

في سبب النزول ذكروا عن سعيد بن جبير وأيضاً عن أبي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير: أنها نزلت في عدى بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله (ص) زيد الخير؛ قالوا: يا رسول الله (ص) إنا قوم نصيد بالكلاب والبراة، وإن الكلاب تأخذ البقر والحمير والظباء والضب، فمنه ما ندر ك ذكاته، ومنه ما تقتله، فلا ندر ك

ص: ١٤٤

ذكاته، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت الآية: الطيبات: الذبائح وما علمتم من الجوارح يعنى: وصيد ما علمتم من الجوارح، وهى الكواكب من الكلاب وسباع الطير. وهناك سبب آخر وتفصيل له ذكره عن أبى رافع .. وأن رسول الله (ص) لما نزلت هذه الآية أذن فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها، ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها .. بعد أن سأله: ماذا يحل لنا من هذه الأئمة ..؟. (١)

وهذا يدل على الدور الذى يحتاجونه من هذا الحيوان وصعوبة الاستغناء عنه فى مشروع الصيد الذى يحتل مكانة فى حياتهم ومعيشتهم ..

جاء علماء الحيوان، وفسروا الجوارح بقولهم وهذه خلاصته:

إن كلمة الجارح تطلق على كل ما يطير كالبازى، والشاهين، والصقر، وغيرها، وكلمة الضارى تطلق على كل ما يسير، كالفهد والأسد وغيرها لم تفرق بين طائر يطير أو وحش يسير.. فجاء الإنسان بهداية ربانية ولحاجة جسديه، وبفطرة إنسانية .. هدته لمعرفة بعض أسرار هذه المخلوقات، ليتقن فن التعامل معها.. يأمرها فتطيع وينهاها فتستجيب... فسبحان الله فى علاه!، لقد حباه من العقل ما مكنه من التغلب على أقوى الحيوانات وتأنيس وحشها، وتضرية سباعها.. وتسليط بعضها على بعض .. فضرب الضعيف بالقوى.. واصطاد الغبى بالذكى.. وجنى ثمرات ذلك كله لنفسه ولبنى جلدته!

١- أسباب النزول للواحدى؛ تفسير القرطبي بإيجاز بسيط.

ص: ١٤٥

وفى اللغة: الجوارح جمع جارحة، والهاء للمبالغة، سميت بذلك؛ لأنها تجرح الصيد غالباً أو لأنها تكسب، والجرح: الكسب ومنه: ويعلم ما جرحتم بالنهار. (١) والجوارح تعنى الكواسب من سباع البهائم والطيور، كالكلب والعقاب؛ ولأنها تكسب أربابها الطعام بصيدها سميت جوارح، يقال: جرح فلان أهله خير إذا كسبهم خيراً، وفلان جارحة أهله أى كاسبهم، ولا جارحة لفلانة أى لا كاسب لها.

مكلبين: يعنى مؤذيين ومضرين أى معوديتها على الضراوة؛ والمكلب اسم مفعول من كلب، أى: المضرى بالصيد من هذه الجوارح، والمروض منها على الافتراس؛ لأن الترويض أكثر ما يكون للكلب، فاشتق من لفظه، لشيوع الغلبة عليه. (٢)
مع بعض المفسرين:

عديده هى الأسئلة التى كان المسلمون يوجهونها لرسول الله (ص) وهى دليل تخرجهم وتوقيهم مما كان يعمل به فى الجاهلية، وحرصاً منهم على معرفة ما إذا كان للشريعة رأى فيه، وأنها ترتضيه وتقره .. حتى يكونوا على يقين من حليته أى شىء يريدون أن يقربوه، وحتى لا يقعوا فى مخالفة أمر

١- سورة الأنعام: ٦٠.

٢- الدر المصون، للسمين الحلبي؛ مجمع البيان، للطبرسي؛ إعراب القرآن الكريم، محيى الدين الدرويش، الآية.

ص: ١٤٦

شرعى، وبالتالي عليهم أن ينسجموا مع منهج السماء وأحكامها فى حلالها وحرامها، وأن يكونوا على معرفة بها ووعى لأهدافها وحكمها.

ومنها هذا السؤال الوارد فى الآية الكريمة بعد ما عرفوا آيات التحريم فى الآيات الثلاث قبلها:

يسألونك ماذا أحل لهم؟ وجاءهم الجواب على لسان رسول الله (ص) بأمر من الله تعالى له؛ ليحل لهم أمرين كما توفرت عليهما الآية المذكورة:

الأمر الأول: قل أحل لكم الطيبات يقول سيد قطب فى تفسيره فى ظلال القرآن: وهو جواب يستحق التأمل.. إنه يلقى فى حسهم هذه الحقيقة: إنهم لم يحرموا طيباً، ولم يمنعوا عن طيب، وإن كل الطيبات لهم حلال، فلم يحرم عليهم إلا الخبائث.. والواقع أن كل ما حرمه الله هو ما تستقذره الفطرة السليمة من الناحية الحسية؛ كالميتة والدم ولحم الخنزير، أو ينفر منه القلب المؤمن كالذى أهل لغير الله به أو ما ذبح على النصب، أو كان الاستقسام فيه كالأزلام وهو نوع من الميسر..

الشيخ الطبرسى فى مجمع البيان: لَمَّا قَدَّمَ سبحانه ذكر المحرمات عَقَّبَهُ بذكر ما أحل فقال: يسألونك يا محمد ماذا أحل لهم معناه أى شىء أحل لهم أى يستخبرك المؤمنون ما الذى أحل لهم من المطاعم والمآكل وقيل: من الصيد والذبائح قل يا محمد أحل لكم الطيبات منها، وهى الحلال الذى أذن لكم ربكم فى أكله من المأكولات والذبائح والصيد عن أبى على الجبائى وأبى مسلم؛ وقيل: مما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا أولى لما

ص: ١٤٧

ورد أن الأشياء كلها على الإطلاق والإباحة حتى يرد الشرع بالتحريم؛ وقال البلخي الطيبات ما يستلذ..

ابن كثير في تفسير القرآن الكريم: لما ذكر تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لمتناولها، إما في بدنه، أو في دينه، أو فيهما، واستثنى ما استثناه في حالة الضرورة؛ كما قال تعالى: وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ضُطِرُّرْتُمْ إِلَيْهِ. (١) قال: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ لَطَائِبَاتُ؛ كما في سورة الأعراف في صفه محمد (ص) أنه: وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ. (٢) عن سعيد بن جبيرة، عن عدى بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائين، سألا رسول الله (ص) فقالا: يا رسول الله، قد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ لَطَائِبَاتُ قال سعيد: يعنى الذبائح الحلال الطيبة لهم؛ وقال مقاتل: الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه، وهو الحلال من الرزق..

القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: الطيبات: الحلال، وكل حرام فليس بطيب، وقيل: ما التذنه آكله وشاربه، ولم يكن عليه فيه ضرر في الدنيا ولا في الآخرة، وقيل: الطيبات الذبائح؛ لأنها طابت بالتذكية.

السيد العلامة في الميزان في تفسير القرآن: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ لَطَائِبَاتُ؛ سؤال مطلق، أجيب عنه بجواب مطلق فيه إعطاء الضابط الكلى الذى يميز الحلال من الحرام، وهو أن يكون ما يقصد التصرف

١- سورة الأنعام: ١١٩.

٢- سورة الأعراف: ١٥٧.

ص: ١٤٨

فيه بما يعهد في مثله من التصرفات أمراً طيباً، وإطلاق الطيب أيضاً من غير تقييده بشيء يوجب أن يكون المعبر في تشخيص طيبه استطابة الأفهام المتعارفة ذلك فما يستطاب عند الأفهام العادية فهو طيب، وجميع ما هو طيب حلال؛ وإنما نزلنا الحلية والطيب على المتعارف المعهود لمكان أن الإطلاق لا يشمل غيره على ما بين في فن الأصول.

الأمر الثاني: وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنْ لِّجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَذُكِّرُوا سَمَ لِلَّهِ عَلَيْهِ ...

وهذا هو الطعام الآخر الذي أحلته السماء، ولكن بشروط؛ ولأننا بصدد الحديث عن حرمة الصيد للمحرم، نذكر بعض أقوالهم موجزة: سيد قطب: ويضيف إلى الطيبات- وهي عامة- نوعاً منها يدل على طبيته تخصيصه بالذكر بعد التعميم، وهو ما تمسكه الجوارح المعلمة المدربة على الصيد كالصقر والبازي، ومثلها كلاب الصيد، أو الفهود والأسود، مما علمه أصحابه كيف يكلب الفريسة أي يكلبها ويصطادها.

يقول الشيخ السيوري في كنز العرفان:

١- أنه لا يباح أكل صيد غير المعلم.

٢- إباحة تعليم الجوارح كلها والصيد بها.

٣- أنه لا بد في إباحة الصيد من العقر والجرح لمدلول «الجوارح».

الطبرسي في مجمع البيان:

وقيل: الجوارح هي الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي وهو المروي عن أئمتنا (هم) فإنهم قالوا هي الكلاب المعلمة خاصة أحله الله

ص: ١٤٩

إذا أدركه صاحبه وقد قتله لقوله: فكلوا ممّا أمسكن عليكم وروى على بن إبراهيم فى تفسيره بإسناده عن أبى بكر الحضرمى عن أبى عبد الله (ع) قال: سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال: «لا تأكل إلّا ما ذكيت إلّا الكلاب»؛ فقلت: فإن قتله؟ قال: «كُلْ فإنّ الله يقول: وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنْ لِّجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَذُكُرُوا سَمَ لِلَّهِ عَلَيْهِ؛ ثم قال (ع): كل شىء من السباع تمسك الصيد على نفسها إلّا الكلاب المعلمة فإنها تمسك على صاحبها؛ وقال: إذا أرسلت الكلب المعلم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو أن تقول: بسم الله والله أكبر».

ويؤيد هذا المذهب ما يأتى بعد من قوله: مكّبين أى أصحاب الصيد بالكلاب؛ وقيل: أصحاب التعليم للكلاب.

يقول ابن كثير: أحل لكم الذبائح التى ذكر اسم الله عليها، والطيبات من الرزق، وأحل لكم ما اصطدموه بالجوارح، وهى الكلاب والفهود والصقور وأشباهها؛ كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة، وممن قال ذلك على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله: وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنْ لِّجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ وهن الكلاب المعلمة، والبازى، وكل طير يعلم للصيد.

وروى عن الحسن أنه قال: الباز والصقر من الجوارح، وروى عن على بن الحسين مثله،.. والمحكى عن الجمهور أنّ الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب؛ لأنها تكلب الصيد بمخالبتها كما تكلبه الكلاب، فلا فرق، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم؛ واختاره ابن جرير، واحتج فى ذلك بما رواه

ص: ١٥٠

عن عدى بن حاتم، قال: سألت رسول الله (ص) عن صيد البازي، فقال: «ما أمسك عليك فكل».

العلامة في الميزان: والجوارح: جمع جارحة وهي التي تكسب الصيد من الطير كالصقر والبازي والكلاب والفهود، وقوله: مُكَلِّبٌ حال، وأصل التكليب تعليم الكلاب وتربيتها للصيد أو اتخاذ الصيد وإرسالها لذلك، وتقييد الجملة بالتكليب لا يخلو من دلالة على كون الحكم مختصاً بكلب الصيد لا يعمده إلى غيره من الجوارح.

وقوله: مما أمسكن عليكم التقييد بالظرف للدلالة على أن الحل محدود بصورة صيدها لصاحبها لا لنفسها.

وقوله: واذكروا اسم الله عليه تتميم لشرائط الحل وأن يكون الصيد مع كونه مصطاداً بالجوارح ومن طريق التكليب والإمساك على الصائد مذكوراً عليه اسم الله تعالى.

ثم يقول: ومحصل المعنى أن الجوارح المعلمة بالتكليب- أي كلاب الصيد- إذا كانت معلمة واصطادت لكم شيئاً من الوحش الذي يحل أكله بالتذكية وقد سميت عليه، فكلوا منه إذا قتلته دون أن تصلوا إليه فذلك تذكية له، وأما دون القتل فالتذكية بالذبح والإهلال به لله يغني عن هذا الحكم.

يقول الشيخ الطبرسي: تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ أَي لَأَن تَوَدَّبُونَهُنَّ حَتَّى يَصْرُنَّ مَعْلَمَةً مِمَّا أَلْهَمَكُمُ اللَّهُ بِعُقُولِكُمْ حَتَّى مَيِّزَ تَمَّ بَيْنَ الْمَعْلَمِ وَغَيْرِ الْمَعْلَمِ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ أَيْضاً عَلَى أَنَّ صَيْدَ الْكَلْبِ غَيْرَ الْمَعْلَمِ حَرَامٌ إِذَا لَمْ

ص: ١٥١

يدرك ذكاته؛ وقيل: معناه كما علمكم الله عن السدى وهذا بعيد لأنَّ مِنْ بمعنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا تقارب بينهما لأنَّ الكاف للتشبيه وَمِنْ للتبعيض؛ واختلف في صفة الكلب المعلم فقيل: هو أن يستشلى (تهيج) لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه ويمسك عليه إذا أخذه ويستجيب له إذا دعاه ولا يفتر منه فإذا توالى منه ذلك كان معلماً؛ عن سعد بن أبي وقاص وسلمان وابن عمر. وقيل: هو ما ذكرناه كله وإن لا يأكل منه عن ابن عباس وعدي بن حاتم وعطاء والشعبي وطاوس والسدي، فروى عدي بن حاتم عن النبي (ص) أنه قال: «إذا أكل الكلب من الصيد فلا تأكل منه فإنما أمسك على نفسه»؛ وقيل: حدّ التعليم أن يفعل ذلك ثلاث مرات عن أبي يوسف ومحمد؛ وقيل: لا حدّ لتعليم الكلاب وإذا فعل ما قلناه فهو معلّم، ويدل على ذلك ما رواه أصحابنا أنه إذا أخذ كلب المجوسى فعلمه في الحال فاصطاد به جاز أكل ما يقتله، وقد تقدم أنّ عند أهل البيت لا يحل أكل صيد غير الكلب إلا ما أدرك ذكاته ومن أجاز ذلك قال: إن تعلم البازي هو أن يرجع إلى صاحبه، وتعلم كل جارحة من البهائم والطيور هو أن يشلى على الصيد فيستشلى ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب، فإذا كان كذلك كان معلماً أكل منه أو لم يأكل، روى ذلك عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وابن عمر، وقال آخرون: ما أكل منه فلا يؤكل؛ روه عن علي (ع) والشعبي وعكرمة.

ص: ١٥٢

وعن التعليم يقول السيورى فى كثر العرفان: تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى كَوْنِ التَّعْلِيمِ أَمْرًا مُسْتَفَادًا كَيْفِيَّتَهُ مِنَ الشَّارِعِ، فَقَالَ أَصْحَابُنَا نَقْلًا عَنْ أُنْمَتِهِمْ (هم) أَنَّ التَّعْلِيمَ يَحْصُلُ بِأُمُورٍ:

الأول: الاسترسال إذا أغرى.

الثانى: الانزجار إذا زجر.

الثالث: أن لا يعتاد أكل صيده.

الرابع: الاستمرار على ذلك غالباً ولا اعتبار بالندرة نفيًا أو إثباتًا.

وعن قوله تعالى: فَكُلُوا مِمَّا أُمْسِكُمْ عَلَيْكُمْ يَقُولُ الطَّبْرَسِيُّ: أَى مِمَّا أَمْسَكَ الْجَوَارِحَ عَلَيْكُمْ، وَهَذَا يَقْوَى قَوْلَ مَنْ قَالَ: مَا أَكَلَ مِنْهُ الْكَلْبُ لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ؛ لِأَنَّهُ أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَمِنْ شَرْطِ فِى اسْتِبَاحَةِ مَا يَقْتُلُهُ الْكَلْبُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَهُ قَدْ سَمِيَ عِنْدَ إِرسَالِهِ، فَإِذَا لَمْ يَسْمَ لَمْ يَجْزْ لَهُ أَكْلُهُ إِلَّا إِذَا أَدْرَكَ ذَكَاتَهُ، وَأَدْنَى مَا يَدْرَكَ بِهِ ذَكَاتُهُ أَنْ يَجِدَهُ تَتَحَرَّكُ عَيْنُهُ أَوْ أُذُنُهُ أَوْ ذَنْبُهُ، فَتَذَكِيَّتُهُ حَيْثُذُ بِفَرَى الْحَلْقُومِ وَالْأُودَاجِ.

وَإِذْكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَى قَبْلَ الْإِرسَالِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَالسُّدِىِّ؛ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِذْكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى ذَبْحِ مَا تَذْبِحُونَهُ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِى وَجُوبِ التَّسْمِيَةِ وَالْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَصَحُّ.

وَإِتَّقُوا اللَّهَ أَى اجْتَنِبُوا مَا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ فَلَا تَقْرَبُوهُ وَاحْذَرُوا مَعْاصِيَهُ الَّتِى مِنْهَا أَكَلَ صَيْدَ الْكَلْبِ غَيْرَ الْمَعْلَمِ أَوْ مَا لَمْ يَمْسِكْهُ عَلَيْكُمْ أَوْ مَا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ.

ص: ١٥٣

يَأْتِيهَا لَدِينِ آمَنُوا لِيُبْلُوَنَكُمْ لِلَّهِ بِشَيْءٍ مِّنَ لِّصِيدٍ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ عَتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.
الروايات:

عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (ع) قال في قوله عز وجل: لِيُبْلُوَنَكُمْ لِلَّهِ بِشَيْءٍ مِّنَ لِّصِيدٍ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ قال: «حشرت لرسول الله (ص) في عمره الحديبية الوحوش حتى نالتها أيديهم ورماحهم.

عن أحمد بن محمد رفعه في قول الله تبارك وتعالى: تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ قال: ما تناله الأيدي البيض والفراخ، وما تناله الرماح فهو ما لا تصل إليه الأيدي.

عن الحلبي قال سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: لِيُبْلُوَنَكُمْ لِلَّهِ بِشَيْءٍ مِّنَ لِّصِيدٍ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ قال: «حشر عليهم الصيد (من كل وجه) حتى دنا منهم ليلونهم به.

وفي الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: أنزلت هذه الآية في عمره الحديبية، فكانت الوحوش والطيور والصيد تغشاهم في رحالهم، لم يروا مثله قط فيما خلا؛ فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون، ليعلم الله من يخافه بالغيب. (١) مع المفسرين: الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، والشيخ السيوري في كنز العرفان في فقه القرآن: خص المؤمنين بالذكر وإن كان الكفار أيضاً

١- وسائل الشيعة، أبواب تروك الإحرام؛ الميزان، للسيد الطباطبائي ١٤٤ ١٤٣: ٧، بحث روائى.

ص: ١٥٤

مخاطبين بالشرائع؛ لأنهم القابلون لذلك المنتفعون به؛ وقيل: لأنه لم يعتد بالكفار.

البلاء هو الامتحان والاختبار، ولام القسم والنون المشددة للتأكيد، وقوله: بشيء من الصيد يفيد التحقير ليكون تلقينه للمخاطبين عوناً لهم على انتهائهم إلى ما سيواجههم من النهى فى الآيه الآتية..

لَيَبْلُوَنَّكُمْ لَلَّهٗ شَيْءٌ مِّنْ لَّصِيْدٍ اٰى لِيخْتَبِرَنَّ اَللهُ طَاعَتَكُمْ عَن مَّعْصِيَتِكُمْ؛ واللام للابتداء أو التأكيد.

بشئٍ مِّنَ الصَّيْدِ اٰى بتحريم شئٍ مِّنَ الصَّيْدِ وَاِنَّمَا بَعْضٌ لَّأَنَّهُ عَنِ صَيْدِ الْبَرِّ. فيما السيورى يذهب إلى أن بشئٍ مِّنَ جنس الصيد ومن هنا للبيان؛ ومعنى الاختبار من الله أن يأمر وينهى ليظهر المعلوم ويصحح الجزاء؛ قال أصحاب المعانى: امتحن الله أمه محمد (ص) بصيد البر كما امتحن أمه موسى (ع) بصيد البحر، وكما ابتلى قوم طالوت بالنهر.

القرطبى فى أحكام القرآن ذكر مسائل فى الآيه:

الأولى: قوله تعالى لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللهُ اٰى لِيخْتَبِرَنَّكُمْ، والابتلاء الاختبار؛ وكان الصيد أحد معاش العرب العاربة، وشائعاً عند الجميع منهم، مستعملاً جداً، فابتلاهم الله فيه مع الإحرام والحرم، كما ابتلى بنى إسرائيل فى أَلَّا يعتدوا فى السبت. وقيل: إنها نزلت عام الحديبية؛ أحرم بعض الناس مع النبى (ص) ولم يحرم بعضهم، فكان إذا عرض صيداً اختلف فيه أحوالهم وأفعالهم، وشتبهت أحكامه عليهم، فأنزل الله هذه الآيه بياناً لأحكام أحوالهم وأفعالهم، ومحظورات حجهم وعمرتهم.

ص: ١٥٥

ثم يقول في المسألة الثانية: اختلف العلماء من المخاطب بهذه الآية على قولين: أحدهما: أنهم المُجَلِّون، قاله مالك.

الثاني: أنهم المحرمون قاله ابن عباس، وتعلق بقوله تعالى: لَيُنَلَّوْكُمْ فَإِنَّ تَكْلِيفَ الْاِمْتِنَاعِ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاِبْتِلَاءُ هُوَ مَعَ الْاِحْرَامِ. قال ابن العربي: وهذا لا يلزم؛ فإن التكليف يتحقق في المُجَلِّ بما شرط له من أمور الصيد، وما شرع له من وصفه في كيفية الاصطياد. ويخلص القرطبي إلى أن الصحيح أن الخطاب في الآية لجميع الناس مُحَلِّهم ومُحَرِّمهم؛ لقوله تعالى: لَيُنَلَّوْكُمْ لَلَّهٗ اٰى لِيَكْلِفْنٰكُمْ، والتكليف كله ابتلاء وإن تفاضل في الكثرة والقلّة، وتباين في الضعف والشدّة.

وفي المسألة الثالثة: قوله تعالى: بِشَيْءٍ مِّنْ لَّصِيْدٍ يَّرِيْدُ بَعْضَ الصَّيْدِ، فَمِنَ اللَّتَبْعِيْضِ، وَهُوَ صَيْدُ الْبَرِّ خَاصَّةً، وَلَمْ يَعْمْ الصَّيْدُ كُلَّهُ لِأَنَّ الْبَحْرَ صَيْدًا، قَالَ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرِهِ. وَأَرَادَ بِالصَّيْدِ الْمَصِيْدَ، لِقَوْلِهِ: تَنَالَهُ اَيْدِيْكُمْ.

القرطبي في المسألة الرابعة: قوله تعالى: تَنَالَهُ اَيْدِيْكُمْ وَرِمَاحُكُمْ بَيَانَ لِحَكْمِ صَغَارِ الصَّيْدِ وَكِبَارِهِ؛ وَقَرَأَ بِنِ وَثَابٍ وَالتَّخَعِّي: «يُنَالُهُ» بِالْيَاءِ مَنْقُوطَةً مِنْ تَحْتِ. قَالَ مَجَاهِدٌ: الْاَيْدِي تَنَالُ الْفِرَاحَ وَالْبِيْضَ وَمَا لَا يَسْتَطِيْعُ اَنْ يَّفِرَّ، وَالرِّمَاحُ تَنَالُ كِبَارَ الصَّيْدِ؛ وَقَالَ بِنِ وَهَبٌ قَالَ مَالِكٌ: وَكُلُّ شَيْءٍ يُنَالُهُ الْاِنْسَانُ بِيَدِهِ اَوْ بِرِمْحِهِ اَوْ بِشَيْءٍ مِنْ سِلَاحِهِ فَقَتَلَهُ فَهُوَ صَيْدٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى.

ص: ١٥٦

و فى المسألة الخامسة: خص الله تعالى الأيدى بالذكر، لأنها عظم التصرف فى الاصطياد، وفيها تدخل الجوارح والجبالوت، وما عمل باليد من فخاخ وشباك؛ وخص الرماح بالذكر لأنها عظم ما يجرح به الصيد، وفيها يدخل السهم ونحوه.

وفى المسألة السابعة: قال القرطبى: حتج بعض الناس على أن الصيد للآخذ لا للمثير بهذه الآية، لأن المثير لم تنل يده ولا رمحه بعد شيئاً، وهو قول أبى حنيفة.

وأما الطبرسى فيقول: تنال أيدىكم ورماحكم قيل فيه أقوال:

أحدها: أن المراد به تحريم صيد البر والذى تناله الأيدى من فراخ الطير وصغار الوحش والبيض، والذى تناله الرماح الكبار من الصيد، عن ابن عباس ومجاهد وهو المروى عن أبى عبد الله (ع).

وثانيها: أن المراد به صيد الحرم ينال بالأيدى والرماح، لأنه يأنس بالناس ولا ينفى عنهم فيه، كما ينفى فى الحل، وذلك آية من آيات الله عن أبى على الجبائى.

وثالثها: أن المراد به ما قرب من الصيد وما بعد.

السيورى فى كنز العرفان: أن ذلك الصيد المبتلى به ليس بعيداً عنهم ولا ما يصعب عليهم تناوله، فإن ذلك مما لا فائدة فى الاختبار به، كما لا يبتلى الله العينين بالحسناء، والأخشم بلذيد الرائحة (والأخشم: من لا يكاد يشم شيئاً لسده فى خياشيمه) بل بما هو قريب منهم تناله أيديهم ورماحهم؛ وكان قد كثر الصيد عندهم بالحديبية وهو محرمون، بحيث يدخل فى أمتعتهم

ص: ١٥٧

حتى كانوا يتمكنون من قبضه بأيديهم، وقيل: المراد بما تناله أيديهم الصغار ورماحهم الكبار عن الصادق (ع) وابن عباس؛ وقيل: بل الأول صيد الحرم لأنسه بهم، والثاني صيد الحل لنفوره عنهم.

الطبرسى فى لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ معناه ليعاملكم معاملة من يطلب منكم أن يعلم مظاهره فى العدل، ووجه آخر ليظهر المعلوم وهو أن يخاف بظهر الغيب، فينتهى عن صيد الحرم طاعة له تعالى؛ وقيل: ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود، لأنه لم يزل عالماً بأنه سيخاف فإذا وجد الخوف علم ذلك موجوداً وهما معلوم واحد وإن اختلفت العبارة عنه فالحدوث إنما يدخل على الخوف لا على العلم وقوله: بِالْغَيْبِ معناه فى حال الخلوة والتفرد.

وقيل: معناه أن يخشى عقابه إذا توارى بحيث لا يقع عليه الحس عن الحسن؛ وقال أبو القاسم البلخى: إن الله تعالى وإن كان عالماً بما يفعلونه فيما لم يزل فإنه لا يجوز أن يُثبِّه ولا يعاقبهم على ما يعلمه منهم وإنما يستحقون ذلك إذا علمه واقعاً منهم على الوجه الذى كلفهم عليه فإذا لا بد من التكليف والابتلاء.

والسيورى يقول: إن ذلك الابتلاء ليس عبثاً، لصيانته أفعال الحكيم عن ذلك، كما دل عليه الدليل، بل لغاية مقصودة وهى تميز من يخافه بالغيب أى فى القيامه ممن لا يخافه؛ وقيل: الغيب حال انفراد المكلف عن الناس...

فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ أَى من تجاوز حدَّ الله وخالف أمره بالصيد فى الحرم وفى حال الإحرام.

ص: ١٥٨

فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ أى مؤلم، وفي تنكير العذاب وإبهامه تشديد لحال الصيد..

الصيد والحرم والإحرام

لقد سجلت للصيد أحكام كثيرة وكفارات مفصلة في موسم الحج والعمرة للإنسان المحرم، حينما ينوى الإحرام في حج أو عمرة.. وأيضاً وهو يعيش أو يتواجد في مناطق الحرم في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة، فلا فرق بين الحرمين المباركين الحرم المكي والحرم المدني.

فالقربى في تفسيره في المسألة الثامنة في الآية ٩٥ من المائدة بعد أن يذكر: رجل حرام وامرأة حرام وجمع ذلك حرم .. يقول: وهذا اللفظ يتناول الزمان والمكان وحالة الإحرام بالاشتراك لا بالعموم؛ يقال: رجل حرام إذا دخل في الأشهر الحرم أو في الحرم، أو تلبس بالإحرام؛ إنما أن تحريم الزمان خرج بالإجماع عن أن يكون معتبراً، وبقي تحريم المكان وحالة الإحرام على أصل التكليف؛ قاله ابن العربي.

وفي التاسعة، القربى وبعد أن يقول التالي: حرم المكان حزمان؛ حرم المدينة وحرم مكة؛ يذكر أقوالاً مختلفة وأدلتها، نكتفي بشيء منها وبعض الروايات؛ يقول: وزاد الشافعي الطائف، فلا يجوز عنده قطع شجره، ولا صيد صيده، ومن فعل ذلك فلا جزاء عليه - فأما حرم المدينة فلا يجوز فيه الاصطياد لأحد ولا قطع الشجر كحرم مكة، فإن فعل أثم ولا جزاء عليه عند مالك والشافعي وأصحابهما؛ وقال بن أبي ذئب: عليه الجزاء .. وقال أبو حنيفة: صيد المدينة غير محرّم، وكذلك قطع شجرها ..

ص: ١٥٩

عن سعيد بن المسيب "أن أبا هريرة قال: لو رأيت الطباء تَرْتَع بالمدينة ما دَعَرْتُهَا، قال رسول الله (ص): «ما بين لابتيتها حرام» فقول أبي هريرة ما دَعَرْتُهَا دليل على أنه لا يجوز ترويع الصيد في حرم المدينة، كما لا يجوز ترويعه في حرم مكة .. قوله (ص): «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أَحْرَمُ الْمَدِينَةَ مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ مَكَّةَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا وَلَا يُعْصَدُ شَجْرُهَا وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا».

قوله (ص): «المدينة حَرَّمٌ ما بين غير إلى ثور فمن أحدث فيها حَدَثًا أو آوى مُحدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». (١) حدود الحرمين المباركين:

ولضرورة معرفة الحرمين المكي والنبوي اللذين يحرم فيهما الصيد، ويتم فيهما تفعيل أحكامه على المحرم والمحل، نذكر التالي: حدود الحرم المكي نصبت عليه أعلام من جهاته، وهي أحجار مرتفعة قدر متر منصوبة من جانبي كل طريق كما جاء في كتاب «فقه السنة»، فمن جهة الشمال مكان يدعى: «التنعيم» وبينه وبين مكة ٦ كيلومترات؛ ومن الجنوب «أضياء» بينها وبين مكة ١٢ كيلومتراً؛ ومن جهة الشرق «الجعرانة» وبينها وبين مكة ١٦ كيلومتراً؛ ومن جهة الغرب

١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، الآية.

ص: ١٦٠

"الشميسى" وبينه وبين مكة ١٥ كيلومتراً؛ فيما قال العلامة الحلى الإمامى فى التذكرة: إنَّ حد الحرم المكى بريد فى بريد- البريد ١٢ ميلاً-

ويذكر الزحيلي: أنَّ حد الحرم من طريق المدينة على ثلاثة أميال من مكة عند بيوت بنى نفار أو السقيا، وتعرف الآن بمساجد عائشة، ومن طريق اليمن على سبعة أميال طرف أضواء لبن فى ثنية لبن، ومن طريق العراق على سبعة أميال من مكة على ثنية جبل بالمنقطع أو المقطع، ومن الطائف وبطن نمره على طريق عرفات على سبعة أميال من مكة عند طرف عرفة، ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال فى شعب آل عبد الله بن خالد، ومن جدة على عشرة أميال من مكة عند منقطع الأعشاش، ومن بطن عرنة أحد عشر ميلاً؛ وأما وج- بفتح الواو وتشديد الجيم- وهو واد بالطائف فهو من الحل ..

أما حد الحرم النبوى فقدرة اثنا عشر ميلاً يمتد من غير إلى ثور، وغير جبل عند الميقات، وثور جبل عند أحد؛ والعلامة فى التذكرة قال: وحدَّ حرم المدينة من عاير إلى غير؛ وجاء فى كتاب المغنى "أنَّ أهل العلم بالمدينة لا يعرفون ثوراً ولا عيراً" وغير بعيد أن تتغير الأسماء بمرور الزمن.

الزحيلي يذكر أنَّ حرم المدينة جنوباً وشمالاً بريد فى بريد ما بين عائر إلى ثور لخبر الصحيحين: "المدينة حرم من غير إلى ثور" وعائر أو غير اسم جبل مشهور بقرب المدينة، وثور: جبل صغير وراء أحد من جهة الشمال، وجبل أحد من الحرم؛ وشرقاً وغرباً بريد فى بريد أيضاً ما بين لابتها، لقوله (ص): «حرم رسول الله (ص) ما بين لابتى المدينة» فمساحتها

ص: ١٤١

بريد في بريد من جهاتها الأربع، وسورها الآن هو طرفها في زمنه (ص). وجعل النبي (ص) حول المدينة اثني عشر ميلاً. (١) يَأْتِيهَا لَدِينِ
 آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّيِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. (٢)
 المشهور في القراءة: حرم بضم الحاء والراء، وفي الشواذ قرأ الحسن وإبراهيم ويحيى بن وثاب «حُزْم» بسكون الزاء، وهي لغة تميمية
 يقولون في رُسل: رُسل وفي كُتب كُتب ونحوه.

وقد أجملت سورة المائدة في أول آية منها حرمة الصيد على المحرم.

وفي هذه الآية أقوال ثلاثة، كما بينها الشيخ الطبرسي في مجمع البيان حيث يقول: فِي غَيْرِ مُحَلِّيِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ مِنْ قَالَ: إِنَّهُ حَالٌ
 مِنْ أَوْفُوا فَمَعْنَاهُ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ غَيْرَ مُحَلِّيِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ أَيْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ؛ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ حَالٌ مِنْ أَحَلَّتْ لَكُمْ فَمَعْنَاهُ أَحَلَّتْ
 لَكُمْ بِهِمَّةَ الْأَنْعَامِ أَيْ الْوَحْشِيَّةَ مِنَ الظَّبَاءِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمَرِ غَيْرِ مُسْتَحْلِينَ اصْطِيَادَهَا فِي حَالِ الْإِحْرَامِ.
 وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ حَالٌ مِنْ يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَمَعْنَاهُ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةَ الْأَنْعَامِ كُلِّهَا إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّيْدِ فِي آخِرِ السُّورَةِ غَيْرِ مُسْتَحْلِينَ
 اصْطِيَادَهَا فِي حَالِ إِحْرَامِكُمْ ..

١- الفقه على المذاهب الخمسة، لمغنية ٢٢٥-٢٢٧؛ الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي ٣١٨: ٣-٣١٩، ٣٣٣.

٢- سورة المائدة: ١.

ص: ١٤٢

القرطبي في تفسيره: في المسألة الخامسة- قوله تعالى: غَيْرَ مُحْلَى لَصَيْدٍ أَى مَا كَانَ صَيْدًا فَهُوَ حَلَالٌ فِي الْإِحْلَالِ دُونَ الْإِحْرَامِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ صَيْدًا فَهُوَ حَلَالٌ فِي الْحَالِينَ؛ وَخْتَلَفَ النَّحَاءُ فِي إِلَّا مَا يُتْلَى هَلْ هُوَ سِتْنَاءٌ أَوْ لَا؟ فَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: هُوَ سِتْنَاءٌ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِ مُحْلَى الصَّيْدِ اسْتِثْنَاءٌ آخَرَ أَيْضًا مِنْهُ؛ فَالاسْتِثْنَاءُ انْجَمًا مِنْ قَوْلِهِ: بِبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ الْمَسْتَنَى مِنْهَا؛ التَّقْدِيرُ: إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ إِلَّا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ؛ بِخِلَافِ قَوْلِهِ: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. (١) إِلَّا آلَ لُوطٍ. (٢) وَقِيلَ: هُوَ مَسْتَنَى مِمَّا يَلِيهِ مِنَ الْاسْتِثْنَاءِ؛ فَيَصِيرُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَجِبَ إِبَاحَةُ الصَّيْدِ فِي الْإِحْرَامِ؛ لِأَنَّهُ مَسْتَنَى مِنَ الْمَحْظُورِ، إِذْ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مَسْتَنَى مِنَ الْإِبَاحَةِ، وَهَذَا وَجْهٌ سَاقِطٌ، فَإِذَا مَعْنَاهُ أَحَلَّتْ لَكُمْ بِبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ سِوَى الصَّيْدِ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَيْضًا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ بِبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ. وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي مَوْضِعِ رَفْعِ عَلَى الْبَدَلِ عَلَى أَنْ يَعْطَفَ بِإِلَّا كَمَا يَعْطَفُ بِلَا؛ وَلَا يَجِيزُهُ الْبَصْرِيُّونَ إِلَّا فِي النُّكْرَةِ أَوْ مَا قَارِبَهَا مِنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ نَحْوَ جَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا زَيْدٌ ..

قوله تعالى: وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ يَعْنِي الْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ يُقَالُ: رَجُلٌ حَرَامٌ وَقَوْمٌ مُحْرَمُونَ إِذَا أَحْرَمُوا بِالْحَجِّ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

١- سورة الحجر: ٥٨.

٢- سورة الحجر: ٥٩.

ص: ١٤٣

فقلت لها فيئى إليك فإنتى حرامٌ وإننى بعد ذاك لبيب

أى مُلَبٌّ؛ وسمى ذلك إحراماً لما يحزّمه من دخل فيه على نفسه من النساء والطيب وغيرهما.

ويقال: أحرم دخل فى الحرم؛ فيحرم صيد الحرم أيضاً.

الطبرسى فى مجمع البيان: إن الله يحكم ما يريد معناه أن الله يقضى فى خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد، وتحريم ما يريد تحريمه، وإيجاب ما يريد إيجابه، وغير ذلك من أحكامه وقضاياه، فافعلوا ما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فى قوله: أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ دلالة على تحليل أكلها وذبحها والانتفاع بها.

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبُرِّ مَا دُمْتُمْ حُرماً وَتَقُوا لِلَّهِ لَدَى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. (١)

بينت الآية أن هناك نوعين من الصيد، فجعلت منه الآيات حلالاً وحراماً.

الأول: حليه صيد البحر، صيد حيوانه حلال، وأكله حلال للمحرم ولغيره فهما فيه سواء؛ أما وطعأمه فهو شىء آخر؛ ولهذا جاءت الآية

ص: ١٤٤

بطعام البحر معطوفاً على صيد البحر؛ والشىء لا يعطف على نفسه، فإذا ما جاء العطف فهو عطف شىء على شىء آخر، فالعطف يقتضى المغايرة.

فى مجمع البيان للشيخ الطبرسى:

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ مَا يَحِلُّ مِنَ الصَّيْدِ وَمَا لَا يَحِلُّ فَقَالَ: أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ أَى أَيْبَحَ لَكُمْ صَيْدَ الْمَاءِ، وَإِنَّمَا أَحَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الطَّرِىَّ مِنْ صَيْدِ الْبَحْرِ، لِأَنَّ الْعَتِيقَ لِاخْتِلَافِ فِى كَوْنِهِ حَلَالًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَقَتَادَةَ وَمُجَاهِدًا. وَطَعَامُهُ يَعْنَى طَعَامَ الْبَحْرِ ثُمَّ اخْتَلَفَ فِيهِ فَقِيلَ: يَرِيدُ بِهِ مَا قَذَفَهُ الْبَحْرُ مَيْتًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَقَتَادَةَ؛ وَقِيلَ: يَرِيدُ بِهِ الْمَمْلُوحَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِى رِوَايَةٍ أُخْرَى وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدًا وَهُوَ الَّذِى يَلِيقُ بِمَذْهَبِنَا؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ طَعَامًا؛ لِأَنَّهُ يَدْخُرُ لِيَطْعَمَ فَصَّارَ كَالْمَقْتَاتِ مِنَ الْأَغْذِيَةِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِصَيْدِ الْبَحْرِ الطَّرِىَّ وَبَطْعَامِهِ الْمَمْلُوحَ، لِأَنَّ عِنْدَنَا لَا يَجُوزُ أَكْلُ مَا يَقْذِفُ بِهِ الْبَحْرُ مَيْتًا لِلْمَحْرَمِ وَغَيْرِ الْمَحْرَمِ.

وقيل: المراد بطعامه ما ينبت بمائه من الزرع والثمار.

وابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) فى تفسيره التحرير والتنوير يقول: وقوله: وَطَعَامُهُ عطف على صيد البحر والضمير عائد إلى البحر، أى وطعام البحر، وعطفه اقتضى مغايرته للصيد؛ والمعنى: والتقاط طعامه أو إمساك طعامه؛ وقد اختلف فى المراد من «طعامه»؛ والذى روى عن جلة الصحابة: أن طعام البحر هو ما طفا عليه من ميتة إذا لم يكن سبب موته إمساك الصائد له؛ ومن العلماء من نقل عنه فى تفسير طعام البحر غير هذا

ص: ١٦٥

مما لا يلائم سياق الآية، وهؤلاء هم الذين حرّموا أكل ما يخرج البحر ميّتاً، ويردّ قولهم ما ثبت عن رسول الله (ص) أنّه قال في البحر: «هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميّته» وحديث جابر في الحوت المسمّى العنبر، حين وجدوه ميّتاً، وهم في غزوة، وأكلوا منه، وأخبروا رسول الله، وأكل منه رسول الله (ص).

يقول القرطبي في تفسيره: وَلِلسِّيَّارَةِ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا لِلْمَقِيمِ وَالْمَسَافِرِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي عُيَيْدَةَ أَنَّهُمْ أَكَلُوهُ وَهُمْ مَسَافِرُونَ، وَأَكَلَ النَّبِيُّ (ص)، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ حَلَالٌ لِمَنْ أَقَامَ، كَمَا أَحَلَّهُ لِمَنْ سَافَرَ؛ الثَّانِي: أَنَّ السِّيَّارَةَ هُمُ الَّذِينَ يَرْكَبُونَهُ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مَالِكٍ وَالنَّسَائِيِّ "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ (ص) فَقَالَ: إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمَلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطَشْنَا أَفْتَوَضُّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ (ص): «هُوَ الطُّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتُهُ» ..

وابن عاشور يقول: استئناف بياني نشأ عن قوله:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ فَإِنَّهُ اقْتَضَى تحريم قتل الصيد على المحرم وجعل جزاء فعله هدى مثل ما قتل من النعم، فكان السامع بحيث يسأل عن صيد البحر، لأنّ أخذه لا يسمّى في العرف قتلاً، وليس لما يصاد منه مثل من النعم، ولكنّه قد يشكّ لعلّ الله أراد القتل بمعنى التسبّب في الموت، وأراد بالمثل من النعم المقارَبَ في الحجم والمقدار، فبيّن الله للناس حكم صيد البحر وأبقاه على الإباحة، لأنّ صيد البحر ليس من حيوان الحرم، إذ ليس في شيء من أرض الحرم بحر .. إنّ أصل الحكمة في حرمة الصيد على المحرم هي حفظ حرمة الكعبة وحرمةها،

ص: ١٦٦

وأما عن معنى أحلّ لكم صيد البحر فيقول ابن عاشور: إبقاء حلّيته لأنّه حلال من قبل الإحرام، والخطاب في لكم للذين آمنوا، والصيد هنا بمعنى المصيد ليجرى اللفظ على سنن واحدة في مواقعه في هذه الآيات، أى أحلّ لكم قتله، أى إمساكه من البحر. ثم يواصل كلامه: والبحر يشمل الأنهار والأودية، لأنّ جميعها يسمّى بحراً في لسان العرب، وقد قال الله تعالى: وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ.. وليس العذب إلّا الأنهار كدجلة والفرات، وصيد البحر: كلّ دوابّ الماء التي تصاد فيه، فيكون إخراجها منه سبب موتها قريباً أو بعيداً، فأما ما يعيش في البرّ وفي الماء فليس من صيد البحر كالضفدع والسحفاة، ولا خلاف في هذا، أمّا الخلاف فيما يؤكل من صيد البحر وما لا يؤكل منه، عند من يرى أنّ منه ما لا يؤكل، فليس هذا موضع ذكره، لأنّ الآية ليست بمشبّهة لتحليل أكل صيد البحر ولكنها منبهة على عدم تحريمه في حال الإحرام.

محمد متولى الشعراوى في تفسيره: لقد أباح لنا سبحانه الاستمتاع بكل صيد البحر، وجاء هذا التحليل هنا بأسلوب اللف والنشر، كما فى وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ اللَّيْلِ وَلَنَهَارَ لَتَشْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. (١) وكلنا يعرف أنّ الليل للراحة والنهار للتعب، والليل يسلم للنهار، والنهار يسلم لليل، إذن فالمسكن يعود إلى الليل، وابتغاء الفضل بالكد يعود

ص: ١٦٧

إلى النهار، إذن فقد جاء الحكم على طريق اللف والنشر المرتب، وهو ما فعله الشاعر فقال:

قلبي وجفني واللسان وخالقي راضٍ وباكٍ شاكِرٌ وغفورٌ

فالقلب راضٍ، والجفن باكٍ، واللسان شاكِرٌ، والخالق غفورٌ، ولكن الشاعر جاء بالأحكام منشورة بعد أن لف الكلمات الأربع الأولى، أى أنه طوى المحكوم عليه مع بعضه ثم نشر الأحكام من بعد ذلك .. وبعد أن حلل الحق صيد البحر جاء بتحريم صيد البر إن كنا حُرماً، وذلك تأكيد جديد على تحريم صيد البر فى أثناء الإحرام أو الوجود فى الحرم. الطبرسى فى تفسيره: مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ، قيل معناه: منفعه للمقيم والمسافر عن قتاده وابن عباس والحسن؛ وقيل: لأهل الأمصار وأهل القرى، وقيل: للمحل والمحرم.

الثانى: حرمة صيد البر وَحُرْمَ عَلَيْهِمْ صَيْدُ لُبِّ مَا دُمَّتْ حُرْمًا ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه نجده فيما يلى من أقوالهم: اتفقت كلمتهم على حرمة صيد البر للمحرم، أى عملية الصيد نفسها، أو المصاد نفسه.

واختلفت كلمتهم فى الصيد بمعنى الشىء المصاد إن صاده غير المحرم.

واختلفوا فى المعنى بالصيد فقيل هو كل الوحش أكل أو لم يؤكل وهو قول أهل العراق واستدلوا بقول على (ع):

صَيْدُ الْمُلُوكِ أَرَانِبٌ وَتَعَالِبٌ فَإِذَا رَكِبْتَ فَصَيْدِي الْأَبْطَالُ

ويقول الطبرسى: وهو مذهب أصحابنا رضى الله عنهم.

ص: ١٦٨

وقيل: هو كل ما يؤكل لحمه وهو قول الشافعي. واختلفوا أيضاً في النهى الوارد هل هو خاص بالحيوان الذى يصاد عادةً، أم أن النهى شامل لكل حيوان ولو لم يكن مما يصاد، ومما لا يطلق عليه لفظ الصيد.

واختلف قولهم فى ما دُمْتُمْ حُرْمًا فى هذه الآية وَأَنْتُمْ حُرْمٌ كما فى الآية ٩٤: وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ أى فى حالة إحرام، أو أنتم فى الحرم، أو كلاهما.

يقول الشيخ الطبرسى: أى وأنتم مُحْرَمُونَ بحج أو عمره.

وقيل: معناه وأنتم فى الحرم.

قال الجبائى: الآية تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معاً؛ وهو الصحيح الذى يذهب إليه الشيخ الطبرسى.

وقال على ابن عيسى: تدل على الإحرام بالحج أو العمرة فقط.

اتفقوا على حرمة الاصطياد على المحرم، واختلفت أقوالهم فيما صاده الغير؛ الطبرسى فى تفسيره: هذا يقتضى تحريم الاصطياد فى حال الإحرام، أما بالنسبة إلى ما صاده الغير فيذكر قولين، وتحريم أكل ما صاده الغير؛ وبه قال على وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير.

وقيل: إن لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره عن عمر وعثمان والحسن.

والصيد قد يكون عبارة عن الاصطياد فيكون مصدرًا، ويكون عبارة عن المصيد فيكون اسمًا، ويجب حمل الآية على الأمرين وتحريم الجميع.

وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ هذا أمر منه تعالى بأن يتقى جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه، لأنَّ إليه الرجوع فى الوقت الذى لا يملك أحد

ص: ١٦٩

فيه الضرر والنفع سواه وهو يوم القيامة، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

ابن عاشور في قوله: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا زيادة تأكيد لتحريم الصيد، تصريحاً بمفهوم قوله: لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وليبان أن مدة التحريم مدة كونهم حُرْمًا، أي محرمين أو مارّين بحرم مكه، وهذا إيماء لتقليل مدة التحريم استثناساً بتخفيف، وإيماء إلى نعمة اقتصار تحريمه على تلك المدة، ولو شاء الله لحرّمه أبداً.

وفي الموطأ: أن عائشة قالت لعروة بن الزبير: يا بن أختي إنما هي عشر ليال (أي مدة الإحرام) فإن تخلّج في نفسك شيء فدعه، تعنى أكل لحم الصيد.

ثم يقول: والتحريم متعلّق بقتله لقوله قبله: لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ فلا يقتضى قوله: وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا تحريم أكل صيد البر على المحرم إذا اشتراه من بائع أو ناوله رجل حلال إياه، لأنه قد علم أن التحريم متعلّق بمباشرة المحرم قتله في حال الإصابة، وقد أكل رسول الله (ص) من الحمار الذى صاده أبو قتاده، كما فى حديث الموطأ عن زيد بن أسلم، وأمر رسول الله (ص) بقسمه الحمار الذى صاده زيد البهزى بين الرفاق وهم محرمون؛ وعلى ذلك مضى عمل الصحابة، وهو قول؛ وأما ما صيد لأجل المحرم فقد ثبت أن النبي (ص) ردّ على الصعب بن جثامة حماراً وحشياً أهدها إليه وقال له: «إنا لم نردّه عليك إلا أنا حُرْمٌ» وقد اختلف الفقهاء فى محل هذا الامتناع، فقيل: يحرم أن يأكله من صيد لأجله لا غير،

ص: ١٧٠

وهذا قول عثمان بن عفان، وجماعته من فقهاء المدينة، وروايه عن مالك، وهو الأظهر، لأن الظاهر أن الضمير في قول النبي (ص) عائد إلى النبي (ص) وحده، لقوله: «لم نردّه»، وإنما ردّه هو وحده؛ وقيل: يحرم على المحرم أكل ما صيد لمحرم غيره، وهو قول بعض أهل المدينة، وهو المشهور عن مالك؛ وكان مستندهم في ذلك أنه الاحتياط وقيل: لا يأكل المحرم صيداً صيداً في مدّة إحرامه ويأكل ما صيد قبل ذلك، ونسب إلى علي بن أبي طالب (ع) وابن عباس، وقيل: يجوز للمحرم أكل الصيد مطلقاً، وإنما حرّم الله قتل الصيد، وهو قول أبي حنيفة.

والحاصل أن التنزه عن أكل الصيد الذي صيد لأجل المحرم ثابت في السنّة بحديث الصعب بن جثامه، وهو محتمل كما علمت، والأصل في الامتناع الحرمة، لأنه لو أراد التنزه لقال: أما أنا فلا آكله، كما قال في حديث خالد بن الوليد في الضبّ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَقْتُلُوا لِصَيْدٍ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ لَنْعٍ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هِيَ دِيَةٌ بَالِغٍ لَكُمْ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا لِلَّهِ غَمًّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَلِلَّهِ عَزِيزٌ ذُو نِقَامٍ. (١)

ص: ١٧١

الروايات:

عن أبي عبدالله (ع) في حديث قال: «إذا فرض على نفسه الحج ثم أتم بالتلبية، فقد حرم عليه الصيد وغيره، ووجب عليه في فعله ما يجب على المحرم».

عن أبي عبدالله (ع) قال: «واجتنب في إحرامك صيد البر كله، ولا تأكل مما صاده غيرك، ولا تشر إليه فيصيده».

عن أبي عبدالله (ع) قال: «لا تأكل شيئاً من الصيد (وأنت محرم) وإن صاده حلال».

في الدر المنثور: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر محمد بن علي: أن رجلاً سأل علياً (ع) عن الهدى مما هو؟.. قال: فسمعتة يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِلَى قَوْلِهِ: هَدِيًّا بِالْعِزِّ لِكَعْبَةٍ؟ قال: نعم. فقال: إن قتلت ظبياً فما علي؟ قال: شاء؛ قال علي: هَدِيًّا بِالْعِزِّ لِكَعْبَةٍ؟ قال الرجل: نعم، فقال علي: «قد سماه الله بالغ الكعبة كما تسمع».

والروايات في هذا الخصوص كثيرة عن أئمة أهل البيت (هم)، وهي كذلك عند أهل السنة. (١) الخطاب في هذه الآية كما في غيره من الآيات حين يبين تشريعاً للجماعة المؤمنة، وهي الأقرب لتطبيق ما تحكم به السماء، بل التي يجب

١- الوسائل، للعامل؛ الدر المنثور؛ التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور علي ناصف وغيرها.

ص: ١٧٢

عليها الالتزام بمقتضى عهدها وبيعتهها لله ورسوله، وإلا فإنها ينتظرها عقاب شديد إن تولت عن التطبيق وأعرضت عن الطاعة. هذا التشريع "حرمة الصيد" حدد بمكان محدد ووقت قليل وفي حالة كون المكلف عقد نية الإحرام، حيث جعله الفقهاء من تروك الإحرام ومحظوراته التي بعض مواردها في الحرمة وبعضها في الكراهة، وأنها مشتركة بين الرجل والمرأة أو مختصة بأحدهما دون الآخر؛ وقد ثبتت بالكتاب والسنة وبالإجماع في الجملة.

في هذه الآية جاء النهى عن قتل الصيد، ولكنه نهى مقيد بفترة زمنية وهي فترة الإحرام، أو بمكان محدود وهو الحرم، أى أن هناك مدةً للتحريم مدةً كونهم حُرماً، أى محرمين أو ما رين بحرم مكة، وهذا إيماء لتقليل مدة التحريم استثناساً بتخفيف، وإيماء إلى نعمة اقتصار تحريمه على تلك المدة، ولو شاء الله لحرّمه أبداً.

وقع بينهم كلام مختلف ومفصل حول ما يترتب على المحرم عند مخالفته النهى الوارد في الآية المذكورة عمداً، وهذا يعنى إن قتله خطأ فلا إثم عليه ولا كفارة، كما يظهر للقارئ .. غير أن لهم كلاماً آخر يأتينا، وقبل ذلك فقد

ص: ١٧٣

تعتبر لازمة وهى:

- ١- المثلية فى الحيوان المقتول أى ما يماثله من النعم التى هى الإبل، والبقر، والغنم، فمثل بقر الوحش البقر، ومثل الغزال الغنم.
- ٢- الحكمان العدلان من المسلمين.

ص: ١٧٤

٣- أن يكون الجزاء هدياً يهدى إلى الحرم، يطعمه فقراء الحرم ومساكينه.

٤- إن لم يوجد للحيوان مثل، يتصدق بقيمته طعاماً، وإن تعذر وجود الطعام فليصم عن كل مد يوماً.

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ فِيهَا أَقْوَال: أَنْتُمْ مُحْرَمُونَ بِحَجِّ أَوْ عَمْرَةٍ؛ وَأَنْتُمْ فِي الْحَرَمِ.

إِنَّ الصَّيْدَ يَحْرَمُ فِي كُلِّ إِحْرَامٍ بِحَجِّ كَانَ أَوْ بِعَمْرَةٍ وَاجِباً كَانَ الْحَجُّ وَالْعَمْرَةُ أَوْ نَفَلًا لِعُمُومِ اللَّفْظِ؛ هَذَا مَا ذَكَرَهُ السَّيُورِيُّ فِي كَنْزِ الْعِرْفَانِ.

وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ذَكَرَ الشَّيْخُ الطَّبْرَسِيُّ أَقْوَالَ: قِيلَ: هُوَ أَنْ يَتَعَمَّدَ الْقَتْلَ نَاسِيًا لِإِحْرَامِهِ عَنِ الْحَسَنِ وَمَجَاهِدٍ وَابْنِ زَيْدٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَإِبْرَاهِيمَ قَالُوا: فَأَمَّا إِذَا تَعَمَّدَ الْقَتْلَ ذَاكِرًا لِإِحْرَامِهِ فَلَا جَزَاءَ فِيهِ، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كِفَارَةٌ.

وقيل: هو أن يتعمد القتل وإن كان ذاكراً لإحرامه عن ابن عباس وعطاء والزهرى وهو قول أكثر الفقهاء.

فَأَمَّا إِذَا قَتَلَ الصَّيْدَ خَطَأً أَوْ نَاسِيًا فَهُوَ كَالْمَتَعَمَّدِ فِي وَجوبِ الْجَزَاءِ عَلَيْهِ وَهُوَ مَذْهَبُ عَامَةِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالْعِلْمِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ أَئِمَّتِنَا (هـ).

قال الزهرى: نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ.

العلامة في الميزان: قوله: مُتَعَمِّدًا حال من قوله: مَنْ قَتَلَهُ وظاهر التعمد ما يقابل الخطأ الذى هو القتل من غير أن يريد بفعله ذلك

ص: ١٧٥

كمن يرمى إلى هدف فأصاب صيداً، ولازمه وجوب الكفارة إذا كان قاصداً لقتل الصيد سواء كان على ذكر من إحرامه أو ناسياً أو ساهياً.

وأما القرطبي فله كلام أكثر تفصيلاً حيث يقول في المسألة العاشرة في الآية: ذكر الله سبحانه المتعمد ولم يذكر المخطئ والناسي، والمتعمد هنا هو القاصد للشئ مع العلم بالإحرام، والمخطئ هو الذي يقصد شيئاً فيصيب صيداً، والناسي هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر إحرامه.

وختلف العلماء في ذلك على خمسة أقوال:

الأول- ما أسنده الدارقطني عن ابن عباس قال: إنما التكفير في العمد، وإنما غلظوا في الخطأ لثلاثا يعودوا.

الثاني- أن قوله: مُتَعَمِّدًا خرج على الغالب، فألحق به النادر كأصول الشريعة.

الثالث- أنه لا شئ على المخطئ والناسي، وبه قال الطبري وأحمد بن حنبل في إحدى روايته، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وبه قال طاوس وأبو ثور، وهو قول داود، وتعلق أحمد بأن قال: لما خص الله سبحانه المتعمد بالذكر، دل على أن غيره بخلافه، وزاد بأن قال: الأصل براءة الذمة فمن دعى شغلها فعليه الدليل.

الرابع- أنه يحكم عليه في العمد والخطأ والنسيان؛ قاله ابن عباس، وروى عن عمر وطاوس والحسن وإبراهيم والزهرى، وبه قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم؛ قال الزهرى: وجب الجزاء في العمد

ص: ١٧٦

بالقرآن، وفي الخطأ والنسيان بالسُّنَّة؛ قال ابن العربي: إن كان يريد بالسنة الآثار التي وردت عن ابن عباس وعمر فنعمما هي، وما أحسنها أسوء.

الخامس - أن يقتله متعمداً لقتله ناسياً لإحرامه - وهو قول مجاهد - لقوله تعالى بعد ذلك: وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ: ولو كان ذاكراً لإحرامه لوجب عليه العقوبة لأول مرة، قال: فدل على أنه أراد متعمداً لقتله ناسياً لإحرامه؛ قال مجاهد: فإن كان ذاكراً لإحرامه فقد حل ولا - حج له لارتكابه محذور إحرامه، فبطل عليه كما لو تكلم في الصلاة، أو أحدث فيها؛ قال: ومن أخطأ فذلك الذي يجزئه، ودليلنا على مجاهد أن الله سبحانه أوجب الجزاء ولم يذكر الفساد، ولا فرق بين أن يكون ذاكراً للإحرام أو ناسياً له، ولا يصح اعتبار الحج بالصلاة فإنهما مختلفان، وقد روى عنه أنه لاحكم عليه في قتله متعمداً، ويستغفر الله، وحجُّه تام، وبه قال ابن زيد؛ ودليلنا على داود "أن النبي (ص) سئل عن الضَّبَعِ فقال: «هي صيد» وجعل فيها إذا أصابها المحرم كبشاً، ولم يقل عمداً ولا خطأ.

وقال بن بكير من علمائنا - والكلام للقرطبي -: قوله سبحانه: مُتَعَمِّدًا لم يرد به التجاوز عن الخطأ، وإنما أراد ليبين أنه ليس كبن آدم الذي لم يجعل في قتله متعمداً كفارة، وأن الصيد فيه كفارة، ولم يرد به إسقاط الجزاء في قتل الخطأ؛ والله أعلم.

سيد قطب في تفسيره "إن النهي ينصب على قتل المحرم للصيد عمداً فأما من قتله خطأ فلا إثم عليه ولا كفارة" وتتمه كلامه يأتينا في الجزاء.

ص: ١٧٧

هذا فى التعمد .. أما فى الجزاء الذى حددته الآية بالتالى: فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هِدَايَاً بَالِغًا لِّكَعْبِهِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِيَامًا فيه أربع قراءات، وكل قراءة تقتضى شيئاً:

فَجَزَاءٌ مِّثْلُ بَرَفِ جَزَاءٍ وَتَنْوِينِهِ، وَ «مِثْلُ» عَلَى الصَّفَةِ وَهِيَ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَيَعْقُوبَ. وَالْخَبْرُ مُضْمَرٌ، التَّقْدِيرُ فَعَلِيهِ جَزَاءٌ مِمَّا ثَلَّ وَاجِبٌ أَوْ لَازِمٌ مِنَ النَّعْمِ؛ وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمِثْلُ هُوَ الْجَزَاءُ بَعِينَهُ. وَ جَزَاءٌ بِالرَّفْعِ غَيْرِ مَنُونٍ، وَ مِثْلٌ بِالْإِضَافَةِ، أَى فَعَلِيهِ جَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْبَاقِيْنَ؛ وَ مِثْلٌ مَقْحَمَةٌ كَقَوْلِكَ أَنَا أَكْرَمُ مِثْلِكَ، وَأَنْتَ تَقْصِدُ أَنَا أَكْرَمُكَ؛ وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ (١) التَّقْدِيرُ كَمَنْ هُوَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَقَوْلُهُ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. (٢)

أَى لَيْسَ كَهُو شَيْءٍ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْجَزَاءُ غَيْرَ الْمِثْلِ، إِذْ الشَّيْءُ لَا يُضَافُ إِلَى نَفْسِهِ؛ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ جَزَاءُ الْمَقْتُولِ، لَا- جَزَاءُ مِثْلِ الْمَقْتُولِ، وَالْإِضَافَةُ تَوْجِبُ جَزَاءَ الْمِثْلِ لَا- جَزَاءَ الْمَقْتُولِ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ عَلَى مَا يَأْتِي؛ وَقَوْلُهُ: مِنَ النَّعْمِ صِفَةٌ لِّجَزَاءٍ عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا، وَقُرَأَ الْحَسَنُ مِنَ النَّعْمِ بِاسْتِثْنَاءِ الْعَيْنِ وَهِيَ لُغَةٌ؛ وَقُرَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَجَزَاءٌ بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ مِثْلٌ بِالنَّصْبِ؛ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: مِثْلُ

١- سورة الأنعام: ١٢٢.

٢- سورة الشورى: ١١.

ص: ١٧٨

منصوبة بنفس الجزاء؛ والمعنى أن يجزى مثل ما قتل؛ وقرأ ابن مسعود والأعمش فَجَزَّ آؤُهُ مَثْلُ بِإِظْهَارِ «هَاء» ويحتمل أن يعود على الصيد أو على الصائد القاتل؛ وقرأ أهل المدينة وابن عامر أو كفارةً بغير تنوين طعام على الإضافة، والباقون أو كفارةً بالتنوين طعام بالرفع ولم يختلفوا في مساكين أنه جمع وروى في الشواذ قراءة أبي عبد الرحمن فجزاً منون مثل منصوب وقراءة محمد بن علي الباقر (ع) وجعفر بن محمد الصادق (ع) يحكم به ذو عدل منكم. (١) قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل، فيكون جزاء مبتدأ ومثل خبره؛ واختلف في هذه المماثلة أهي في القيمة أو الخلقة؟ فالذي عليه معظم أهل العلم أن المماثلة معتبرة في الخلقة، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش وشبهه بقرة، وفي الطيب والأرنب شاء وهو المروى عن أهل البيت (هم) وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي وعطاء والضحاك وغيرهم.

وقال إبراهيم النخعي: يُقَوَّم الصيد قيمة عادله ثم يشتري بثمنه مثله من النعم فاعتبر المماثلة بالقيمة؛ والصحيح عند الطبرسي القول الأول. (٢) سيد قطب: فإذا كان القتل عمداً، فكفارته أن يذبح بهيمةً من الأنعام من مستوى الصيد الذي قتله؛ فالغزاة مثلاً تجزى فيها نعيمةً أو عنزةً،

١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ مجمع البيان، للطبرسي.

٢- مجمع البيان للشيخ الطبرسي.

ص: ١٧٩

والأيل - بتشديد الياء وكسرهما - تجزئ فيه بقرة، والنعام والزرافة وما إليها تجزئ فيها بدنة، والإرنب والقط وأمثالهما تجزئ فيه إرنب، وما لا مقابل له من البهيمة تجزئ عنه ما يوازي قيمته.

مغنيه في الفقه على المذاهب الخمسة: يَحْكُمُ بِهِ ذَوْا عَدَلٍ مِنْكُمْ أَنْ يَحْكُمَ اثْنَانِ مِنْ أَهْلِ الْعَدَالَةِ بِأَنْ هَذَا الْحَيْوَانُ الْأَهْلِيُّ هُوَ مِثْلُ الْحَيْوَانِ الْوَحْشِيِّ الْمَقْتُولِ؛ هَدِيًّا بِالْبَالِغِ الْكَعْبِيِّ أَنَّهُ إِذَا أَتَى مَكَّةَ ذَبَحَ الْمِمَاتِلَ الْأَهْلِيَّ وَتَصَدَّقَ بِهِ.

العلامة في الميزان: وقوله: فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة لظاهر معناه: فعليه جزاء ذلك الجزاء مثل ما قتل من الصيد، وذلك الجزاء من النعم المماثلة لما قتله يحكم به أي بذلك الجزاء المماثل رجلا منكم ذوا عدل في الدين حال كون الجزاء المذكور هدياً يهدى به بالغ الكعبة ينحر أو يذبح في الحرم بمكة أو بمنى على ما يبينه السنة النبوية.

فقوله: جزاء بالرفع مبتدأ لخبر محذوف يدل عليه الكلام، وقوله: مثل ما قتل وقوله: من النعم وقوله: يحكم به، أو صاف للجزاء، وقوله: هدياً بالغ الكعبة موصوف وصفه، والهدى حال من الجزاء .. وقد قيل غير ذلك.

وقوله: أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً خصلتان أخريان من خصال كفارة قتل الصيد، وكلمة "أو" لا يدل على أزيد من

ص: ١٨٠

مطلق التردد، والشارح السنه، غير أن قوله: أو كفارة حيث سمي طعام المساكين كفارة ثم اعتبر ما يعادل الطعام من الصيام لا يخلو من إشعار بالترتيب بين الخصال.

سيد قطب: ويتولى الحكم فى هذه الكفارة اثنان من المسلمين ذوا عدل، فإذا حكما بذبح بهيمة أطلقت هدياً حتى تبلغ الكعبة، تذبح هناك وتطعم للمساكين، أما إذا لم توجد بهيمة فللحكيم أن يحكما بكفارة طعام مساكين، بما يساوى ثمن البهيمة أو ثمن الصيد (خلاف فقهي) فإذا لم يجد صاحب الكفارة صام ما يعادل هذه الكفارة، مقدراً ثمن الصيد أو البهيمة، ومجزأ على عدد المساكين الذين يطعمهم هذا الثمن؛ وصيام يوم مقابل إطعام كل مسكين .. أما كم يبلغ ثمن إطعام مسكين فهو موضع خلاف فقهي ولكنه يتبع الأمكنة والأزمنة والأحوال.

وفى مجمع البيان: وفى هذه الآية يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس: يريد يحكم فى الصيد بالجزاء رجالان صالحان منكم أى من أهل ملتكم ودينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به هدياً بالغ الكعبة أى يهديه هدياً يبلغ الكعبة؛ وهنا قال ابن عباس: يريد إذا أتى مكة ذبحه وتصدق به.

وقال أصحابنا- والقول للطبرسى:- إن كان أصاب الصيد وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه أو نحره بمكة قبالة الكعبة، وإن كان محرماً بالحيج ذبحه أو نحره بمنى.
أو كفارة طعام مساكين:

ص: ١٨١

قيل فى معناه قولان أحدهما: أن يُقَوِّم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاماً ويتصدق به عن عطاء وهو الصحيح والآخر: أن يُقَوِّم الصيد المقتول حياً ثم يجعل طعاماً عن قتاده.

أو عدل ذلك صياماً وفيه أيضاً قولان:

أحدهما: أن يصوم عن كل مدِّ يُقَوِّم من الطعام يوماً عن عطاء وهو مذهب الشافعى.

والآخر: أن يصوم عن كل مُدِّين يوماً وهو المروى عن أئمتنا (هم) وهو مذهب أبى حنيفة.

هل هى مرتبة أو مخيرة؟

واختلفوا فى هذه الكفارات الثلاث فقيل: إنها مرتبة عن ابن عباس والشعبى والسدى قالوا: وإنما دخلت أو لأنه لا يخرج حكمه عن إحدى الثلاث.

وقيل: إنها على التخيير عن ابن عباس فى رواية أخرى وعطاء والحسن وإبراهيم وهو مذهب أبى حنيفة والشافعى وكلا القولين - يقول الطبرى - رواه أصحابنا.

لِيَذُوقَ وَبِإِلَّامِهِ: أى عقوبة ما فعله فى الآخرة إن لم يتب. وقيل معناه لِيَذُوقَ وخامة عاقبة أمره وثقله بما يلزمه من الجزاء فإن سأل سائل، فقال: كيف يسمّى الجزاء وباللأ وإنما هى عبادة فإذا كانت عبادة فهى نعمة ومصالحة؟ فالجواب أن الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد أن عصاه فثقل ذلك عليه كما حرّم الشحم على بنى إسرائيل لما اعتدوا فى السبت فثقل

ص: ١٨٢

ذلك عليهم وإن كان مصلحة لهم: عفا الله عما سلف من أمر الجاهلية عن الحسن؛ وقيل: عفا الله عما سلف من الدفعة الأولى في الإسلام أى قبل التحريم.

وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ: أى من عاد إلى قتل الصيد محرماً فالله سبحانه يكافيه عقوبته بما صنع واختلف فى لزوم الجزاء بالمعاودة فقل إنه لا جزاء عليه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر فى روايات أصحابنا، وقيل: إنه يلزمه الجزاء عن عطاء وسعيد بن جبير وإبراهيم وبه قال بعض أصحابنا.

وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ: معناه قادر لا يغلب ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى أمره ويرتكب نهيه.

وينص السياق القرآنى على حكمه هذه الكفارة، وفى الكفارة معنى العقوبة، لأن الذنب هنا مخل بحرمة يشدد فيها الإسلام تشديداً كبيراً، لذلك يعقب عليها بالعفو عما سلف، والتهديد بانتقام الله ممن لا يكف: عَفَا لِلَّهِ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ.

فإذا اعتر قاتل الصيد بقوته وقدرته على نيل هذا الصيد الذى أراد الله له الأمان فى مثابه الأمان، فالله هو العزيز القوى القادر على الانتقام!

الصيد فى الفقه:

الصيد احتل مكانته فى الشريعة الإسلامية، وقد أطال فقهاء المذاهب الكلام فى الصيد للمحرم آداباً وأحكاماً وكفارات، وابتدأوا من صيد

ص: ١٨٣

النعامه التي تشبه الناقه إلى صيد الجراد، حتى أنهم فرعوا فروعاً كثيرةً وافترضوا صوراً شتى .. يستطيع القارئ العودة لما كتبوه في مصادره.

ففي جامع المقاصد للمحقق الثاني الشيخ الكركي (ت ٩٤٠هـ-) في شرح القواعد وهو يعدد تروك الإحرام جاء في متن القواعد التالي:

"الصيد، وهو الحيوان الممتنع بالأصالة اصطياًداً وأكلًا- وإن ذبحه وصاده المحل- وإشارةً ودلالةً وإغلاقاً وذبحاً، فيكون ميتةً يحرم على المحل والمحرم، والصلاة في جلده، والفرخ والبيض كالأصل؛ والجراد صيد، وما يبيض ويفرخ في البر. ولا يحرم صيد البحر، وهو ما يبيض ويفرخ فيه، ولا الدجاج الحبشي، ولا فرق بين المستأنس والوحشي، ولا يحرم الإنسي بتوحشه، ولا فرق بين المملوك والمباح، ولا بين الجميع وأبعاضه، ولا يختص تحريمه بالإحرام، بل يحرم في الحرم أيضاً" ... وهذه قراءة مضغوطة انتقيتها من كتاب: الفقه على المذاهب الخمسة للشيخ محمدجواد مغنية تبين لنا خلاصة آراء هذه المذاهب في أحكام الصيد للمحرم ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، وهو ما رأيناه فيما ذكرناه أعلاه من أقوال المفسرين. يقول الشيخ: اتفقوا قولاً واحداً على تحريم التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح أو الدلالة عليه أو الإشارة إليه، ولذا يحرم التعرض لبيضه وأفراخه.

ص: ١٨٤

أما صيد البحر فجائز ولا فدية فيه، لقوله تعالى: أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَتَّقُوا لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. (١)

وتحريم الصيد في الحرم يشمل المحل والمحرّم على السواء، أما خارج الحرم فيجوز للمحل دون المحرم، ولو ذبح المحرم الصيد يصير ميتة، ويحرم أكله على جميع الناس.

واتفقوا على أن للمحرّم أن يقتل الحدأة- نوع من الطير- والغراب والفأرة والعقرب، وزاد جماعة الكلب العقور وكل مؤذ.

ثم يذكر الشيخ أقوال المذاهب مبيناً اتفاق بعضهم واختلاف الآخر:

الشافعية والإمامية: الصيد البري إن كان له مثل أهلى في الشكل والصورة، كالبقر الوحشى تخير القاتل بين أن يخرج مثله من النعم، فيذبحه ويتصدق به، وبين أن يقوم المثل بدرهم يشتري بها طعاماً، ثم تصدق بالطعام على المساكين لكل مسكين مدان، أى ١٦٠٠ غرام على وجه التقريب، وبين أن يصوم عن كل مدين يوماً؛ وبهذا قال المالكية إلا أنهم قالوا: يقوم نفس الصيد لا مثله؛ وقال الحنفية: يضمن الصيد بالقيمة سواء أكان له مثل أم لم يكن؟ ومتى قومه تخير القاتل بين أن يشتري بالثمن المماثل من النعم ويخرجه، وبين أن يشتري طعاماً ويتصدق به، وبين أن يصوم عن كل مديناً (التذكرة وفقه السنة).

ص: ١٨٥

واتفق الإمامية والشافعية على أنّ الكفارة تسقط عن الجاهل والناسي إلا- في الصيد، فإن الكفارة تجب فيه، حتى ولو وقع سهواً، (الجواهر، فقه السنة)؛ انتهى ما ذكره مغنية.

وفى ختام هذه الفقرة نذكر خلاصة فقهية نافعاً عن كفارة ما يفعله المحرم بشيء محرم عليه، وهى على ضروب ثلاثة: أحدها: يوجب الكفارة سواء فعله عامداً أو ساهياً؛ والثاني: يوجبها مع العمد دون النسيان؛ والثالث: فيه الإثم دون الكفارة.

وبما أنّ مقالتنا عن الصيد فلا- نتعرض إلى الثاني والثالث، لأن الأول يندرج تحته الصيد بلاخلاف بين الجمهور من أبى حنيفة والشافعي وأصحابهما وعامة أهل العلم، فمن قتل صيداً له مثل أو ذبحه وكان حراً كاملاً العقل، محلاً في الحرم، أو محرماً في الحل، فعليه فداؤه بمثله من النعم ...

قال الشيخ فى الخلاف: إذا قتل صيداً، فهو مخير بين ثلاثة أشياء، بين أن يخرج مثله من النعم، وبين أن يقوم مثله دراهم ويشترى به طعاماً ويتصدق به، وبين أن يصوم عن كل مد يوماً، ولا يجوز إخراج القيمة بحال، وإن كان الصيد لا مثل له فهو مخير بين شيئين، بين أن يقوم الصيد ويشترى بثمنه طعاماً ويتصدق به، وبين أن يصوم عن كل مد يوماً، ولا يجوز إخراج القيمة بحال، وبه قال الشافعي؛ وفى الوجيز: الواجب فى الصيد مثله من النعم، أو إطعام بمثل قيمة النعم، أو صيام بقدر الطعام لكل مد يوم.

وقال أبو حنيفة: الصيد مضمون بقيمته سواء كان له مثل أو لم يكن له مثل، إلا أنه إذا قومه فهو مخير بين أن يشتري بالقيمة من النعم

ص: ١٨٦

ويخرجه، وبين أن يشتري طعاماً ويتصدق به، وبين أن يصوم عن كل مد يوماً.. وهو خلاف ظاهر الآية فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل فأوجب مثلاً من النعم، وذلك يبطل قول من قال: الواجب قيمة الصيد. (١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا لَشَهْرٍ لِحَرَامٍ وَلَا لِهَدْيٍ وَلَا لِقْلَائِدٍ وَلَا آمِينَ لِيَبْتَ لِحَرَامٍ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَضْطَادُوا. (٢)

ما إن ينتهى وقت الإحرام بالكامل، حتى ينتهى الحظر عن الصيد، لكن فى غير البيت الحرام أو منطقة الحرم التى لا يصح صيد فيها أصلاً، وتبقى محظورة..

-
- ١- الغنية ١٦٠-١٦١؛ الخلاف ٣٩٦: ٢ مسألة ٢٥٨، ٣٩٧ مسألة ٢٦٠، ٣٩٩ مسألة ٢٦١؛ كلها عن جامع الخلاف والوفاق لعلى بن محمد القمى. مع مراجعة الفقه الإسلامى وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلى ٢٤٨: ٣-٢٨٠ تفصيل عن الصيد.. وأن صيد البر من محظورات الإحرام دون صيد البحر، وما يترتب على فعله من جزاء وضوابط.
- ٢- سورة المائدة: ٢.

ص: ١٨٧

يقول سيد قطب عن البيت الحرام "إنها منطقة الأمان يقيمها الله في بيته الحرام، كما يقيم فترة الأمان في الأشهر الحرم .. منطقة يأمن فيها الناس والحيوان والطيور والشجر أن ينالها الأذى، وأن يروعها العدوان .. إنه السلام المطلق يرفرف على هذا البيت، استجابة لدعوة إبراهيم- أبي هذه الأمة الكريم- ويرفرف على الأرض كلها أربعة أشهر كاملة في العام- في ظل الإسلام- وهو سلام يتذوق القلب البشرى حلاوته وطمأنيته وأمنه، ليحرص عليه- بشروطه- وليحفظ عقد الله وميثاقه، وليحاول أن يطبقه في الحياة كلها على مدار العام، وفي كل مكان" ..

إذن بعد أن وفوا بعقدهم الذي عقده مع الله تعالى، وانتهت مدته، لهم أن يمارسوا الصيد وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَضَطَّادُوا. لقد اختلف علماء الأصول في صيغة الأمر إذا وردت بعد الحظر بين من ذهب إلى الوجوب، ومن ذهب إلى الندب والإباحة، ومن قال بأنه أمر مشترك بين الإباحة والندب والوجوب، فيما توقف غيرهم ..

الشيخ السيوري بعد أن يقرر اختلاف الأصوليين في الأمر عقيب النهي هل هو للوجوب أو للإباحة؟ يقول: وقد احتج أصحاب القول الثاني بآية: فَإِذَا قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. (١) فإنه أطلق لهم ما حرمه عليهم من المعاملة، والانتشار ليس بواجب اتفاقاً ومنها: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ (٢)

١- سورة الجمعة: ١٠.

٢- سورة البقرة: ٢٢٢.

ص: ١٨٨

وبالآية محور كلامنا: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وجاءت بعد حظر ونهى حيث أباح لهم ما منعهم منه بسبب إحرامهم .. فهي رافعة للحظر ليس إلا، والأمر فِصِي طَادُوا لا يعنى إلا الإباحة لقاعدة "الأمر بعد الحظر للإباحة؛" وقال السيورى بالحرف الواحد: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا أمر إباحة بعد أن كان الصيد حراماً فى حال الإحرام. (١)

يقول الشيخ الطبرسى: إذا حللتكم من إحرامكم، فاصطادوا فيها الصيد الذى نهيتهم أن تحلوا فاصطادوا إن شئتم حينئذ، لأن السبب المحرم قد زال عند جميع المفسرين.

الميزان: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا أمر واقع بعد الحظر لا يدل على أزيد من الإباحة بمعنى عدم المنع، والحل والإحلال - مجرداً ومزيداً فيه - بمعنى وهو الخروج من الإحرام.

أما القرطبي وبعد أن يذكر أنه أمر إباحة - بإجماع الناس - يقول: وليس بصحيح، بل صيغة «فعل» الواردة بعد الحظر على أصلها من الوجوب، وهو مذهب القاضى أبى الطيب وغيره، لأن المقتضى للوجوب قائم وتقدم الحظر لا يصلح مانعاً، دليله قوله تعالى: فَإِذَا نَسَلَخَ لِأَشْهُرٍ لِحَرْمٍ فَقَتَلُوا لِمُشْرِكِينَ. (٢)

فهذه «فعل» على الوجوب لأن المراد بها الجهاد، وإنما فهمت الإباحة هناك وما كان مثله من قوله: فَإِذَا قُضِيَتِ لَصَلَاةٌ فَانْتَشِرُوا. (٣) فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ. (٤) من النظر إلى المعنى والإجماع، لا من صيغة الأمر ..

١- كنز العرفان فى فقه القرآن ١٧٠: ١-٣٣٣، مع زيادة مناسبة منى.

٢- سورة التوبة: ٥.

٣- سورة الجمعة: ١٠.

٤- سورة البقرة: ٢٢٢.

ص: ١٨٩

شخصيات من الحرمین الشریفین (٢٧)

عدی بن حاتم الطائی (رضوان الله علیه)

محمد سلیمان

عدی بن حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القیس بن عدی بن أخزم بن ربیع بن جرول بن ثمل بن عمرو بن الغوث بن طی بن أدد بن مالك بن زید كهلان الطائی الأنصاری؛ واسم طیء جلهمة، وسمى طيئاً، لأنه أول من طوى المنازل، وقيل أول من طوى بئراً؛ وكان أبوه حاتم من أجود العرب، وكنيته أبو سفانة، وهي ابنته الوحيدة كما يظهر؛ وعدی من قبيلة طیء العربیة، التي انتهت إليه رئاستها بعد أبيه .. وهو أبو طريف الطائی، ويقال: أبو وهب.

إنّ النسب المذكور لعدی بن حاتم الطائی العائد إلى قبيلة طیء أو طيئ، يجرنا إلى الحديث- ولو باختصار- عن هذه القبيلة تاريخها وفروعها وإسلامها.

فقبيلة طیء أو طيئ من القبائل القحطانية الكبيرة، عديدة فروعها أو قبائلها .. ولكن يبقى أشهر هذه القبائل؛ قبيلتا جندب بن خارجة بن فطرة بن طیء، والغوث بن طیء.

ص: ١٩٠

حرب الفساد:

أحيطت حياة قبيلة طيء بمعارك ضاريه، ومن جمله تلك المعارك "حرب الفساد" التي وقعت بين بني جديله وبني الغوث .. وسميت بحرب الفساد لأنها أفسدت العلاقات بين قبائل طيء أيما فساد، وطال أمدها- كما ذكروا- حتى بلغت مائة وثلاثين سنة أى أكثر من ثلاثة أضعاف حرب البسوس بين بكر و تغلب، هذه الحرب الضروس التي دامت أربعين سنة، منذ شرارتها الأولى حين صرخت البسوس "واذلاه" وهي امرأة تميمية لما رأت ناقه قتلت ..

و ذكر بعض المؤرخين أن حرب الفساد لم تكن حرباً كباقي الحروب، وقد أدت إلى نزوح بني جديله إلى الشام وإلى حلب وعلى قول آخر إلى العراق وبلاد مصر، وقد شهد عدى بن حاتم يوم اليعاميم من أيام تلك الحرب الضاريه، وأيامها عديده ومريره حتى غدا بعضهم يخصف نعاله بأذنى خصمه ويشرب الخمر بجمجمته، يقول شاعر منهم:

نخصف بالآذان منكم نعالنا ونشرب كرهاً منكم بالجمام

وكان زيد الخيل وهو من أكبر شخصيات طيء يعمل على وقف القتال ويدعو إلى الصلح .. يقول عدى: وإنى لواقف يوم اليعاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد أحضر ابنه مكناً وحريراً فى شعب لا منفذ له وهو يقول: أى بنى أبقيا على قومكما، فإن اليوم يوم التفانى، فإن يكن هؤلاء أعمامنا فهؤلاء أخوال، ولم تبق لجديله بقية بعد يوم اليعاميم،

ص: ١٩١

ولم يحضر حاتم بن عبد الله الطائي هذه الحرب، وكان مجاوراً لبنى بدر آنذاك فدخلوا بلاد حلب فحالفوهم وأقاموا معه. و قبيلة طيء المعروفة بالبداوة ..، كانت تسكن أراضي الجوف مع قبيلتي مراد وهمدان .. وقد حطت طيء رحالها في سميرا وفيد من أراضي نجد بجوار قبيلة بنى أسد حين هاجرت إليها بعد قبيلة الأزدي، ثم وسعت أرضها باحتلالها لجبلى «أجأ» و «سلمى» اللذين كانا في يد بنى أسد، وألحقت ذلك بتمدها على جزء من أرض تميم بين نجد والحيرة، وكانت قبيلة طيء قد تحالفت مع بنى أسد ومع غطفان، ثم حصل اختلاف بين طيء وبنى أسد قبل البعثة النبوية بفترة وجيزة، فانحازت غطفان إلى بنى أسد ضد طيء ونشبت الحرب بينهم، فأخرج غطفان وبنو أسد قبيلة طيء من أرضها، وعلى أثر ذلك ألغى ذو الخمار بن عوف الجذمي الحلف بين طيء وغطفان، وراح يستنجد بقبيلتي غوث وجديلة فرعى طيء، لاستعادة الأراضي التي خسرتها قبيلة طيء؛ واستمر هذا النزاع يضيق تارةً ويتسع أخرى، حتى كتب رسول الله (ص) بعد البعثة النبوية كتاباً إلى بنى أسد يمنعهم فيه من التعرض لأرض طيء ومياهاها .. إسلام قبيلة طيء:

إنّ الحديث عن إسلام قبيلة طيء يأخذنا بدايةً ولو قليلاً إلى إسلام القبائل العربية اليمنية، ولا أرى بأساً أن أذكر ذلك في مقالي هذه ولكن بكلام مضغوط، فلما دانت قريش بالفتح، ودانت بعدها هوازن وثقيف في الطائف وكان ذلك في شهر رمضان سنة تسع هجرية، حين قدم

ص: ١٩٢

رسول الله (ص) من تبوك، وكانت قبائل اليهود الثلاث القوية في المدينة قد انتهت شوكتها، فأجلى بنو قينقاع وبنو النضير إلى الشام، وأبيدت بنو قريظة، واستسلمت خيبر الاستسلام الأخير، وقبول النصارى دفع الجزية بعد أن أذعنوا للمسلمين، وتوسع النفوذ الإسلامى إلى حدود (أيله و جرباء و تبوك و دومة الجندل) في شمال الجزيرة العربية بعد غزوة تبوك .. صحيح أن الإسلام وصل بلاد اليمن قبل الهجرة النبوية، لكن إسلامهم بلغ ذروته في التاسعة هجرية المعروفة بعام الوفود بعد فتح مكة سنة ٨ هجرية، فغدت قبائل اليمن ترسل وفودها إلى رسول الله (ص) معلنة إسلامها بشكل واسع؛ ولعل هذا وقع لأسباب طرأت على الساحة يومذاك كما ذكرناها.

يضاف إليها الفرقة والنزاع بين القبائل اليمنية، مما دفع بعضها إلى البحث عن تعمد عليه كسند قوى لها، خصوصاً بعد ما أصاب دولة اليمن من ضعف وتشتت لقواها السياسية والعسكرية .. لهذا ولتلك الأسباب ولعل لغيرها سلكت هذه القبائل طريق الهدى، وكان إيذاناً لها بدخول الناس في دين الله أفواجاً، وانسياح الإسلام في أرجاء الجزيرة كلها في عام واحد؛ وهذا لا يجعلنا نغفل عن التوفيق الإلهي لمن كان ينتظر الفرصة المناسبة للدخول في الإسلام بجد وصدق، خصوصاً إذا ما أخذنا بالرأى الذى يبين أن الإسلام أو على الأقل أخباره وبعض تعاليمه وصلت إليهم خلال وجود النبي (ص) في مكة.

وبما أن النظام القبلى كان هو الذى يسود المجتمع اليمنى، فإنّ الناس يتبعون غالباً رؤساءهم وشيوخهم، الذين كانوا سباقين إلى الإسلام

ص: ١٩٣

ومسارعين في القدوم على رسول الله (ص) في المدينة المنورة ..

فقد أرسل بعض رؤساء القبائل ممثليهم إلى النبي (ص) يعلمونه بإسلامهم، مثل رؤساء قبيلة حمير الذين أوفدوا مالك بن مرارة الرهاوي إلى المدينة لمقابلة رسول الله (ص) فيما لم يكتف رؤساء قبائل أخرى بممثليهم بل شكلوا وفوداً إلى الرسول (ص) ليعلنوا إسلامهم مثل وفود دوس، والنخع، وغافق، وتجب، والصدف، وخولان، وكندة، بينما جاء بعض رؤساء قبائل أخرى بأنفسهم، ليعلنوا إسلامهم أمام رسول الله (ص) مثل عمرو بن معدى كرب الزبيدي في بني زبيد، ومهرى بن الأبيض، وفروة بن مسيكة المرادي رئيس قبيلة مراد، ووفود رهاء وبجيلة والأزد وغافق وبارق وطىء.

هذا وأن بعض الوفود التي قدمت إلى المدينة كان يضم أعداداً كبيرة من شيوخ القبائل وأفرادها، حتى بلغ أكثر من ألف نفر، ومن الواضح أن هذا العدد الكبير حين يعود بعد إسلامهم إلى بلادهم، فإنه سيكون ذا تأثير كبير في نشر الإسلام وبسط نفوذه، فأشعر بلغ وفدهم خمسين نفرًا، وبلغ وفد دوس سبعين أهل بيت، وبلغ وفد بجيلة أربعمئة نفر، ووفد النخع مائتي نفر، ووفد طىء خمسة عشر نفرًا، ووفد صداء خمسة عشر نفرًا وهكذا بقيت الوفود، وخصوصاً أنها وفود تضم زعماءهم وأشرفهم ..

تعامله (ص):

لقد كان تعامله (ص) مع القادمين ينبثق من خلقه العظيم، فكان (ص) يستقبلهم بلطف، و يحسن ضيافتهم، وصولاً إلى تعميق روح الإيمان في قلوبهم ..

ص: ١٩٤

و من صور ذلك التعامل الرائع:

- كان (ص) يأمر بجوائز و صلوات لمن يفد عليه و يعلن إسلامه، كما فعل مع وفد خولان، و بجيلة و غامد، و تجيب.
 - وكان (ص) يبعث بعض أصحابه إلى القبائل اليمانية، لتعليمهم القرآن و الأحكام الشرعية، و ليس دورهم يقف عند هذا الدور
 التثقيفي التعليمي، بل و كبادرة طيبة في إصلاح الوضع الاجتماعي لهم، كان (ص) يأمر مبعوثيه إليهم بتوزيع ما يحصلون عليه من
 الصدقات بين فقراء تلك القبائل.

- فالإمام علي بن أبي طالب (ع) بعثه (ص) لأخذ صدقات بني نجران، و من أصحابه الآخرين الذين نالوا شرف بعثاته المذكورة:

خالد بن سعيد بن العاص الذي أرسله النبي (ص) مع فروة بن مسيكة المرادي.

عمرو بن حزم الأنصاري الذي أرسله (ص) إلى بني الحارث بن كعب.

عمرو بن العاص و أبو زيد الأنصاري اللذين أرسلوا إلى أزد عمان.

المهاجر بن أبي أمية و كان قد بعث إلى صنعاء.

زياد بن ليبيد الأنصاري اوفد إلى حضرموت.

معاذ بن جبل الذي أرسل إلى حمير لدعوتهم إلى الإسلام، و كان عامل النبي (ص) على الجند ..

ص: ١٩٥

وعدى على صدقات قومه:

عدى بن حاتم بعد إسلامه جعله رسول الله (ص) على صدقات قومه، وبقي في وظيفته هذه حتى بعد وفاته (ص). وقد ورد أن عدياً لما أسلم بين يدي رسول الله (ص) وأراد أن يرجع إلى بلاده بعث إليه رسول الله (ص) يتعذر من الزاد، ويقول: والله ما أصبح عند آل محمد سفه من طعام "القبضة من الملح" ولكنك ترجع ويكون خير.. فلما قدم على أبي بكر أعطاه ثلاثين فريضة "ثلاثين بغيراً" فقال عدى: يا خليفة رسول الله! أنت إليها اليوم أحوج وأنا عنها غنى، فقال أبو بكر: خذها فإنى سمعت رسول الله (ص) يتعذر إليك ويقول: ترجع ويكون خير؛ فقد رجعت وجاء الله بخير، فأنا منفذ ما وعد رسول الله (ص) في حياته، فأنفذها، فقال عدى: آخذها الآن فهي عطية من رسول الله (ص)، فقال أبو بكر: فذاك.

وجاءت هذه العطية لعدى بعد أن جمع الصدقة من قومه وجاء بها إلى رسول الله (ص) ولكنه فوجئ بوفاته (ص) يقول الخبر: فقبض النبي (ص) وهي في يده،.. ناداه رجل من بنى أسد.. يا بن حاتم فارجع فاقسم هذه الإبل بين قومك، فتكون سيد الحيين ما بقيت؛ فقال عدى: إن يكن محمد قد مات فإن الذى أسلمت له حى لم يم، فساق الصدقة.. فكانت ثلثة ثلاث صدقات أو ثانية صدقتين قدمتا على أبي بكر بعد رسول الله (ص)، فأعطى منها عدياً ثلاثين بغيراً..

ص: ١٩٦

رسائله (ص) وعهوده:

كما كان من صور تعامله (ص) أن كتب الرسائل إلى عدد من رجال اليمن وقادتها مثل أبي ظبيان الغامدي يستميلهم ويدعوهم إلى الإسلام، فيما كتب عهوداً إلى عدد من قادة اليمن وشيوخها منحهم فيها عناوين سياسية وأقرهم على مناطقهم، ثم طلب منهم رعاية أحكام الإسلام وحدوده؛ ومن هؤلاء القادة: رؤساء حمير، و زبيد، ومراد، وهمدان، و خثعم، و طيء، عهد (ص) إلى كل واحد منهم بإدارة قبيلته ومن هؤلاء: وائل بن حجر بن سعد الحضرمي الذي أضحى رئيساً لقومه، و قيس بن سلمة الجعفي الذي عينه أميراً على قبائل مران وحریم و كلاب، و فروة بن مسيكة المرادي الذي غدا أمير مراد و زبيد، و أبو موسى الأشعري - وهو قائد سرية في حين - عينه النبي (ص) والياً على عدن و زبيد و رمع و الساحل، و صرد بن عبدالله الأزدي قائد الجيش الذي فتح جرش، و جرير بن عبدالله البجلي قائد الجيش الذي خرب صنم "ذو الخلصة" ممثله (ص) لدى ذى الكلاع و ذى عمرو، و قيس بن الحصين الحارثي الذي جعله (ص) أميراً على قبيلة «بنو الحارث بن كعب» و بعد أن أسلم عدى بن حاتم الطائي - كما قلنا - غدا عاملاً على صدقات قومه، و مالك بن مرارة الذي عين عاملاً على صدقات الحميريين و كلف بأخذ الجزية من مشركيهم.

ص: ١٩٧

زيد الخيل:

وقبيلة طيء فهي كباقي القبائل اليمنية، ففي السنة التاسعة (عام الوفود) وقد رأت الفتح العظيم، والنصر الكبير لرسول الله (ص) بفتح مكة ودانت له قريش، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ورأت وفود العرب قد وفدت إلى حيث المدينة المنورة أفواجاً، جماعات جماعات كثيرة، من كل حدب وصوب، لتبايع رسول الرحمة محمد (ص) وتعلن إسلامها وولاءها، وخير ما صورت هذه الحالة الآيات القرآنية في سورة النصر:

بسم الله الرحمن الرحيم* إذا جاء نصر الله والفتح* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً* فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً.

أعدت قبيلة طيء وفدها من خمسة عشر نفرًا، فيهم زيد الخيل بن مهلهل، وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلموه، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا، فحسن إسلامهم، وقال رسول الله (ص) كما حدثني- والقول لابن إسحاق- من لا أتهم من رجال طيء: ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني، إلا رأيتته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله (ص) زيد الخير، وقطع له فيداً " وهو اسم مكان " وأرضين معه، وكتب له بذلك، فأسلموا على يدى رسول الله (ص) فخرج من عند رسول الله (ص) راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله (ص): «إن ينج زيد من حمى المدينة»، فإنه قال: قد سماها رسول الله (ص) غير الحمى وغير أم ملدم، فلم يثبتته، فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له: فردة، أصابته الحمى بها فمات، ولما أحس زيد بالموت قال:

ص: ١٩٨

أمرت حل قومي المشارق غدوةً وأترك في بيت بفرده منجد "أى بنجد"
 ألا رب يوم لو مرضت لعادنى عوائد من لم يبر منهن يجهد
 "يرى (بالبناء للمجهول) أى يبريه السفر ويضعفه."

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه، التي قطع له رسول الله (ص) فحرقتها بالنار.

وتحكى الرسالة التي بعثها رسول الله (ص) إلى عشيرة معاوية بن جرو، وعشيرة عامر بن الأسود جوين الطائي، وعشيرة زيد الخيل الطائي اهتمام النبي (ص) بهذه القبيلة.

ويتضح مما تقدم أن الإسلام قد انتشر بين القبائل اليمنية انتشاراً سريعاً، وأنه بلغ درجة كبيرة من الانتشار والرسوخ في أواخر حياة رسول الله (ص) كما يتبين على الأغلب أن دخول تلك القبائل في الدين الحنيف حصل طواعية وباندفاع ذاتي وتأصل بين قبائلها حتى عرفوا بمواقفهم الجليلة وبصدقهم وجهادهم وعطائهم.. يشهد على ذلك الوفود التي كانت تتقاطر على المدينة، فتعلن إسلامها و تحمل صدقاتها إلى النبي (ص) ومن الرسائل والكتب التي كتبها رسول الله (ص) إلى رؤساء القبائل اليمنية يأمرهم فيها بالعمل بحدود الإسلام وأحكامه.

وقد أبلت قبيلة طيء في قضية الردة بلائاً حسناً، فلم يرتد منها- كما فعلت القبائل الأخرى- إلا رجلان اثنان، ويبدو أن عدياً بعد إسلامه كان له دور كبير في إخماد ما كان يجيش في نفوس كثير منهم من رغبة في الارتداد.

ص: ١٩٩

إنها دروس ما أروعها!

إذا ما تأملنا الموقف العظيم لرسول الله (ص) في قصة إسلام قبائل اليمن، وبالذات قصة إسلام سفانة وأخيها، لاضطرنا ذلك على إعادة قراءته والوقوف عند كل فعل بل عند كل كلمة لرسول الله (ص)، فسنجد فيها قدرةً فائقةً وحكمةً عاليةً عالج فيها كل ما كانت عليه تلك القبائل، ليحقق ما كان تريده السماء وهو هدايتهم.

وقد استطاع أن يحدث تغييراً يعد أصعب أنواع التغيير، وهو تغيير ما كانوا يعتقدونه من معتقدات باطلة، لكنها رسخت في أنفسهم وسلوكهم، وما يترتب على هذا من تبديل لوضعهم الاجتماعي، ولعلاقاتهم المتأزمة والمصبوغة بالدماء والثارات لفترات طويلة جداً، وبأسلوب يتسم بالمهارة والإتقان، وهي مهارة مهمة يحتاجها صناع التأثير.

تأمل ما ذكرته باختصار عن تلك القبائل وعن كيفية إسلامها وموقف رسول الله (ص) فستجد مدى القدرات التي كان يتمتع بها نبي الرحمة محمد (ص). وتعال معي أيضاً للقصة التالية، فستجد درساً آخر يحكي خلق النبي (ص) وحكمته في تبليغ دعوة ربه، وتسويق ما أمره الله به، يظهر هذا مع عدى بن حاتم الطائي ومن قبله أخته سفانة، التي أسلمت وحسن إسلامها.. ويضع الباحث يده على دروس تربوية عديدة في كل هذا.

عدى الهارب من الله ورسوله!

فلا بد لنا أولاً من أن ننصت لعدى وهو يحدثنا عن موقفه من رسول الله (ص) قبل إسلامه على المستوى النفسي، وعن وضعه الديني

ص: ٢٠٠

والاجتماعى، حيث يقول: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله (ص) حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرئاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير فى قومي بالمرباع "أى آخذ الربع من الغنائم لأنى سيدهم" فكنت فى نفسى على دين، وكنت ملكاً فى قومي لما كان يصنع بى، فلما سمعت برسول الله (ص) كرهته، فقلت لغلام كان لى عربى، وكان راعياً لإبلى: لا أبأ لك، أعدد لى من إبلى أجمالاً ذللاً سماناً، فاحتبسها قريباً منى، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذنى، ففعل.

ثم إنه أتانى ذات غداة، فقال: يا عدى! ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإنى قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد؛ قال: فقلت: فقرب إلى أجمالى، فقربها، فاحتملت بأهلى وولدى، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام، فسلكت الجوشية "ويقال الحوشية وهى جبل للضبب قرب صرية من أرض نجد،" وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر "وهى سفانة كما رجحه السهيلي إذ لا يعرف له بنت غيرها، والحاضر: الحى،" فلما قدمت الشام أقمت بها.

واستمر عدى يحدثنا قائلاً: وتخالفنى خيل لرسول الله (ص) فتصيب ابنه حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله (ص) فى سبايا من طىء، وقد بلغ رسول الله (ص) هربى إلى الشام، فجعلت بنت حاتم فى حظيرة باب المسجد، كانت السبايا يحسن فيها.

ص: ٢٠١

سفانة في الأسر:

فبعد أن وقعت أسيرة في جيش علي بن أبي طالب (ع) عند ما غزا طيناً في ربيع الآخر من السنة التاسعة هجرية في جند قوامهم مائة فارس ولتخريب قرية «فلس» فحمل علي (ع) على أرض حاتم وعادوا بغنائم وسبايا، ولكن وقبل أن يأمر بقتال أهلها، قال لهم: «قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم».

فقال النساء لسفانة: إنهم يرثون النساء كما تورث الإبل؛ فقالت سفانة: كيف؟ قال النساء: لأنها لا ترث شيئاً من أموال الأهل؛ قالت سفانة: هل يمضون بي سبياً؟ لو فعلوا ذلك لقتلت نفسي، فقالت لها إحدى النسوة: من يدخل الإسلام لا يؤخذ سبياً، ألم تسمعي ابن أبي طالب (ع) يقول: «قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم»؟

وارتفع صوت علي بن أبي طالب: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع، وأصاب خيل رسول الله (ص) ابنه حاتم في سبايا علي، فقدم بها علي رسول الله (ص).

إسلام سفانة بنت حاتم الطائي ثم عدى:

وما زلنا مع عدى وهو يواصل حديثه: فمر بها النبي (ص)، فقامت إليه، وكانت امرأةً جزلةً، فقالت: يا رسول الله! هللك الوالد وغاب الوافد

ص: ٢٠٢

فامنن عليّ من الله عليك؛ قال: ومن وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم؛ قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله (ص) وتركني.

حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه.

فقلت إليه فقلت: يا رسول الله، هللك الوالد وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك؛ وفي خبر: وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فإن رأيت أن تخلني عنى، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي سيد قومه، كان يفك العاني، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فرده، أنا ابنه حاتم الطائي، فامنن عليّ من الله عليك.

فقال (ص): قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني، وفي خبر: ثم قال لأصحابه: خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق.

فسألت عن الرجل الذي كان أشار إلى أن أكلمه فقيل: علي بن أبي طالب (ع) وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاة، قالت: وإنما أريد أن آتى أخي بالشام؛ قالت: فجئت رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ؛ قالت: فكساني رسول الله (ص)، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

ص: ٢٠٣

وفى خبر: وأقامت سفانته حتى قدم رهط من قومها فيهم ثقة وبلاغ فقالت: يا رسول الله، قدم رهط من قومي فيهم ثقة وبلاغ، فمنَّ عليها بالحرية، وأعطاهم عطاءً جزيلاً، وكساها، وأعطاهم نفقةً، وحملها على بعير.

فقالت سفانته: شكرتك يد افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يد اغتنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمه كريم إلا وجعلك سبياً لردّها عليه.

وخرجت سفانته مع الرهط حتى قدمت الشام، وبينما عدى بن حاتم -الذي كان يدين بالمسيحية يومذاك، وقد فرّ إلى الشام- قاعد في أهله فنظر إلى ظعينة "امرأة في هودج" تصوب إليه.. ولنترك عدياً يحدثنا بلسانه عن المقطع هذا من حياته، قال عدى: فوالله إنى لقاعد في أهلى، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلى تؤمنا، فقلت: ابنه حاتم؟ فإذا هى هى، فلما وقفت على انسحلت "أخذت في اللوم ومضت فيه مجده" تقول: القاطع الظالم، احتملت أو فررت بأهلك وولدك وتركت بقيه والدك، عورتك! قلت: أى اخيه، لا تقولى إلّا خيراً، فوالله ما لى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت.

ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها، وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل "؟ يعنى رسول الله (ص) قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت، قلت: والله إن هذا الرأي.

ص: ٢٠٤

وفي خبر: قالت سفانة: لقد فعلت فعلة لو كان أبوك موجوداً لفعلها، ابتدر راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، فقال عدى: إني لأرجو الله أن يجعل يدي في يده.

يقول عدى: فخرجت حتى أقدم على رسول الله (ص) المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدى بن حاتم، جئت من نفسى بلا أمان أو كتاب؛ فقام رسول الله (ص) فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. قلت في نفسى: والله ما هذا بملك.

ثم مضى بي رسول الله (ص) حتى إذا دخل بي في بيته، تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً فغذفها إلى فقال: «اجلس على هذه».

قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: «بل أنت»، فجلست عليها، و جلس رسول الله (ص) بالأرض.

قلت في نفسى: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم، ألم تك ركوسياً؟ من الركوسية وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين؛ قلت: بلى؛ قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قلت: بلى؛ قال: «فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك»؛ قلت: أجل والله.

وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل.

ثم قال (ص): «لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من

ص: ٢٠٥

يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقله عددهم! فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا- تخاف إلا- الله، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم». قلت: فأسلمت.

وفى خبر: ثم قال رسول الله (ص) لعدى: «ما يُفْرِك! أيفرك أن تقول: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله سوى الله؟!»

فقال: لا، ثم قال رسول الله (ص): «إنما تفر أن يقال: الله أكبر، وهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟!»

فقال: لا، فقال رسول الله (ص): «فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصراني ضالون».

فقال عدى: إني حنيف مسلم، فانبسط وجه رسول الله (ص)، ثم وكل به رجلاً من الأنصار فنزل عنده.

وكان عدى يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة، ليفيطن المال حتى لا يوجد من يأخذه. (١)

١- السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٤: ٤ - ٢٢٨؛ تاريخ الطبري ١٨٦: ٢ - ١٨٨؛ مختصر تاريخ دمشق ٢٩٧: ١٦ - ٢٩٨؛ وأسد الغابة والطبقات.

ص: ٢٠٦

شيء من حياة عدى:

عاش هذا الصحابي الجليل عدى بن حاتم رضوان الله عليه مأه وثمانين سنة ودفن في قرقيسياء وهي بلد على نهر الخابور، قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ، وعندها مصب الخابور في الفرات كما جاء في إحدى روايتين ذكرهما صاحب مختصر دمشق في ترجمته، فيما ذكر في الرواية الأولى أنه توفي في الكوفة زمن المختار الثقفي الذي كانت حكومته على الكوفة (١٨) شهراً، وهي من ربيع الأول سنة (٦٦هـ) إلى النصف من شهر رمضان سنة (٦٧هـ) وعدى حسب هذه الرواية ابن عشرين ومائة سنة، إذ كانت وفاته بين سنة (٦٦-٦٧هـ)، وهو ما ذكره بعض المؤرخين؛ لهذا قد تكون ولادته ما بين سنة (٥٢) و (٥٤) قبل الهجرة النبوية المباركة، إن أخذنا برواية عمره ١٢٠ سنة ويبدو أنها المعتمدة، وأن عمره حين أسلم ستون سنة أو تزيد قليلاً، فكان مسلماً مؤمناً مجاهداً متبعاً للحق وأهله لم ينكص ولم يبدل ولم يغير حتى لحق بركب الخالدين .. بعد أن كان قبل البعثة النبوية و بعد الهجرة النبوية حتى السنة التاسعة هجرية- كما ذكرنا- على دين النصرانية أو الركوسية، وهو دين بين النصرانية والصابئية، لكنه لم يكن وثنياً، وكانت له زعامه قومه وراثتهم، وقد احتواه الخلق النبوي فجعله يدخل الإسلام ويعتقه بصدق ووعي وبصيرة.

من صفاته:

وكان عدى بن حاتم رجلاً، جسيماً، شجاعاً، مقاتلاً، حتى ذهب إحدى عينيه في معركة الجمل، وذهبت الأخرى في وقعة صفين، ويبدو أن

ص: ٢٠٧

ذهاب العين لم يكن كاملاً، لأن عدياً اشترك في معركة النهروان، وعاصر ما بعدها من الأحداث، صحيح أن العور لغه ذهاب بصرها، لكن هناك من يقول: إن العرب يعبرون عن انقلاب الجفن، وما شابهه من العيوب التي تُصيب العين ولا تذهب بالبصر كله، ب- (العور).

كما كان أديباً شاعراً ذا حكمه، ملئت ترجمته في كل المصادر بأدبه الذي سطره شعراً ونثراً عبر مواقف شجاعه وجريئه قل نظيرها وهو ما سنراه في وقعه صفيين وغيرها.

كريم من بيت كريم:

وكان قد ولد ونشأ وسط بيت يشخص فيه والده الذي ضرب مثلاً رائعاً في الكرم والجود، إما أن يكون وحيداً فيه أو كان أحد كرام ثلاثة؛ تزوج حاتم النوار التي طالما كانت تلومه على كرمه، فتزوج ماويه بنت عفزر، من بنات ملوك اليمن، وكانت تحب الكرم وتوقر الكرماء، فأنجبت له عدياً.

وقد تركت صفات الأب بصماتها على عدي، حتى ورث تلك الخصال الحميدة عن أبيه، الذي روى فيه الإمام الرضا (ع) كما في المستدرک: «أن رسول الله (ص) قال لعدي: دفع عن أبيك العذاب لسخاوة نفسه، أو رفع عن أبيك العذاب بسخاوة نفسه». عن عدي أنه قال: «لما دخل على رسول الله (ص) ألقى إليه وسادة، فجلس على الأرض، فقال: أشهد أني لا أبتغي في الأرض علواً ولا فساداً، قال: فأسلم، قال رسول الله (ص): إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه».

ص: ٢٠٨

يقول عدى: كان أبى يقول: ما بدأت أحداً بشر، ولا تدمرت على جار لى، ولا سألتى أحد شيئاً فرددته. ونشأ على تلك المكارم التى هذبها له الإسلام، فكانت على أجمل ما تكون. وفى ذلك يقول الشاعر:

شابه حاتمًا عدى فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

إذن كان عدى طيباً سمحاً جواداً كريماً كأبيه، وهذه ألوان من جوده وكرمه:

– أنه سمع رجلاً من الأعراب يقول: يا قوم، تصدقوا على شيخ معيل، وعابر سبيل، شهد له ظاهره، وسمع شكواه خالقه، بدنه مطلوب، وثوبه مسلوب.

فقال له عدى: من أنت؟

قال: رجل من بنى سعد، فى دية لزممتنى.

قال: فكم هى؟

قال: مائة بعير.

قال عدى: دونكها فى بطن الوادى.

– أرسل الأشعث بن قيس إلى عدى يستعير منه قدور حاتم أبيه، فأمر بها عدى فملئت، وحملها الرجال إلى الأشعث، فأرسل الأشعث إليه: إنما أردناها فارغة، فأرسل إليه عدى: إنا لا نغيرها فارغةً.

ص: ٢٠٩

- ولطالما كان عدى يفت الخبز للنمل، ويقول: إنهن لجارات، ولهن حق.

- وقد خطب عمرو بن حريث إلى عدى بن حاتم، فقال: لا أزوجك إلا على حكمي، فرجع عمرو وقال: امرأة من قريش على أربعة آلاف درهم أعجب إلى من امرأة من طيء على حكم أبيها؛ فرجع، ثم أبت نفسه، فرجع إليه، فقال: على حكمي؟ قال: نعم؛ فرجع عمرو بن حريث، فلم ينم ليلته مخافة أن يحكم عليه بما لا يطيق، فلما أصبح، بعث إليه أن عرفني ما حكمت به علي؟ فأرسل إليه: إنني حكمت بأربع مائة درهم وثمانين درهماً سنة رسول الله (ص)؛ وفي رواية: مهر عائشة، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم وكسوة، فردها وفرق الثياب في جلسائه وقال من الطويل:

يرى ابن حريث أن همى ماله وما كنت موصوفاً بحب الدراهم

وقالت قريش: لا تحكمه إنه على كل حال عدى بن حاتم

فيذهب منك المال أول وهلة وحمامها والنخل ذات الكمام

فقلت: معاذ الله من ترك سنة جرت من رسول الله والله عاصي

وقلت: معاذ من سوء سنة تحدثها الركبان أهل المواسم

- وفي سماحته وصبره على الأذى؛ ذكروا أنه أخذ رجل بلجام عدى بن حاتم فقال له: أتفخر بأبيك وهو جمر في النار؟! وتفخر على قومك بأن تجلس على وطاء دونهم؟! وذكر أشياء تقصر به، وهو واقف لا يحرك بغلته، فقال له لما سكت: إن كان بقي عندك شيء تريد أن تذكره فافعل قبل أن يأتي شباب الحي، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لشيخهم لم يرضوا.

ص: ٢١٠

وله أقوال جميلة منها:

- ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلّا وأنا على وضوء.

- وما جاء وقت صلاة قط إلّا وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت إلّا وأنا إليها بالأشواق.

- لسان المرء ترجمان عقله.

- ولما طلبوا منه أن يخبرهم عن السيد الشريف؟ قال: هو الأحقق في ماله، الدليل في عرضه، الطارح لحقده، المعنى بأمر عامته.

- ولما قالوا له: أى الأشياء أثقل عليك؟ قال: تجربة الصديق، ومسلّة (أى مسألة) اللثيم، و رد سائلى بلا نيل.

- ثم قيل له: فأى الأشياء أوضع للرجال؟ قال: كره الإسلام، وإضاعه الأسرار، والثقة بكل أحد؛ كان أبى يقول: ما بدأت أحداً بشراً، ولا

تذمرت على جار لى، ولا سألتى أحد شيئاً فرددته.

إنّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وإنّ منكركم اليوم معروف زمان ما أتى، وإنكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم

تنكرون، ولا تنكرون ما كنتم تعرفون، وما دام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخف.

وقد ذكروا أنه قال حين قتل عثمان: لا ينتطح فى قتله عتزان، فلما كان يوم صفين فقئت عينه فقيل له: لا ينتطح فى قتل عثمان عتزان!

قال: بلى، وتفقا عيون كثيرة؛ وإنما فقئت عينه يوم الجمل، ولهذا لما خرج الناس يقولون قتل عثمان: قال عدى: لا تحبى فى قتله عناق

حوليه، فلما كان يوم الجمل فقئت عينه، وقتل ابنه محمد مع على، وقتل ابنه الآخر مع الخوارج،

ص: ٢١١

فقيل له: يا أبا طريف، هل حقت في قتل عثمان علق حوليه؟ فقال: بلى وربك، والتيس الأعظم.
وقول عدى هذا يضرب للأمر الذي لا يعبأ به، لا- غير له ولا- يدرك به ثأر، أو لا- يكون له تغيير ولا نكير، أو لا يلتقى فيها اثنان
ضعيفان، وهو إشارة إلى قضية لا يجرى فيها خلف و نزاع. (١)

من مروياته:

عدى وآية الصيام:

لما نزلت هذه الآية: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ. (٢) قال: عمدت إلى عقالين أبيض وأسود،
فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أقوم من الليل فلا- أستبين الأسود والأبيض، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله (ص) فأخبرته،
فضحك وقال: «إن كان وسادك إذاً لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل».
قال عدى: أتيت رسول الله (ص) وفي عنقي صليب من ذهب.

فقال (ص) لى: «يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك»، قال: فطرحته، ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة براءة هذه الآية: اِتَّخَذُوا

١- مستدرک الوسائل ح ٧٥١٤؛ بحار الأنوار وفقه الإمام الرضا ع؛ هامش الصفحة ٣٠٢-٣٠٣ من مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور
١٦ وفيه مصادر هذا المثل.

٢- سورة البقرة: ١٨٧.

ص: ٢١٢

أخْبَارُهُمْ وَرُهْبَانُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ... (١) حتى فرغ منها، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم.

فقال (ص): «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟» قال: فقلت: بلى، قال (ص): فتلك عبادتهم».
 عنه عن النبي (ص): قال: قال رسول الله (ص): «يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها ونظروا إليها واستنشقوا رائحتها وإلى ما أعد الله لأهلها، نودوا أن اصرفوهم لا نصيب لهم فيها، قال: فيرجعون بحسرة ما رجح الأولون بمثلها، قال: فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأولائك كان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين (أو مخبتين) تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتهم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فالיום أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب».
 وعنه عن رسول الله (ص) أنه قال: «كلكم يناجى ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ينظر إلى أيمنه فيرى عمله، ثم ينظر أمامه فيرى النار، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمره».

وعنه قال: أتيت رسول الله (ص) فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر ثم سأله فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن أحدكم ملاقى الله فقاتل ما أقول ألم أجعلك سميعاً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالاً وولداً؟ فماذا قدمت؟ فينظر بين يديه

ص: ٢١٣

ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فلا يجد شيئاً، فلا يتقى النار إلا بوجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمره، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة». وعنه أيضاً، قال: ما دخلت على النبي (ص) إلا توسع لي، أو قال: تحرك لي، فدخلت عليه ذات يوم وهو في بيت مملوء من أصحابه، فلما رأني توسع لي حتى جلست إلى جانبه.

وفي الصيد الذي كان مولعاً به وصاحب كلاب وجوارح قرأت له ست روايات، أكتفى بواحدة: قال:- سألت رسول الله (ص) فقلت:- إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب، فقال (ص): «إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك، إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل، فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه، فإن خالطها كلب من غيرها فلا تأكل». (١) حواره مع ابن الزبير ومعاوية: وذكر له موقف مع ابن الزبير ثم معاوية، كما ورد في مختصر تاريخ دمشق حين استأذن على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال له عبدالله: بلغني يا أمير المؤمنين أن عند هذا الأعور جواباً، فلو شئت هجته. فقال: أما أنا فلا أفعل، ولكن دونكاه إن بدا لك، فلما دخل عدى قال له عبدالله بن الزبير: في أي يوم فقئت عينك يا أبا طريف؟

١- مختصر تاريخ دمشق ١٦ ترجمته: وهامش الصفحة ٢٦٧-٣٠٣-٣٠٤؛ حلية الأولياء لأبي نعيم ٤-٧-٨ عدى بن حاتم.

ص: ٢١٤

فقال له: فى اليوم الذى قتل فىه أبوك، وكشفت فىه إستك، ولطم فىه على قفاك، وفى رواية وضربت على قفاك، وأنت مهزوم. وفى رواية: يا أبا طريف متى ذهبت عىنك؟

قال: يوم فر أبوك منهزماً فقتل، وضربت على قفاك وأنت هارب، وأنا مع الحق وأنت مع الباطل.

فضحك معاوية وقال له: ما فعلت الطرفات؟ وهم- طريف وطرفه ومطرف طريف- قال: قتلوا، قال: ما أنصفك ابن أبى طالب أن قتل بنوك معه وبقي له بنوه، قال: إن كان ذلك، لقد قتل وبقيت أنا من بعده.

وفى رواية أخرى وبحضور عمرو بن العاص، قال له معاوية: ما فعل الطرفات؟ ويعنى طريفاً وطرافاً وطرفهً أبنائه.

قال: قتلوا مع أمير المؤمنين (ع).

فقال له: ما أنصفك على، إذ قدم أبنائك وأخر أبنائك!

قال: بل أنا ما أنصفته؛ قتل وبقيت بعده!

فقال معاوية: أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان مالها إلا كذا، وأومى بيده إليه.

فقال له عدى: إن السيوف التى أغمدت على حسك فى الصدور، ولعلك تسل سيفاً تسل سيوف.

فالتفت معاوية إلى ابن العاص، فقال: كلمة شدها فى قرنك.

ثم خرج عدى وهو يقول:

ص: ٢١٥

يحاولنى معاوية بن صخر وليس إلى التى يبغى سبيل
 يذكرنى أبا حسن علياً وخطبى فى أبى حسن جليل
 يكاشرنى ويعلم أن طرفى على تلك التى أخفى دليل
 ويزعم أننا قوم طغام حراريون ليس لنا عقول
 وقال ابن الوليد وقال عمرو عدى بعد صنفين ذليل
 فقلت صدقتما قد هد ركنى وفارقنى الذين بهم أصول
 ولكنى على ما كان منى أخبر صاحبى بما أقول
 وإن أحاكما فى كل يوم من الأيام محمله ثقيل

قال له معاوية: أليس زعمت أنه لا تحب فى قتل عثمان عنز؟ قال: قد والله حب فى التيس الأكبر، قال معاوية: إلا أنه قد بقى من دمه
 قطرة ولا بد أن اتبعها، قال عدى: لا أبا لك شم السيف يسل السيف، فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال: اجعلها فى كنانتك
 فإنها حكمة.

ولما أسن استأذن قومه فى وطاء (خلاف الغطاء، ما انخفض من الأرض) يجلس فيه فى ناديهم وقال: إنى أكره أن يظن أحدكم أنى
 أرى أن لى عليه فضلاً، ولكنى قد كبرت ورق عظمى، فقالوا: انتظر، فلما أبطأوا عليه أنشأ يقول من الوافر:

أجيبوا يا بنى ثعل بن عمرو ولا تكموا الجواب من الحياء
 فإنى قد كبرت ورق عظمى وقل اللحم من بعد النقاء
 وأصبحت الغداة أريد شيئاً يقينى الأرض من برد الشتاء
 وطاءً يا بنى ثعل بن عمرو وليس لشيخكم غير الوطاء
 فإن ترضوا به فسرور راض وإن تأبوا فإنى ذو إباء

ص: ٢١٦

سأترك ما أردت لما أردتم وردك من عصاك من العناء

لأنى من مساء تكم بعيد كبعد الأرض من بعد السماء

وإنى لا أكون لغير قومی وليس الدلو إلا بالرشاء

فأذنوا له أن يبسط فى ناديهم، وطابت به أنفسهم، وقالوا: أنت شيخنا وسيدنا، وما فىنا أحد يكره ذلك ولا يدفعه. (١)

عدى وأهل البيت (هم):

كان عدى بن حاتم على جانب عظيم من الوثاقه، ومن خلص أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وقد كان حاضراً فى كل موقعه ضد الناكثين

والقاسطين والمارقين، ومن بعده مع الإمام الحسن (ع).

وكانت له مواقف مشرفه، وكلمات صادقه، وقصائد رائعه تحكى مدى إيمانه بالله تعالى ورسوله (ص) ومودته لأهل البيت (هم)،

وثباته على مبدئه الحق بوعى وبصيره.

وكان ممن اعتقدوا ورووا أن الأئمة بعد النبى (ص) اثنا عشر إماماً، كلهم من قريش.

وفى مناشده أمير المؤمنين (ع) حين قال: «أنشد الله من شهد يوم غدیر خم إلا قام، ولا يقوم رجل يقول نبئت أو بلغنى، إلا رجل سمعت

أذناه، ووعاه قلبه.

١- المحاسن والمساوى: ٣٣؛ الدرجات الرفيعة: ٣٦٠؛ مختصر تاريخ دمشق ١٦ ترجمته؛ أعيان الشيعة: ٤١.

ص: ٢١٧

فقام سبعة عشر رجلاً، وكان منهم عدى بن حاتم.

فقال أمير المؤمنين (ع): «هاتوا ما سمعتم».

فنقلوا واقعة الغدير حتى انتهوا إلى القول: ثم أخذ (ص) بيدك يا أمير المؤمنين، فرفعها وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقال علي (ع): «صدقتم، وأنا على ذلك من الشاهدين».

وقد ذكر بعضهم عدياً بأشعاره فيمن فاز بولائه ومودته لعلي (ع) ومنهم طلبه بن قيس بن عاصم المنقري:

إذا فاز دوني بالمودة مالك وصاحبه الأذنى عدى بن حاتم

وفاز بها دوني شريح بن هانئ فقيم ننادى للأموال العظام

ولو قيل من يفدى علياً فديته بنفسك يا طلب بن قيس بن عاصم

لقلت نعم تفديه نفس شحيحة ونفدى بسعد كلها حي هاشم

وأيضاً لأيمن بن خريم بن فاتك وقد اعتزل علياً (ع) ومعاوية شعر يذكر عدياً فيه، و دوره في وقعة صفين:

أما والذي أرسى ثبيراً مكانه وأنزل ذا الفرقان في ليلة القدر

لئن عطفت خيل العراق عليكم ولله لا للناس عاقبة الأمر

تقحمها قدماً عدى بن حاتم و الاشر يهدى الخيل في وضح الفجر

(١)

١- أعيان الشيعة للعامل، ترجمة عدى؛ كتاب الاحتجاج، للطبرسي؛ وقعة صفين، لابن مزاحم: ٥٠٣-٥٥٣-٥٥٤.

ص: ٢١٨

ما قيل فيه:

إضافةً إلى ما مرّ علينا من مدح له، فقد ورد فيه العديد من الأقوال، وهي تحمل ثناءً عليه وتكريماً له: في أسد الغابة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) أربعة سادة في الإسلام، بشر بن هلال العبدى، وعدى بن حاتم، وسراقه بن المدلجى، وعروة بن مسعود الثقفى.

وكان منها ما ذكره في استنقاذه من ارتد من طيء بعد وفاة رسول الله (ص)، فكان خير مولود ولد في طيء، وأعظمه عليهم بركة؛ فمن تلك الخيرية، وهذه البركة، و مما أضيف إليهما من مواقفه المتصفه بالإيمان والشجاعة والمروءة والوفاء والصدق والكرم والتسامح، وما قدمه للمسلمين؛ فقد كان لصدقاته التي جاء بها من قومه بعد إسلامه دور ظل يذكر له .. جاءت أوصافهم له وأقوالهم فيه:

استأذن عدى على عمر فقال له: تعرفنى؟ قال عمر: نعم، فبإك الله أحسن المعرفة، أسلمت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وأعطيت إذ منعوا.

و فى حديث آخر: وأقبلت إذ أدبروا، فقال: حسبى يا أمير المؤمنين حسبى.

وعنه قال: أتيت عمر بن الخطاب فى أناس من قومى، فجعل يفرض للرجل من طيء فى ألفين ويعرض عنى، قال: فاستقبلته فأعرض عنى، ثم أتيت من حىال وجهه فأعرض عنى؛ فقلت: يا أمير المؤمنين! أتعرفنى؟ قال: فضحك حتى استلقى لقفاه، ثم قال: نعم والله إنى لأعرفك،

ص: ٢١٩

آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله (ص) ووجه أصحابه صدقة طيء، جئت بها إلى رسول الله (ص)، ثم أخذ يعتذر ثم قال: إنما فرضت لقوم أجهفت بهم الفاقة وهو سادة عشائهم لما ينوبهم من الحقوق.

وعن نابل مولى عثمان بن عفان وحاجبه قال: جاء عدى بن حاتم إلى باب عثمان وأنا عليه فنحيت عنه، فلما خرج عثمان إلى الظهر عرض له، فلما رآه عثمان رحب به وانبسط إليه، فقال عدى: انتهيت إلى بابك وقد غم آذنيك الناس عنك؛ فالتفت إلى عثمان فانتهرني وقال: لا تحجبه واجعله أول من تدخله، فلعمري إنا لنعرف له حقه وفضله، و رأى الخليفتين فيه وفي قومه، فقد جاءنا بالصدقة يسوقها، والبلاد تضطرم كأنها شعل النار من أهل الردة، فحمده المسلمون على ما رأوا منه.

وقد وصفه ابن عبد البر بأنه: كان سيداً شريفاً في قومه، فاضلاً، كريماً، خطيباً، حاضر الجواب.

وقال فيه ابن كثير: كان حاتم جواداً ممدحاً في الجاهلية، وكذلك ابنه في الإسلام.

وقال ابن حجر العسقلاني يعرفه: ولد الجواد المشهور، أبو طريف، وكان جواداً.

وقال ابن الأثير: وكان جواداً، شريفاً في قومه، معظماً عندهم، وعند غيرهم.

ص: ٢٢٠

وقال الزركلى: عدى بن حاتم أمير، صحابى، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طىء فى الجاهلية والإسلام.
عدى وعلماء الرجال:

حظى عدى بمنزلة رفيعة عند علماء الرجال:

فقد عده الشيخ فى رجاله (تارةً) من أصحاب رسول الله (ص) (وأخرى) من أصحاب على (ع)، وعده من السابقين الذين رجعوا الى أمير المؤمنين (ع)، وروى عنه.

وذكر الفضل بن شاذان فى ترجمة البراء بن مالك: أنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين، وقد عد ستة عشر صحابياً كان عدى واحداً منهم.

وانظر فقرة "شهد معركة الجمل" التالية ما جاء عنه فى ترجمة عبدالله بن خليفة الطائى من معجم رجال الحديث. (١) شهد معركة الجمل:

لعدى وقبيلته طىء مواقف كبيرة فى هذه الوقعة، ومنها: أنه استنفر قومه لنصرة الإمام على (ع)، ذلك حين قام إلى الإمام على (ع) وهو يعد العدة للذهاب إلى البصرة لملاقاة ما أعده طلحة والزبير، فقال: يا أمير المؤمنين، لو تقدمت إلى قومي أخبرهم بمسيرك وأستنفرهم، فإن لك من

١- معجم رجال الحديث للسيد الخوئى ١٢: رقم ٧٦٦١، ٤: رقم ١٦٦٢.

ص: ٢٢١

طىء مثل الذى معك، فقال على: نعم، فافعل، فتقدم عدى إلى قومه، فاجتمعت إليه رؤساء طىء، فقال لهم: يا معشر طىء، إنكم أمسكنم عن حرب رسول الله (ص) فى الشرك، ونصرتم الله ورسوله فى الإسلام على الردء، وعلى قادم عليكم، وقد ضمنت له مثل عدء من معه منكم، فخفوا معه، وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا، فقاتلوا فى الإسلام على الآخرة، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة، وقد ضمنت عنكم الوفاء، وباهيت بكم الناس، فأجيئوا قولى، فإنكم أعز العرب داراً، لكم فضل معاشكم وخيلكم، فاجعلوا أفضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهد، وقد أظلكم على والناس معه من المهاجرين والبدريين والأنصار، فكونوا أكثرهم عدداً، فإن هذا سبيل للحى فيه الغنى والسرور، وللقتيل فيه الحياة والرزق، فصاحت طىء: نعم، نعم، حتى كاد أن يصم من صياحهم؛ فلما قدم على طىء أقبل شيخ من طىء قد هرم من الكبر، فرفع له من حاجبيه، فنظر إلى على (ع) فقال له: أنت ابن أبى طالب؟ قال: نعم، قال: مرحباً بك وأهلاً، قد جعلناك بيننا وبين الله، وعدياً بيننا وبينك، ونحن بينه وبين الناس، لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك، لقرابتك من رسول الله (ص)، وأيامك الصالحة، ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقاً إن فى أمرك وأمر قريش لعجباً، إذ أخرجوك وقدموا غيرك؛ سر، فوالله لا يتخلف عنك من طىء إلا عبد أو دعى إلا يذنك؛ فشخص معه من طىء ثلاثة عشر آلاف راكب؛ وفى مروج الذهب ستمائة راكب؛ وما أن رأى زفر بن زيد بن حذيفة الأسدى، وكان من سادة بنى أسد موقف عدى هذا وما

ص: ٢٢٢

كان من استجابة قومه طيء حتى بادر قائلاً: يا أمير المؤمنين، إن طيئاً إخواننا وجيراننا قد أجابوا عدياً، ولى فى قومه طاعة، فأذن لى فآتهم؛ قال: نعم، فآتهم فجمعهم وقال: يا بنى أسد، إن عدى بن حاتم ضمن لعلى قومه فأجابوه، وقضوا عنه ذمامه، فلم يعتل الغنى بالغنى، ولا- الفقير بالفقير، و واسى بعضهم بعضاً، حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة، والأنصار فى الأثر، وهم جيرانكم فى الديار، وخطاؤكم فى الأموال، فأشددكم الله لا يقول الناس غداً: نصرت طيء وخذلت بنو أسد، وإن الجار يقاس بالجار، كالنعل بالنعل، فإن خفتم فتوسعوا فى بلادهم، وانضموا إلى جبلهم، وهذه دعوة لها ثواب من الله فى الدنيا والآخرة، فقام إليه رجل منهم، فقال له: يا زفر، إنك كعدى، ولا أسد كطيء، ارتدت العرب، فثبتت طيء على الإسلام، وجاد عدى بالصدق، وقاتل بقومه قومك، فوالله لو نفرت طيء بأجمعها لمنعت رعاؤها دارها، ولو أن معنا أضعافنا لخفنا على دارنا، فإن كان يرضيك قدر ما يرد عنا عذر الخذلان، وإثم المعصية، فلك ذلك منا، فسار معه من أسد جماعة ليس كجماعة طيء، حتى قدم بها على على. (١)

ولما توجه الإمام أمير المؤمنين (ع) من المدينة المنورة إلى الناكثين بالبصرة لقيه بعد الربذة عبد الله بن خليفة وإذ هم يتحدثان أقبل سواد كبير من قبل جبال طيء، فقال أمير المؤمنين (ع): أنظروا ما هذا السواد؟ فذهبت الخيل تركض، فلم تلبث أن رجع فقيل هذه طيء قد جاءتك تسوق الغنم والإبل والخيل، فمنهم من جاءك بهداياه وكرامته، ومنهم من يريد النفوذ

١- الإمامة والسياسة تاريخ الخلفاء لابن قتيبة الدينورى ٧٧: ١-٧٨.

ص: ٢٢٣

معك إلى عدوك؛ فقال أمير المؤمنين (ع): جزى الله طياً خيراً، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. فلما انتهوا إليه سلموا عليه، قال عبدالله بن خليفة: فسرني والله ما رأيت من جماعتهم وحسن هيئتهم، وتكلموا فأقروا والله لعيني ما رأيت خطيباً أبلغ من خطيبهم، وقام عدى بن حاتم الطائي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنني كنت أسلمت على عهد رسول الله (ص) وأديت الزكاة على عهده، وقاتلت أهل الردة من بعده، أردت بذلك ما عند الله، وعلى الله ثواب من أحسن واتقى، وقد بلغنا أن رجلاً من أهل مكة نكثوا بيعتكم وخالفوا عليكم ظالمين، فأتيناك لنصرك بالحق، فنحن بين يديك، فمرنا بما أحببت، ثم أنشأ يقول:

فنحن نصرنا الله من قبل ذلكم وأنت بحق جئتنا فستنصر

فنكفيك دون الناس طراً بأسرنا وأنت به من سائر الناس أجدر

فقال أمير المؤمنين (ع): جزاكم الله من حى عن الإسلام وأهله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدين، ونويتم نصر المسلمين ...

وبرز عبد الله بن خليفة الطائي في جماعة من طى:

يا طى طى السهل والأجبال ألا اثبتوا بالبيض والعوالى

فقاتلوا أئمة الضلال

(١)

١- معجم رجال الحديث ١١: رقم ٩٨٥٣، ترجمة عبدالله بن خليفة الطائي.

ص: ٢٢٤

واحتل عدى مكانته القيادية في معركة الجمل حيث كان واحداً من الأمراء في معركة الجمل على خيل قضاة ورجالتها، وله كلام جميل يدل على عظيم ولائه واستعداده والتزامه حين أقبل أمير المؤمنين (ع) عليه وقال له: يا عدى! أنت شاهد لنا وحاضر معنا وما نحن فيه؟

فقال عدى: شهدتك أو غبت عنك فأنا عندما أحببت، هذه خيولنا معدة، ورماحنا محددة، و سيوفنا مجردة، فإن رأيت أن نتقدم تقدمنا، وإن رأيت أن نحجم أحجمنا، نحن طوع لأمرك، فأمر بما شئت، نسارع إلى امتثال أمرك. وقد استشهد في هذه المعركة ابنه طريف، فيما فقئت عين عدى.

ونظر على (ع) يوماً إلى عدى بن حاتم فوجده كثيراً حزينا، فقال: ما لي أراك كثيراً حزينا؟ فقال: وما يمنعني يا أمير المؤمنين! وقد قتل ابني وفقئت عيني؟ فقال: يا عدى، إنه من رضى بقضاء الله جزى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جزى عليه وحبط عمله. (١) شهد معركة صفين:

كان ممن شهد صفين إلى جانب الإمام (ع) وجعله على قضاة وطىء، وإذا أخذنا بالرواية التي تنص على أنه توفي بين سنة ٦٦-٦٧ هجرية، وأن عمره حين وفاته ١٢٠ سنة يكون عمره في صفين قد قارب التسعين سنة، ولم يكن تقدمه في العمر عائقاً عن أن يبالغ في مواقفه وخطبه

١- كتاب الجمل، للشيخ المفيد: ٢٧٠-٣٦٧؛ مختصر تاريخ دمشق ٢٩٣: ١٦-٣٠٥.

ص: ٢٢٥

وأشعاره، حتى ظل في ولائه لعلی (ع) وفي شجاعته نموذجاً يذكره الآخرون له، ويستشهدون به، بل ويتمنون به. مواقف:

ومن مواقفه في صفين وقبل اندلاع المعركة كما جاء في قول نصر بن مزاحم في حديث صالح بن صدقة بإسناده قال: قام عدی بن حاتم إلى علی (ع) فقال: يا أمير المؤمنين، إن عندی رجلاً من قومی لا يجاری به، وهو يريد أن يزور ابن عم له، حابس بن سعد، (١) الطائي، بالشام- فلو أمرناه أن يلقي معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام، فقال له علی: نعم، فمره بذلك- وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله- فقدم علی ابن عمه حابس بن سعد بالشام، وكان حابس سيد طيء فحدث خفاف حابساً أنه شهد عثمان بالمدينة، وسار مع علی إلى الكوفة؛ وكان لخفاف لسان وهيئة وشعر، فغدا حابس وخفاف إلى معاوية فقال حابس: هذا ابن عمی قدم الكوفة مع علی، وشهد عثمان بالمدينة، وهو ثقة؛ فقال له معاوية: هات يا أخا طيء، حدثنا عن عثمان؛ قال: حصره المكشوح، وحكم فيه حكيم، ووليه محمد وعمار، وتجرد في أمره ثلاثة نفر: عدی بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمرو بن الحمق، وجد في أمره رجلان، طلحة والزبير وأبرأ الناس منه علی.

١- حابس بن سعد، قيل كانت له صحبة، وقتل بصفين؛ تهذيب التهذيب ١: ١٢٧؛ ٢؛ وقال ابن دريد في الاشتقاق: ٢٣٥ «كان علی طيء الشام مع معاوية، وقتل، وكان عمر ولاء قضاء مصر ثم عزله».

ص: ٢٢٦

قال: ثم مه؟ قال: ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش، حتى ضلت النعل وسقط الرداء، ووطئ الشيخ، ولم يذكر عثمان ولم يذكر له، ثم تهيأ للمسير وخف معه المهاجرون والأنصار، وكره القتال معه ثلاثة نفر: سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، فلم يستكره أحداً، واستغنى بمن خف معه عمّن ثقل. ثم سار حتى أتى جبل طيء، فأتاه منا جماعة كان ضارباً بهم الناس، حتى إذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فسرح رجالاً إلى الكوفة فأجابوا دعوته، فسار إلى البصرة فهي في كفه، ثم قدم إلى الكوفة، فحمل إليه الصبي، ودبت إليه العجوز، وخرجت إليه العروس فرحاً به، وشوقاً إليه، فتركته وليس همه إلا الشام.

عن المحل بن خليفة قال: قام عدى بن حاتم الطائي بين يدي على (ع) فحمد الله بما هو أهله وأثنى عليه، ثم قال: «يا أمير المؤمنين، ما قلت إلا بعلم، ولا دعوت إلا إلى حق، ولا أمرت إلا برشد، فإن رأيت أن تستأنى هؤلاء القوم وتستديمهم حتى تأتيهم كتبك، ويقدم عليهم رسلك فعلت.

فإن يقبلوا يصيبوا ويرشدوا، والعافية أوسع لنا ولهم، وإن يتمادوا في الشقاق ولا ينزعوا عن الغي فسر إليهم، وقد قدمنا إليهم العذر ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق، فوالله لهم من الله أبعد، وعلى الله أهون،

ص: ٢٢٧

من قوم قاتلناهم بناحية البصرة أمس، لما أجهد لهم الحق فتركوه، ناوختناهم براكاء القتال. (١) حتى بلغنا منهم ما نحب، وبلغ الله منهم رضاه فيما يرى».

فقام زيد بن حصين الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين - فقال: أَلحمد لله حتى يرضى، ولا- إله إلا الله ربنا، ومحمد رسول الله نبينا؛ أما بعد، فوالله لئن كنا في شك من قتال من خالفنا، لا يصلح لنا النية في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنبهم، ما الأعمال إلا في تباب، ولا السعي إلا في ضلال، والله يقول: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ. إنا والله ما ارتبنا طرفه عين فيمن يبتغون دمه، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم، القليل في الإسلام حظهم، أعوان الظلم ومسددي أساس الجور والعدوان، ليسوا من المهاجرين ولا- الأنصار، ولا التابعين بإحسان، فقام رجل من طيء فقال: يا زيد بن حصين، أكلام سيدنا عدى بن حاتم تهجن؟ قال: فقال زيد: ما أنتم بأعرف بحق عدى منى، ولكنى لا أدع القول بالحق وإن سخط الناس.

فقال عدى بن حاتم: الطريق مشترك، والناس في الحق سواء، فمن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فقد قضى الذي عليه.

ثم تبعه أي عدى بن حاتم بلوائه وهو يقول:

أبعد عمار وبعد هاشم ابن بديل فارس الملاحم

نرجو البقاء مثل حلم الحالم وقد عضضنا أمس بالأباهم

١- البراكاء، بضم الراء وفتحها: الابتراك في الحرب، وهو أن يجشو القوم على ركبهم. والمناوخة: مفاعله من النوخ، وهو البروك.

ص: ٢٢٨

فاليوم لا نقرع سن نادم ليس امرؤ من يومه بسالم
 حين كان عدى مع الأشر النخعي وشريح بن هانئ على رأى واحد حين قاموا إلى على (ع)، فتكلموا بلسان واحد وقالوا: إن الذين
 أشاروا عليك بالمقام، إنما خوفوك بحرب الشام، وليس فى حربهم شىء أخوف من الموت ونحن نريده.
 وكان هذا لما استشار على (ع) الناس، فأشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامه ذلك، فيما كان من رأى على (ع) كما هو قوله: «إن
 استعدادى لحرب أهل الشام، وجريير عندهم إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه».
 عدى فى وفد إلى معاوية:

فعن المحل بن خليفة قال: لما توادع على (ع) ومعاوية بصفين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل على بن أبى طالب إلى
 معاوية عدى بن حاتم، وشبث بن ربعى، ويزيد بن قيس، وزيد بن خصفة، فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدى بن حاتم وأثنى عليه
 ثم قال:

أما بعد فإننا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ويحققن الله به دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضلها سابقه وأحسنها
 فى الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذى رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فانت يا معاوية من قبل
 أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل.

ص: ٢٢٩

فقال له معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصلحاً، هيهات يا عدى كلا والله إنى لابن حرب، ما يقع لى بالشنان أما والله إنك لمن المجليين على ابن عفان، وأنت لمن قتلته، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله هيهات يا عدى، قد حلبت بالساعد الأشد. وفى وقعة من وقائع صفين، وقد احتدمت المنازعة حتى أكلت الكثير من الفريقين، أقبل بعدها عدى بن حاتم يطلب علياً فى موضعه الذى خلفه فيه، فلم يجده، فسأل عنه، فدل عليه، فقبل إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، أما إذ كنت حياً، فالأمر أمم "أى يسير وهين" واعلم أنى ما مشيت إليك إلا على أشلاء القتلى، وما أبقى هذا اليوم لنا ولا لهم عميداً. وكان عدى أكثر من صبر فى تلك الساعة مع على (ع). (١١) الإمام على (ع) يسره:

- ولما رأى عدى تتناقل جند الإمام على (ع) عن مواصلة القتال فى صفين، جاء يلتمس علياً، ما يظأ إلا على إنسان ميت أو قدم أو ساعد، فوجده تحت رايات بكر بن وائل، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا نقوم حتى نموت؟ فقال على (ع): ادنه، فدنا حتى وضع أذنه عند أنفه فقال: ويحك، إن عامه من معى يعصينى، وإن معاوية فىمن يطيعه ولا يعصيه.

وقال عدى بن حاتم:

أقول لما أن رأيت المعمعه واجتمع الجندان وسط البلقعه

هذا على والهدى حقاً معه يا رب فاحفظه ولا تضيعه

فإنه يخشاك ربى فارفعه ومن أراد عيبه (أو غيه) فضعضعه

ص: ٢٣٠

- وفى وقعة من وقائع صفين، لما اختلط أمرهم حتى ترك أهل الرايات مراكزهم، وأقحم أهل الشام من آخر النهار، وتفرق الناس عن على، فأتى ربيعه ليلاً فكان فيهم.

- وأقبل عدى بن حاتم يطلب علياً فى موضعه الذى تركه فيه فلم يجده، فطاف يطلبه، فأصابه فى مصاف ربيعه فقال: «يا أمير المؤمنين، أما إذ كنت حياً فالأمر أُمم (أى قريب)، ما مشيت إليك إلا على قتيل، وما أبقت هذه الوقعة لنا ولهم عميداً، فقاتل حتى يفتح الله عليك؛ فإن فى القوم بقية بعد».

- ولعدى كلام جميل حين دخل الإمام على (ع) على مصاف ربيعه قائلاً لهم: «أنتم درعى ورمحى» حتى راحت ربيعه تفخر بكلام على (ع)، فقال عدى بن حاتم: يا أمير المؤمنين، إن قوماً أنست بهم وكنت فيهم فى هذه الجولة، لعظيم حقهم علينا، والله إنهم لصبر عند الموت، أشداء عند القتال.

وركب على (ع) فرسه الذى كان لرسول الله، وكان يقال له: «المرتجز»، فركبه ثم تقدم أمام الصفوف ثم قال: بل البغلة بل البغلة. فقدمت له بغلة رسول الله (ص) «الشهباء»، فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله (ص) السوداء ثم نادى: «أيها الناس! من يشر نفسه لله يريح، هذا يوم له ما بعده، إن عدوكم قد مسه القرح كما مسكم» فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم، وتقدمهم على (ع) منقطعاً على بغلة رسول الله (ص) وهو يقول:

ص: ٢٣١

دبوا دبيب النمل لا تقوتوا وأصبحوا بحربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثأر أو تموتوا أولاً فإنى طالما عصيت
قد قلت لو جئتنا، فجيت ليس لكم ما شئتم وشيت
بل ما يريد المحيى المميت

- وهنا تبعه عدى بن حاتم بلوائه وهو يقول:

أبعد عمار وبعد هاشم وابن بديل فارس الملاحم
نرجو البقاء مثل حلم الحالم وقد عضضنا أمس بالأباهم
فاليوم لا نقرع سن نادم ليس امرؤ من يومه بسالم

وحمل الناس حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وأهمدوا ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية.

وعلى (ع) يضربهم بسيفه ويقول:

أضربهم ولا أرى معاوية الأخرز العين العظيم الحاوية

هوت به فى النار أم هاويه

ص: ٢٣٢

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، ...

قال الشنى أبيات شعر فى ذلك، نذكر منها بيتاً يبين دور عدى بن حاتم:

ورغبه فينا عدى بن حاتم بأمر جميل صدق القول والفعلا

(١) عدى ممن غم معاوية؟!!

لقد قالها معاوية صراحةً وجهاراً أنّ هناك أشخاصاً أدخلوا عليه الغم، وأربكوا عليه وضعه، فراح ينتدب لكل واحد منهم رجلاً من رجاله.

فعن عمر بن سعد قال: ولما تعاضمت الأمور على معاوية قبل قتل عبيدالله بن عمر بن الخطاب، دعا عمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة وعبيدالله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنه قد غمى رجال من أصحاب على، منهم سعيد بن قيس فى همدان، والأشتر فى قومه، والمرقال، وعدى بن حاتم، وقيس بن سعد فى الأنصار، ... وقد عبأت لكل رجل منكم رجلاً منهم، فاجعلوا ذلك إلى؛ فقالوا: ذلك إليك؛ قال:.. وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيء، يعنى عدى بن حاتم.

عدى و ابن خالد:

وإنّ عبد الرحمن بن خالد غدا فى اليوم الخامس، وكان أرجاهم عند معاوية أن ينال حاجته، فقواه معاوية بالخييل والسلاح، وكان معاوية

ص: ٢٣٣

يعده ولدًا، فلقبه عدى بن حاتم في حماة مذبح وقضاعة، فبرز عبد الرحمن أمام الخيل وهو يقول:
قل لعدى ذهب الوعيد أنا ابن سيف الله لا مزيد

... ثم حمل فطعن الناس، وقصده عدى بن حاتم، وسدد إليه الرمح، وهو يقول:

أرجو إلهي وأخاف ذنبي وليس شيء مثل عفو ربي أو «ولست أرجو غير عفو ربي»

يا ابن الوليد بغضكم في قلبي كالهضب بل فوق قنان الهضب.

فلما كاد أن يخالطه بالرمح تواري عبد الرحمن في العجاج، واستتر بأسننه أصحابه، واختلط القوم، ورجع عبد الرحمن إلى معاوية مقهوراً، وانكسر معاوية.

ووقف معاوية أخيراً وقد جزع أهل الشام على قتلاهم فراح يسليهم بقوله:

... فأبشروا فإن الله قد قتل من القوم ثلاثة، قتل عمار بن ياسر وهو كان فتاهم، وقتل هاشماً وكان جمرتهم، وقتل ابن بديل وهو فاعل الأفاعيل، وبقي الأشعث والأشتر وعدى ابن حاتم؛ فأما الأشعث فحماه مصره، وأما الأشتر وعدى فغضبا للفتنة، والله قاتلهما غداً إن شاء الله.

موقف عدى من رفع المصاحف:

... فتار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق، من لذارينا إن قتلتمونا، ومن لذارايكم إن قتلناكم؟! الله الله في البقية؛ فأصبح

ص: ٢٣٤

أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل؛ والناس على الرايات قد اشتهاها ما دعوا إليه، ورفع مصحف دمشق الأ-عظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق! كتاب الله بيننا وبينكم، وأقبل أبو الأعور السلمى على بردون أبيض وقد وضع المصحف على رأسه ينادى: يا أهل العراق! كتاب الله بيننا وبينكم، وهنا أقبل عدى بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق فإنه لم يصب عصبه منا إلّا وقد أصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكننا أمثل بقيه منهم، وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلّا ما تحب، فناجز القوم.

فقام الأشتر النخعي فقال: يا أمير المؤمنين، إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك، فافرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

ثم قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما أجناك ولا نصرناك عصبية على الباطل، ولا أجنا إلّا الله عزوجل، ولا طلبنا إلّا الحق، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لا ستشرى فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأى.

فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوله، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا- أوتر لأهل الشام منى، فأجب القوم إلى كتاب الله، فإنك أحق به منهم، وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال.

ص: ٢٣٥

فقال على (ع): إن هذا أمر ينظر فيه.

وقد وقع الاختلاف في الموادة:

لما عظم الأمر، واستحر القتال، وانطلقت الأقوال: إن هذه الحرب قد أكلتنا، وأذهبت الرجال، والرأى الموادة؛ وقال بعضهم: لا بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه أمس، وكانت الجماعة قد رضيت الموادة، وجنحت إلى الصلح والمسالمة؛ فقام على (ع) خطيباً فقال: «أيها الناس، إنى لم أزل من أمرى على ما أحب حتى قدحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهى لعدوكم أنهك؛ وقد كنت بالأمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهيماً، فليس لى أن أحملكم على ما تكرهون».

قام عدى بعد آخرين، ليتجلى وعيه وبصيرته حين اختلف أهل العراق في الموادة مع جند معاوية عبر قوله الذى جاء بعد أقوال أخرى لأصحاب على (ع): أيها الناس، إنه والله لو غير على دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجنبناه، ولا وقع بأمر قط إلّا ومعه من الله برهان، وفى يديه من الله سبب، وإنه وقف عن عثمان بشبهه، وقاتل أهل الجمل على النكث، وأهل الشام على البغى، فانظروا فى أموركم وأمره، فإن كان له عليكم فضل، فليس لكم مثله، فسلموا له، وإلّا فنازعوا عليه.

والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبي الله، والرأس فى الإسلام، ولئن كان إلى العقول والنحائر (جمع نحيزة وهى الطبيعة) إنه لأشد الناس عقلاً، وأكرمهم

ص: ٢٣٦

نحية، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة، ولئن كان إلى الرضا، لقد رضى به المهاجرون والأنصار في شورى عمر، وبايعوه بعد عثمان، ونصروه على أصحاب الجمل والشام، فما الفضل الذي قربكم إلى الهدى، وما النقص الذي قرب به إلى الضلال؟! والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض، وكتاب سابق.

فاعترف أهل صفين لعدي بن حاتم بعد هذا المقام، ورجع كل من تشعب على على (ع).

وبعد أن قام على (ع) خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، قال: «أيها الناس، إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتهم، ولم يبق منهم إلّا آخر نفس، وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين، حتى بلغوا منكم ما بلغوا، وأنا غاد بنفسى بالغداة فأحاكمهم بسيفى هذا إلى الله».

فقام عدى وقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أهل الباطل لا تعوق أهل الحق، وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك، وليس بعد الجزع إلّا ما تحب، ناجز القوم.

وما يزال يشير على على (ع) بالقتال حتى بعد أن استشهد عمار رضوان الله تعالى عليه، قال: والله يا أمير المؤمنين ما أبقت هذه الوقعة لنا ولا لهم عميداً، فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك، فإنّ فينا بقية؛ فقال على (ع): «يا عدى، قتل عمار بن ياسر؟» قال: نعم، فبكى على (ع) وقال: «رحمك الله»

ص: ٢٣٧

يا عمار، استوجب الحياة والرزق الكريم، كم تريدون أن يعيش عمار، وقد نيف على التسعين؟
وهكذا كان عدى سابقاً لقتال القوم، وكلما رأى ضعفاً يتتاب جبهة الإمام على (ع) أو فرقة تلم بجنده بادر بالقول والفعل لدرء ما يحدث ويشجع القوم على القتال ومواصلته.
وعبارته في كتاب وقعة صفين: إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق، فإنه لم يصب عصبه منا وقد أصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكننا أمثل بقية منهم. (١)

عدى والتحكيم:

لقد اختلف القوم على الإمام على (ع) وكانوا بين رافض للهدنة والتحكيم، ويريد مواصلة الحرب ضد معاوية وجنده، ومن هؤلاء مالك الأشتر وقيس بن سعد، وكانا أشد الناس في هذا، فيما عمل آخرون للصلح، وكان منهم الأشعث بن قيس، وشريح بن هانئ، وعمرو بن الحمق، وزحر بن قيس، وعدوا معهم عدى بن حاتم، وأيضاً عدوه فيمن رضى أن يتولى التحكيم من طرف الإمام على (ع) أبو موسى الأشعري، خلافاً لما استقام عليه رأى الإمام (ع) أن يرسل عبد الله بن عباس لمقابلة عمرو بن العاص من طرف معاوية.

١- الإمامة والسياسة ١: ١٣٨، ١٤٤، ١٤٦؛ كتاب وقعة صفين: ٤٨٢.

ص: ٢٣٨

كما كان عدى من الذين اختيروا شهوداً على الحكمين، وكان منهم عبد الله بن عباس، والأشعث بن قيس، وزياد بن كعب، وحجر بن عدى وآخرون؛ وذكروا أن عدياً قال لعمرو: أما والله يا عمرو إنك لغير مأمون الغناء، وإنك يا أبا موسى لغير مأمون الضعف، وما نتظر بالقول منكما إلا أن تقولوا والله ما لكما مع كتاب الله إيراد ولا صدر؛ فقال أبو موسى: كفوا عنا، فإننا إنما نقول فيما بقى، ولسنا نقول فيما مضى.

ولما انتهى التحكيم إلى من انتهى إليه من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى، وتشتاتما ثم انصرف عمرو إلى معاوية، ولحق أبو موسى بمكة، وانصرف القوم إلى علي (ع)، قال عدى للإمام علي (ع): أما والله يا أمير المؤمنين، لقد قدمت القرآن، وأخرت الرجال، وجعلت الحكم لله.

فقال علي (ع): «أما إنى قد أخبرتكم أن هذا يكون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غير أبى موسى، فأبيتم على، ولا سبيل إلى حرب القوم حتى تنقضى المدّة فصعد المنبر.. (١)

ص: ٢٣٩

من الأحداث الأخرى في صفين:

عدى مستجاراً

وكان عدى واحداً من الذين استجار بهم الأصبع بن ضرار الأزدي حين أخذه الأشر أسيراً في صفين، وجاء به ليلاً وشد وثاقه ينتظر به الصباح، وكان شاعراً مفوهاً، فرفع صوته فأسمع الأشر:

أخشى ولى فى القوم رحم قريبه أبى الله أن أخشى والأشر جارى

وجار سعيد أو عدى بن حاتم وجار شريح الخير قرارى

وفى الصباح لما جاؤوا به إلى على (ع)، قال للاشر: فإذا أصبت منهم أسيراً فلا تقتله؛ فإن أسير أهل القبلة لا يفادى ولا يقتل، فرجع به الأشر إلى منزله وقال: لك ما أخذنا منك، وليس لك عندنا غيره.

ابنه زيد وموقفه منه:

على هامش وقعه صفين، وفى حادث غير متوقع ألم عدياً كثيراً، وحين أقبل الناس على قتلاهم يدفنونهم.. كان هناك شخص من طيء وهو حابس بن سعد الطائي، خال زيد بن حاتم، الذى كانت له حكاية مع الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، حين دعاه فقال له: إنى أريد أن أوليك قضاء حمص، فكيف أنت صانع؟ قال: أجتهد رأياً، وأستشير جلسائى، فانطلق فلم يمض إلّا يسيراً حتى رجع، فقال: يا أمير المؤمنين، إنى رأيت رؤيا أحببت أن أقصها عليك؛ قال: هاتها، قال: رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم، وكأن القمر أقبل من المغرب ومعه جمع عظيم، فقال له عمر: مع

ص: ٢٤٠

أيهما كنت؟ قال: كنت مع القمر، قال عمر: كنت مع الآية الممحوة، اذهب، فلا والله لا تعمل لى عملاً. فرده فشهد مع معاوية صفيين، وكانت رايه طيء معه، فقتل يومئذ فمر به عدى بن حاتم، ومعه ابنه زيد بن عدى فرآه قتيلاً، فقال: يا أبة، هذا والله خالى، قال: نعم، لعن الله خالك، فبئس والله المصرع مصرعه، فوقف زيد فقال: من قتل هذا الرجل - مراراً - فخرج إليه رجل من بكر بن وائل طوال يخضب، فقال: أنا والله قتلته، قال له: كيف صنعت به؟ فجعل يخبره، فطعنه زيد بالرمح فقتله، وذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

فحمل عليه عدى يسبه ويسب أمه ويقول: يا ابن المائقة، لست على دين محمد إن لم أدفعك إليهم، فضرب [زيد] فرسه فلحق بمعاوية، فأكرمه معاوية وحمله وأدنى مجلسه، فرفع عدى يديه فدعا عليه فقال: اللهم إن زيدا قد فارق المسلمين، ولحق بالمحلين أو «بالملاحدين» اللهم فارمه بسهم من سهامك لا يشوى أو قال: لا يخطئ - فإن رميتك لا تنمى، لا والله لا أكلمه من رأسى كلمة أبداً، ولا يظلنى وإياه سقف بيت أبداً؛ قال وقال زيد فى قتل البكرى:

من مبلغ أبناء طى بأننى تأرت بخالى ثم لم أتأثم
تركت أخا بكر ينوء بصدرة بصفيين مخضوب الجيوب من الدم
وذكرنى تأرى غداة رأيتهُ فأوجرتهُ رمحى فخر على الفم
لقد غادرت أرماح بكر بن وائل قتيلاً عن الأهوال ليس بمحجم
قتيلاً يظل الحى يثنون بعده عليه بأيد من نداء وأنعم
لقد فجعت طى بحلم ونائل وصاحب غارات ونهب مقسم
لقد كان خالى ليس خال كمثلهُ دفاعاً لضييم واحتمالاً لمغرم

ص: ٢٤١

ولما لحق زيد بن عدى بمعاوية، تكلم رجال من أهل العراق في عدى بن حاتم، وطعنوا في أمره، وكان عدى سيد الناس مع علي (ع) في نصيحته وغنايه، فقام إلى علي (ع) فقال: يا أمير المؤمنين، أما عصم الله رسوله من حديث النفس والوساوس وأمانى الشيطان بالوحى؟ وليس هذا لأحد بعد رسول الله (ص) وقد أنزل في عائشة وأهل الإفك، والنبى (ص) خير منك، وعائشة يومئذ خير منى، وقد قربنى زيد للظن وعرضنى للتهمة، غير أنى إذا ذكرت مكانك من الله ومكانى منك ارتفع حنانى، وطال نفسى، والله أن لو وجدت زيدا لقتلته، ولو هلك ما حزنت عليه، فأثنى عليه علي (ع) خيراً؛ وقال عدى فى ذلك:

يا زيد قد عصبتنى بمصابه وما كنت للثوب المدنس لابساً
فليتك لم تخلق وكنت كمن مضى وليتك إذ لم تمض لم تر حابساً
ألا زاد أعداء وعق ابن حاتم أباه وأمسى بالفريقين ناكساً
وحامت عليه مذحج دون مذحج وأصبحت للأعداء ساقاً ممارساً
نكصت على العقبين يا زيد ردةً وأصبحت قد جدعت منا المعاطس
قتلت امرأً من آل بكر بحابس فأصبحت مما كنت أمل آيساً.

(١)

ص: ٢٤٢

شهد عدى معركة النهروان:

لا يقل ثباته في هذه المعركة عن وقعتى الجمل وصفين، حتى أنه لما أخبر بأن ولده طرفه قد قتل، طلبه فوجده، فدفنه، ثم قال: أَلحمد لله الذى ابتلانى بيومك على حاجتى إليك! (١)

عدى فى خلافة الإمام الحسن (ع)

وبعد وفاة الإمام على (ع) ظل عدى على ولائه لأهل بيت النبوة (هم)، ولكن فى هذه المرة مع الإمام الحسن (ع).
عدى أول الناس عسكرياً

لما أراد معاوية التوجه إلى العراق لقتال الإمام الحسن (ع)، يقول أبو الفرج فى هذا:

فاجتمعت العساكر إلى معاوية بن أبى سفيان، وسار قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسن (ع) خبر مسيره، وأنه بلغ جسر منبج، فتحرك لذلك، وبعث حجر بن عدى يأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادى المنادى: الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجمعون، فقال الحسن (ع): إذا رضيت

١- تاريخ الطبرى ١٢٣: ٣، أحداث سنة ٣٧ هجرية.

ص: ٢٤٣

جماعة الناس فأعلمنى، وجاء سعيد بن قيس الهمداني، فقال: اخرج، فخرج الحسن (ع) فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وسماه كرهاً يشير الإمام (ع) إلى الآية الكريمة: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ. (١) ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. (٢)

فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون، إلما بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغنى أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك، فأخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتى نظر وتظنوا ونرى وتروا».

قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس إياه، فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجاب بحرف، فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قال: أنا ابن حاتم، سبحان الله، ما أقيح هذا المقام؟! ألا تحبون إمامكم، وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعوة، فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها. ثم استقبل الحسن (ع) بوجهه فقال: «أصاب الله بك المرشد، وجنبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدرة، فقد سمعنا مقاتلك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا منك، وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكرك، فمن أحب أن يوافيني فليوافي».

١- سورة البقرة: ٢١٦.

٢- سورة الأنفال: ٤٦.

ص: ٢٤٤

ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبه ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدى أول الناس عسكرياً.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعتل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصعة التيمي، فأنبوا الناس ولاموهم وحرصوهم، وكلموا الحسن بمثل كلام عدى في الإجابة والقبول.

فقال لهم الحسن (ع): «صدقتم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء بالقول، والمودة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً» ثم نزل.

(١)

١- مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني: ٧٠٦٩.

جولة في الصحافة السعودية

د. حسن بن محمد سفر (١)

توسعة صحن المطاف

بين المصلحة الشرعية والآثار الإيجابية. (٢)

يعيش العالم الإسلامي والدولى متغيرات جيوسياسية، جيوطوغرافية إضافة إلى الزيادة فى الوعى الثقافى، والحراك الدينى، تمسكاً وتديناً، كون الإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً، وقد أدرك العالم ما فى الإسلام من روحانيات وسكينه وسلم وسلام، خصوصاً المسلمين الذين عاشوا حقبة من الزمن فى الأقطاب المتجمدة، كدول روسيا التى اشتمت شعوبها الحرية والانفكاك من قيود العبودية، فهرعوا إلى الالتفات إلى شعائهم وأداء فرائضهم كالحج والعمرة، فكان المقتضى الشرعى والإنسانى أن تهياً لهم أماكن الشعائر كالمطاف وتوسعة المسعى، وهو عين ما تقوم به الدولة من رعاية وخدمة للحرمين الشريفين.. لذلك فإن المنطلق فى الشروع لتوسعة المطاف بعد دراسته، أصبح أمراً ضرورياً ولازماً وحيث إن القواعد الفقهيّة

١- أستاذ السياسة الشرعية والأنظمة، عضو مجمع الفقه الإسلامى الدولى.

٢- جريدة عكاظ، العدد: ٣١٤٠، ٢١ يناير ٢٠١٠ م.

ص: ٢٤٤

السياسية تسعف كقاعده (إذا ضاق الأمر اتسع وإذا اتسع ضاق) وقاعده (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة)؛ وإن التوسعة لصحن المطاف هي من باب التوسعة والراحة للمسلمين والخلو من التزاحم والتدافع.

ومن خلال الاستقراء لنصوص الشريعة ومقاصدها، والمتغيرات، وازدياد أعداد المسلمين، تغلب الجوانب المصلحية في التمديد والتوسعة، مع المحافظة على الآثار والإبقاء على الرواق القديم، مع إدخال بعض التوسعات والتحسينات عليه، وتفريغ جزء منه للطائفين، وإعادة هيكلته وتوضيب العقبات بشكل هندسي حضاري للتخفيف من كثافة الطائفين في صحن المطاف، ويمكن أن يطاف خلال الأروقة يُريدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَحَبِذَا لَوْ كَانَ هُنَاكَ تَقْنِينٌ تَنْظِيمِيٌّ لِدُخُولِ الطَّائِفِينَ وَالْمُعْتَمِرِينَ أَوْقَاتِ الذَّرْوَةِ، إِذَا وَصَلَ سَقْفَ الْاِسْتِعَابِ ذَرْوَتَهُ، مَحَافِظَةً عَلَى سَلَامَةِ الْأَرْوَاحِ، وَالْأَنْفُسِ، وَالنِّسْوَةِ، خُصُوصًا فِي الْمَوَاسِمِ الرَّمْضَانِيَّةِ، وَالْأَعْيَادِ، وَالْعَمْرَةِ، وَيَجْرَى الْقِيَاسُ بِمَا هُوَ مَعْمُولٌ بِهِ فِي التَّفْوِيحِ لِحِجْرِ الْجَمْرَاتِ انْتِظَامًا وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

مولد النبي (ص).. ومولد خديجة (ها). (١)

د. محمد عبده يمانى

ص: ٢٤٧

هذا حديث عن مولد النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والذي ولد بمكة المكرمة، وكذلك عن مولد السيدة خديجة رضي الله عنها، هذه السيدة التي أحبها الله عز وجل، وحب إليها رسول الله (ص) فكانت نعم السند، ونعم المعين؛ ولذلك عندما نسترجع جوانب من السيرة النبوية نحس بأن هناك محطات مهمة، ومواقف ذات دلالات خاصة، في سيرة النبي (ص) ولعل زواجه بالسيدة خديجة بنت خويلد له دلالة عظيمة وأثر كبير في حياته، وحياء الدعوة الإسلامية، فهذه السيدة التي ولدت قبل ولادته بخمسة عشر عاماً أي على وجه التقريب في عام (٥٥٦ م) قد ولدت في مكة المكرمة وتوفيت بها في العام الثالث قبل الهجرة وبعد البعثة بعشر سنين، وقبرها معروف إلى اليوم في الحجون.

هذه السيدة ليست سيدة عادية ولا عابرة، وإنما امرأة مختارة، اختارها الله عز وجل لتكون بجوار النبي (ص) فهي التي سعت إليه ورغبت في الزواج منه، وهي امرأة من الحنفاء لم تعبد صنماً، لم تدعم رسول الله (ص) بمالها فقط، ولكنها وقفت معه بكل ما تملك من رأى حصيف وهمة عالية وإيمان برب كريم، أقسمت به حتى قبل أن تدخل الإسلام يوم قالت: «كلا والله .. لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

هذا القسم يدل على إيمانها بالله الذي نور بصيرتها، وفي قسمها هذا إشارة واضحة إلى صفاء فطرتها، وإلى ثققتها العظمى بالله تعالى، وأن هذه الصفات قد حثت عليها الشرائع السابقة، وهي لعل يقين أنه نبي هذه الأمة،

ص: ٢٤٨

ولكن ليزداد قلبها يقيناً أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، ذلك الشيخ الورع الزاهد الذي تعمق في الإنجيل، وفهم ما فيه من بشارات فهماً حقيقياً أن نبياً قد أظلم زمانه، وعلماء أهل الكتاب ينتظرونه؛ ليقول لها بقلب مطمئن: إنه نبي هذه الأمة وجاء تأكيده تأكيداً لما كانت تراه من رؤى وتشعر به من مشاعر.

والنبي (ص) قد خصه الله بفضائل كبرى، فمن ينظر في ولادته يجد أنها قد كانت بمكة المكرمة بعد ولادة السيدة خديجة في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل سنة ٥٧١ م، ونشأ و دعا إلى الله عزوجل، ونزل عليه القرآن بمكة المكرمة، وهاجر منها إلى المدينة المنورة بإذن ربه، وشاء الله أن يولد من أبوين كريمين لم يلتقيا على سفاح قط، وقال عنهما: «خيار من خيار» حيث يقول (ص): «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار»؛ وكانا من أهل الفترة و أهل الفترة بنص القرآن لا يعذبون لأن الدعوة لم تبلغهم.

وفي نصوص القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ما يوضح ذلك بكل جلاء ويغني عن كل ذلك، وأن النبي (ص) تنقل في الأصلاب الطاهرة والأرحام الزكية، فما افتقرت فرقتان منذ آدم (ع) إلا كان في خيرهما.. ويكفي: وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ وَأَنَّهُ دَعَا أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ (ع) الذي دعا له: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ والمقصود بالأمة في الآية: وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ هم الذين كانوا على الملة حتى مبعث النبي (ص) وآمنوا به.

ص: ٢٤٩

إذاً فهو إنسان تنقل في الأصلاب الطاهرة، والأرحام الكريمة، إلى أن ولد من أبوين كريمين لم يلتقيا على سفاح قط، وسمى محمداً، ومن أسمائه (نبي الرحمة) و (رسول الرحمة) وهو (الرحمة المهداة).

وقد روى الحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): «إنما أنا رحمة مهداة» كما رواه الطبري بلفظ: «بعثت رحمة مهداة» ويذكر الشيخ أبو زهرة في كتابه خاتم النبيين أن الرحمة كانت عنده ذات أثر عام، وللخلق كافة، ويذكر أن بعض أصحابه قالوا: يارسول الله أكثرت من ذكر الرحمة ونحن نرحم أزواجنا وذرياتنا. فقال (ص): «ما هذا أريد إنما أريد الرحمة بالكافة».

وقال القاضي عياض في كتابه الشفا: (ومما ذكر من خصائصه وبرّ الله سبحانه وتعالى به أنه خاطب الأنبياء جميعاً بأسمائهم فقال تعالى: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا داود، يا عيسى، يا زكريا، يا يحيى، ولم يخاطبه سبحانه وتعالى إلّا بقوله: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المزمّل، يا أيها المدثر).

وقال ابن الجوزي: ما أقسم الله تبارك وتعالى بحياة أحد غيره (ص) لأنه أكرم البرية عنده، وذلك قوله: لَعَمْرُكَ وما معناه: وبقائك يا محمد، وقيل: وعيشك، وقيل: وحياتك.

وقال ابن عباس: ما خلق الله تبارك وتعالى ما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من سيدنا محمد (ص) ومن تعظيم الله له (ص) أن أخذ له ميثاق النبيين، قال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ

ص: ٢٥٠

وَحِكْمَهُ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ دَلِكُمْ إِضِيرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

وعن جابر قال: قال (ص): «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجداً، فأيا رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وكان النبى يبعث فى قومه خاصةً، وبعثت إلى الناس كافةً، وأعطيت الشفاعة».

وذكر الرواة أنه (ص) قال: «أعطيت جوامع الكلم، وختمت بى النبوة والرسالة، وأنا خاتم النبیین» وقال تعالى: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَذَكَرُوا أَنَّهُ (ص) قال: «وجُعلت أمتى خير أمة أخرجت للناس».

ولاشك أننا عندما نعلم أولادنا نماذج مما اختص الله به نبينا من ميزات ومزايا وخصائص، وكيف أكرمه وقرن اسمه باسمه فإن هذا يزيدهم حباً له وتمسكاً بما قال وفعل، وكما قال قتادة: رفع الله ذكره (ص) فى الدنيا والآخرة، فما من خطيب ولا مستشهد ولا صاحب رسالة إلا ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذا تشریف عظيم له (ص).

ولابد لأبنائنا أن يعرفوا أنه خير من آمن وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين، وكيف كان ذلك، اجعلوهم يستمعون لكم وأنتم تقصون عليهم قصة أعظم وأنبل كفاح لأعظم وأنبل نبى ورسول، دعوهم يطلعون على ما عاناه (ص) وهو ينشر دعوته بين قوم ران الجهل على قلوبهم، فأعمى أفئدتهم، واستبدت الوثنية بعقولهم، فطمست

ص: ٢٥١

على بصائرهم؛ قولوا لهم: إنه (ص) بدأ الدعوة إلى سبيل ربه بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وجادل قومه بالتى هى أحسن، ولم يكن فظاً ولا غليظاً ولا عاتياً ولا متكبراً، بل كان فيه اللطف واللين، والحلم والصبر، والتواضع والشهامة والمروءة، وقد حاول مع قومه بكل الوسائل لهدايتهم، ولم يستعمل السيف إلّا بعد أن عذّب وأتباعه، وظلم وأتباعه على أيدي صناديد قريش ومشركيها الذين نهبوا المال، وعذبوا الأجساد، واستباحوا الحرمات، وقتلوا النساء والأطفال، وآخر الأمر اضطروهم للهجرة إلى الحبشة، وترك الأهل والأوطان.

ثم كانت الهجرة إلى المدينة، فأذن الله لهم بالقتال كما قال سبحانه: **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** وذلك بعد أن أمعت قريش فى ضلالها، وتوغلت فى عنادها وكفرها، فخرج من مكة مهاجراً بدينه إلى يثرب، التى أصبحت المدينة المنورة بوجوده فى ربوعها.

ولابد لأبنائنا أن يعرفوا أنه (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهذا ما قرره الله تعالى بقوله: **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ولابد لأبنائنا أيضاً أن يعرفوا معنى هذه الآيات، فاشرحوها لهم، وبيّنوا لهم كيف كان حريصاً على صالح الإنسانية، مضحياً فى سبيل نصحتها ونجاتها من عذاب الدنيا والآخرة، واذكروا لهم ذلك الحديث الشريف الذى يصور فيه موقفه من قومه إذ يقول: **«مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الْجَنَادِبَ وَالْفَرَاشَ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذَّبُهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفْلَتُونَ مِنْ يَدِي»**.

ص: ٢٥٢

دعوا هذه الصورة المعبرة غاية التعبير تستقر في أذهان الناشئين والناشئات، فإنّ لهم فيها وقاية وحماية، وهي حصنهم الحصين إذا ما اقترب أحدهم من هاوية فساد، أو همّ بأن يقترف ما يعاقب الله عليه في الدنيا والآخرة.

اغرسوا في قلوب الأبناء والبنات محبة رسول الله (ص) ومحبة آل بيته الطاهرين الطيبين واذكروا لهم قوله: «من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله».

وذكروهم أن كل ما تنعم به البشرية اليوم من عقيدة صحيحة سليمة، وشريعة كاملة شاملة عادلة، تحقّق للإنسان الأمن والسلام والحياة الكريمة يرجع الفضل فيها إلى الله سبحانه وتعالى، ثم إليه».

وختاماً.. فقد كانت ولادته (ص) نوراً وهدياً ورحمة أضاءت الكون إلى يوم القيامة، فهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ما الذي نستفيده من ذكرى مولد خاتم النبيين؟! (١)

د. زيد علي الفضيل

١- جريدة المدينة، الأحد، ٧ مارس، ٢٠١٠ م.

ص: ٢٥٣

مع إطلالة شهر ربيع الأول من كل سنة، تعم الفرحة كل الوجوه استبشاراً بذكرى مولد خاتم الأنبياء والمرسلين، المنزل رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، عليه وعلى آله أفضل الصلوات والتسليم، في هذا الشهر بخاصة، وليله الثاني عشر منه يتبادل المحبون التهاني، وتطرب الأئمة لسماع أجمل المدائح النبوية، وينبرى الخطباء والدعاة والعلماء للحديث عن ملامح صفاته وعظائم أخلاقه (ص) وما أجمل مكان يُذكر فيه اسم الله، ويُذكر فيه حبيبه.

تلك هي حال كثير من المجالس على نطاق أفق عالمنا الإسلامي من شرقه إلى غربه، ولا شك فإن في هذا الأمر مندوحة كبيرة إذا جانب أصحابها فعل المنكرات من الأفعال والأقوال التي تخرج صاحبها عن طريق الصواب.

والسؤال الجوهرى: ما الذى نستفيد منه كمسلمين من الاحتفال بذكرى مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام؟ وكيف نعمل على ترجمة تعاليمه السامية، وسلوكه النوراني بين أظهرنا فعلاً لا قولاً؟ وما الوسيلة الأمثل لتعريف العالم أجمع بحقيقته عظمة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟

و واقع الحال فليست هنا في مكان الداعية أو المرشد الديني حتى أجيب عما سبق تفصيلاً، لكننى أحسب نفسى أحد العاملين على تدبر فقه التاريخ وسماته الروحية، الراغبين فى سبر أغواره، وبالتالي وبحسب تصوورى فإن من أكبر إشكالاتنا كأمة إسلامية كامن فى عدم معرفتنا بشكل دقيق لجوهر حقيقته عظمة نبينا الذى أرسله الله رحمة للعالمين، لينقل الناس من

ص: ٢٥٤

غياهب الجهل إلى عوالم النور والمعرفة، ويحرر العباد من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، فتحقق العدالة المفقودة، وتتجلى الغايات الربانية من الخلق، الهادفة إلى تعزيز التكافل والتراحم والمحبة بين جميع خلقه، القائمة على أساس من التساوى وفق ما تقتضيه لائحة الحقوق وقوانين السنن الكونية.

لأجل ذلك كان حرصه (ص) وطوال مسيرته النورانية خلال العهدين المكى والمدنى، على تعزيز قيم الحرية والعدالة والمساواة، وهى الثالوث المقدس لكل طالب حق على هذه البسيطة، وكل حارس للقيم ضمن جنبات مجتمعاتنا، فلم يعمد عليه الصلاة والسلام على فرض قناعاته الإيمانية على أى أحد كائناً من كان، كما لم يعمل على إلغاء ونزع شخصية الآخر المخالف له بأى صورة من الصور، أو فرض تغييرها حال اتباعه والإيمان به، كما هو الحال مثلاً مع أم ولده سيدنا إبراهيم السيدة ماريا القبطية، حيث لم يفرض عليها الدخول فى الإسلام بدايةً، فترك لها الخيار فى ممارسة طقوسها العبادية، بل وبنى لها صومعةً لأجل ذلك، ثم وبعد إسلامها واتباعها له، لم يقم بتغيير اسمها، فظل اسمها ماريا من قبل ومن بعد، تلك هى الحرية التى مارسها النبى فعلاً وسلوكاً، وحضّ عليها الكتاب الكريم فى عديد من آياته الطاهرات كقوله جلّ وعلا: وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ. وفيما يتعلق بالجانب العدى فقد جاء النبى لبيدى سخطه من حالة التمايز المجحفة بين العرب قبل الإسلام، أولئك الذين إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإذا سرق فيهم الوجيه تركوه، ويعلنها مدويةً أمام الناس جميعاً بأنه لو سرق فلذة كبده وريحانته وبضعته الشريفة فاطمة

ص: ٢٥٥

الزهاء لأقام عليها الحد، ما أجمل هذا الحسم الذي لا مرء فيه، وما أروع هذه القيمة حين تصبح حقيقةً باديةً للعيان! فالعدل وليس غيره أساس الكون، وقيمة وجوده، وجوهر رحمة الله العادل بين عبيده، والعدل في جوهره عنوان للمساواة المراد تحقيقها بين بنى البشر، فالناس جميعاً من خلق الله الواحد الأحد، والكل نطفته الأولى من تراب، وهو ما حرص النبي على إشاعته بين أصحابه، وتعميقه في نفوسهم، فأين نحن من ذلك؟ وكيف تبدلت أولويات قيمنا؛ لتصبح مفاهيم الحرية والاختيار شيئاً من الخطأ الفادح، والمعصية الكبيرة، والاستلهايم الشيطاني، وتصبح مفاهيم العدالة والمساواة من المفاهيم النسبية، التي يختلف فهم مدلولها بحسب موقع وزاوية نظر الفقيه العالم؟!

أنزعوا فتيل الفتنة — هـ

بين السنة والشيعة. (١)

د. عائض القرني

لا تحتاج الأمة الإسلامية إلى مزيد من الشقاق والفرقة والعداوات والمعارك، ففيها ما يكفيها، وليس من العقل ولا من الحكمة، ولا من المنطق أن يستعدى السنة الشيعة، وأن يستعدى الشيعة السنة، فلن يزيدنا هذا العدا

ص: ٢٥٦

إلّا تمزقاً وهزيمة وإحباطاً وقلّة وذلّة، وما دام أنّ الله عزّ وجل نهانا... فما المصلحة إذن في أن يترشق الرموز في السنّة والشيعة أو غيرها من الطوائف بالسباب والشتائم؟ ولما ذا نوقد نار الفتنة في دائرة أهل الإسلام؟ وأمتنا الإسلامية تتعرض لحملة عدوان من الصهاينة، ومن أعداء الله في كل مكان، بل رسولنا (ص) يُساء إليه جهاراً نهاراً برسوم مسيئة وتهم باطله، فديناه بالآباء والأمهات والدماء والأرواح، فنترك هؤلاء الأعداء والرد عليهم ونصرة الدين والرسالة والرسول (ص) ونأتى إلى طوائف أهل الإسلام فنستثير رموزهم ونقلل من شأنهم وننشر معيهم دون تذكّر للنتائج المؤلمة.

لماذا لا يكون الحوار والتواصل والجدل بالتي هي أحسن والتعارف مكان التكفير والتبديع والتضليل والتفسيق، لقد شكونا وبكينا وتظلمنا واعترضنا على سب أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله رضى عنهم وزكاهم وأثنى عليهم، فهل نأتى لناخذ السب سلماً والشتيم طريقاً والقذف منهجاً لنصلح ما أفسده الدهر، والله إن من أراد الانتقام بالسب والشتيم من إحدى الطائفتين أو غيرهما من طوائف الإسلام لا حقاً نصره، ولا باطلاً كسره، ولمصلحة من يُنشر الخلاف والسب والشتيم والتجريح في الفضائيات ومواقع الإنترنت؟ وكل من كتب سطرًا واحدًا أو قال كلمة واحدة فيها تكفير وتبديع وتضليل إنما صب الزيت على النار، وأضاف عود حطب إلى فرن العداوة، وعجبي من أتباع الطائفتين كيف يتحمسون للخصومة والعداوة ويزرعون الكراهية في القلوب ويغرسون البغضاء في النفوس، لقد مرت بنا مئات الأعوام من السب والشتائم، فهل أصلحنا بذلك فساد ذات

ص: ٢٥٧

البين؟ وهل أنهينا بهذا المسلك الخلاف؟ وهل داوينا الجراح؟ بل والله زادنا وهناً على وهن، وخلاًفاً على خلاف، إن الخطاب الجميل والكلمة اللينة والذوق العالي منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أرشدنا الله عزوجل إلى الحكمة والرفق واللين حتى مع فرعون ومع عبّاد الأصنام ومع اليهود والنصارى؛ لأن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه، كما في الحديث الصحيح، أما قال الله عزوجل: اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ فأين نحن من هذا المنهج القويم والصرّاط المستقيم؟ لماذا نُخرج الحيات من جحورها والثعابين من بيوتها؟ لماذا نُحوّل منابر الدعوة والحكمة والحوار والتربية والإقناع إلى منابر للسب والشتم والتكفير والتضليل والتجريح؟ ماذا ينتظر ممن أغضبناه وجرحنا مشاعره وأذيناه في عرضه ومعتقده أن يقابلنا به؟ سوف يحاربنا بالسلّاح نفسه والطريقة بعينها، مثلما بمثل سواء بسواء، فلا- نحن أفنعناه وأرشدناه، ولا- نحن تركناه وحيدناه، وإنما عاديناه وحاربناه واسترناه وأيقظناه.

أيها الناس من السنة والشيعة وغيرهم من الطوائف أمسكوا ألسنتكم، وأغمدوا أقلامكم، والسكينة السكينة، والهدوء الهدوء، فأمتنا الإسلامية بها من الجراح والمآسى والصدمات واللّكّات ما يعجز عن علاجه أطباء العالم وحكام الدنيا حتى صرنا كما قال المتنبي:

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتْ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

ص: ٢٥٨

إنّ هذه المعارك المفتعلة هي نتيجة لإعراضنا عن اتباع الرسول (ص) وأهل بيته وأصحابه، وقد حذرنا الله من التفرق والاختلاف واذم من وقع في ذلك من أعدائه، فقال: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**. علماء: لا اختلاف بين المذاهب في المشتركات. (١)

احمد رافد- جدّه

أجمعت آراء علماء على ضرورة نبذ الخلافات التي لا علاقة لها بالمشتركات الأساسية كالاختلافات الطائفية بين افراد الأمة الإسلامية والتركيز على المشتركات فيما بينها والبعد عن المساس بالمعتقدات واتفقت الآراء على ضرورة الحوار بين المسلمين وتحريم الانتقاص من الصحابة أو شتمهم، وأشاروا إلى أنّ الأمة كانت قوية عندما كانت بعيدة عن التفرق والاختلاف ولم يدب الضعف فيها إلّا عندما اختلفت فيما بينها.

الدكتور محمد النجيمي، الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء قال: إنه من المعلوم شرعاً أنه لا يكره أحد على أن ينتمي لعقيدة أو مذهب لا يريده قال تعالى: **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** وهذا مذهب عظيم في الإسلام سواء مع المسلمين

١- جريدة المدينة/ السبت، ٢٣ يناير ٢٠١٠ م.

ص: ٢٥٩

أو غيرهم؛ أما بالنسبة للطوائف الإسلامية فهناك مشتركات لا يجوز لأى طائفة أنها تقوم بمخالفتها، وهذه المشتركات أولها توحيد الله وأنه المعبود بحق، وثانى هذه المشتركات القرآن الكريم، وسنة نبيه (ص).

.. وأضاف النجيمى من الطبيعى أن تكون هناك اختلافات فى الأمور التى يصوغ الاختلاف فيها شرعاً مؤكداً أنه لا يجوز أن يسب أو يشتم أحد حتى لو كان صاحب بدعة أو كان غير مسلم، ولا يجوز أيضاً الاعتداء على معبوداتهم وما يرونه؛ وذلك لأن الله تعالى قال: *وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا؛ فَإِلَاسْلَامَ يَنْهَى الْمَسْلَمِينَ عَن سَبِّ مَعْبُودَاتِ الْآخَرِينَ وَمَا يَقْدُسُونَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ ذَلِكَ سَبِّاً فِي تَبَادُلِ الشَّتَائِمِ، فَمَنْ بَابٍ أَوْلَى فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَسْلَمِينَ أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِالْمَشْرَكَاتِ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ طَائِفَةٍ مَخَالَفَةٌ فَيَتَمَّ مَنَاقَشَتَهَا بِالْحَوَارِ وَالِدَعْوَةَ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَلَيْسَ بِالسَّبِّ وَالشَّتَائِمِ أَوْ بِالتَّكْفِيرِ كَمَا نَلَاظُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِعِ؛ وَأَضَافَ النَّجِيمِي قَائِلاً بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَجِدَ عَالِماً سَنِيّاً مَعْتَبِراً فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِي وَيَصْدُرُ مِنْهُ سَبٌّ أَوْ تَكْفِيرٌ عَلَى مَوْقِعِهِ، بَيْنَمَا نَجِدُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِعِ لَدَى بَعْضِ الطَّوَائِفِ تَكْفِيرٌ لِلنَّاسِ وَلَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِمَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَأَشَارَ النَّجِيمِي إِلَى أَنَّ مَبْدَأَ الْكِرَاهِيَةِ وَالسَّبِّ وَالشَّتَائِمِ مَبْدَأٌ يَجِبُ أَنْ يَبْعَدَ مِنْ حَيَاتِنَا وَمَنْ تَعَامَلْنَا.*

وقال الدكتور حامد الرفاعى رئيس اللجنة الإسلامية العالمية للحوار إنه لاختلاف بين أهل السنة والله الحمد وهناك انسجام كامل، مشيراً إلى أن المجمع الفقهي الاسلامى يضم كل المذاهب، وكلها معتمدة، لكن أشار

ص: ٢٤٠

إلى أنّ هناك خلافاً بين الطوائف وهي نوعان، منهم من جرح في خلافه مع أهل السنة إلى أمور عقديّة وطبعاً هذه قضايا محسوم الأمر بها، والنوع الثاني ما يكون في الخلاف المعقول في القضايا العادية.

وأضاف الدكتور الرفاعي قائلاً: أنا أرى أن لا يدخل أهل السنة مع مباحكات بينهم وبين الطوائف الأخرى، وقد سألتني الشيخ محمد مهدي شمس الدين وهو من أئمة الشيعة في لبنان عن رأيي في التقريب بين المذاهب؟

فأجبتني إنني لست مع المهتمين بهذا الأمر، ولكن أنا مع تنقيح المذاهب بحيث يتم تنقيحها من كل ما يمس العقائد والبعده عنه، لافتاً إلى أنّ ما في المذاهب من اجتهاد في الرأي والاحكام فيه إثراء لشريعة الإسلام، أما الرأي إذا دخل في دائرة العقائد، ودخل في جوهرها، لم يصبح خلافاً مذهبياً، بل خلاف اعتقادي ونحن كمسلمين خلافاً مع النصارى واليهود هو في الجانب العقدي، أما من حيث الأصل نحن أهل كتاب وهم أهل كتاب، ولكن الذي يفرقنا هو الجوهر العقدي، أي المسألة العقديّة؛ أما عن كيفية التعامل، فأنا ناصحهم في الدنيا معروفاً والإسلام طرح قاعدة: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ أَي بمعنى لنا عقيدتنا ولكم عقيدتكم، أما مصالح الحياة فتبقى مشتركة ويبقى الأخوة والتعامل الانساني بيننا.

من جانبه قال الشيخ خالد الرميح أمين هيئة المسلمين الجدد: إنّ التعصب المذهبي والعرقى والقبلي مرفوض في الإسلام وأمه محمد (ص) ارتفعت عندما كانت متفكّة فيما بينها وبعيدة عن التفرق، لكنها ضعفت عندما

ص: ٢٤١

دب التفرق والخلاف والتعصب المذهبي والعرقى والقبلي، مضيفاً أنه ينبغي أن يكون هناك احترام بين الطوائف والمذاهب، واحترام كامل بكل ما تعنيه هذه الكلمة فلا يكون هناك اعتداء من جهة ما على أخرى في العالم ككل، ولا يمكن لمسلم أن يسكت على الإساءة للرموز الإسلامية، واستحلال الدماء، فمن غير المعقول أن يعتدى طرف على الأخرى، ثم تكون هناك مطالبة بالاحترام، فالأولى أن تعصم الدماء، فهي أعظم من مجرد الاعتداء اللفظي أو في المعتقد.

مصلون يشكون ضعف قدراتهم .. والوزارة تدافع عنهم

جريدة العكاظ / الخميس ٢١ / ١ / ١٤٣١ هـ -

خطباء لا يملكون القدرة على الخطابة، سواء في قلة ثقافتهم الشرعية، أو لا يملكون فن الخطابة والإلقاء وإقناع الآخرين، كما يشير أحد المصلين بلال بن حسن، مبيناً إلى أنه يقطع مسافات طويلة ليحضر خطبة جمعة لأحد البارزين في الخطابة، من أجل الاستماع لخطبة تتلمس حاجات الناس؛ وأوضح بلال إلى أن كثيراً من خطباء مساجدنا يميلون لرفع الأصوات، والبكاء والعويل، حتى تحولت الخطبة من أسلوب تذكيري إلى مشاعر جياشه، ليس بها جديد أو مفيد.

دفاع وآمال

ص: ٢٤٢

يدافع إمام وخطيب جامع الالامى فى جده توفيق الصائغ عن خطباء المساجد، بتوضيحه أنه مع وجود قلة من الخطباء ممن لا يملكون المقدره الخطابية المنبرية، إلاً أن هناك الكثير من خطبائنا المتميزين، وفى كثير من الأحياء، مطالباً الخطباء بتطوير قدراتهم الخطابية، ليصلوا إلى مستوى عال من التأهيل الخطابى.

ويشير مدير عام الأوقاف والمساجد فى محافظة جده فهيد البرقى إلى أن الخطباء قبيل تعيينهم يخضعون لآليته منظمه وضوابط وتعليمات، لضمان الوصول إلى مستويات راقية من الخطب، مثل: التأهيل الجامعى فى أحد التخصصات الشرعية، واجتيازه الاختبار الذى تقيمه اللجنة الفرعية لشؤون المساجد. وأشار إلى أن إداراته تقيم عدة دورات للخطباء والأئمة والمؤذنين بين الحين والآخر. ومع تأكيد مدير أوقاف ومساجد جده أن الخطباء يعتنون بخطبهم ويهتمون بها، فإنه يوضح استحالة الوصول إلى الكمال المطلق الذى ينتظره الناس..

آثار البقيع.. تراث إسلامى تهدده آراء فقهية شاذة

شبكة التوافق - ٢٥ / ١ / ٢٠١٠ م

ص: ٢٤٣

إنّ الاعتداء على آثار الأمة التاريخية ضرب من العنف الفكرى الذى لا يختلف كثيراً عن العنف الجسدى الذى تمارسه الجماعات الإرهابية، فهو إرهاب فكرى لا يقل فى خطورته وضرره عن الإرهاب المسلح.

كانت حجة من سعى ويسعى هدم تلك الآثار التاريخية الخوف من الشراكيات والبدع والتبرك بها، وبحجة عدم وجود نصوص توجب الحفاظ عليها.

وفى هذا التحقيق الذى أعدته (شبكة التوافق الإخبارية) سيتناول الظروف والأسباب التى حثت على تدمير وتخريب الآثار الإسلامية فى مقبرة البقيع بالمدينة المنورة، حتى نستطيع أن نتحرك بعد ذلك بصورة واضحة وجلية على أبعاد هذه القضية، ولك أن تتساءل: لماذا- يا ترى- تصرفت فئة قليلة من المسلمين باجتهادها المتطرف، ونظرتها الضيقة فى حق يملكه دين بأكملة، ويمثله السواد الأعظم من المسلمين المنتشرين فى مختلف بقاع الأرض هُدمت وسُوّيت آثار الإسلام الأولى؛ لتخفى معالم تلك الحضارة وأضرحة رجالها ونسائها العظام؟!

آثار البقيع قبل تدميرها

تشير المصادر التاريخية أن هنالك قباً كانت تعلو قبور أئمة أهل البيت (هم) كالقبة الموجودة على قبر رسول الله (ص) لكنها هُدمت سنة ١٣٤٣ هجرية.

ص: ٢٤٤

وكان السلطان عبد المجيد أمر سنة: ١٢٧٠ هجرية، بتجديد عمارة المسجد النبوي والقبة النبوية الشريفة، واستمر البناء نحو أربع سنين، وكذلك أمر ببناء قبة أئمة البقيع بعين البناء الذي بنى به قبر رسول الله (ص).

وكتب السيد محسن الأمين: لما عمل في زماننا شباك لضريحهم الشريف (أى لضريح أئمة البقيع هم)) بأصفهان من الفولاذ الدقيق الصنع، وبأعالیه الأسماء الحسنی لله تعالی بالخط الجمیل المذهب، واستأذنت الدولة الإيرانية من الدولة العثمانية في وضع الشباك على ضريحهم المقدس، أذنت لها .. ولما جاء به السيد على القطب رحمه الله إلى حیدة عارض أهل المدينة (المتعتون منهم) في وضعه على القبور المقدسة، فبقى الشباك في جدّة ثلاثة أعوام حتى بذل الإيرانيون مبلغاً عظيماً من المال لأهل المدينة، فرضوا بنقله ووضعوه. ولما حمل إلى المدينة المنورة، وأرادوا إزالة الصندوق الخشب الموضوع على القبور الشريفة، ووضع الشباك الجديد مكانه، منع أهل المدينة من ذلك، بحجة أن الصندوق الخشبي وقف لا يجوز تغييره! فاضطروا إلى وضع الشباك (جانباً) خارج الصندوق، فنقصت ألواح الفولاذية بسبب ذلك، فاضطروا إلى إكماله بقطعه من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه والكتابة عليها.

ورأيت القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصورة عنه في الرنق عند تشرفي بزيارة المدينة المنورة بعد الحج عام ١٣٢١ هـ، وبعد ذلك عند تشرفي بزيارتها من دمشق عام ١٣٣٠ هـ، وبقي هذا الشباك حتى أزاله

ص: ٢٦٥

الوهابيون عام ١٣٤٣ هـ - حين دخلوا المدينة المنورة وهدمهم لقبّة أئمة البقيع (هم) وقبورهم المقدّسة.

مراحل هدم آثار البقيع

الهدم الأول: (١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م) يقول الجبرتي - في تاريخه عن أحداث يوم ١٥ رجب ١٢٢٠ هـ - (٩ تشرين الأول أكتوبر ١٨٠٥) :- وردت الأخبار بأن الوهابيين استولوا على المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بعد حصارها نحو سنه ونصف. ويشير في موضع آخر إلى (هدم القباب).

الهدم الثاني (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م) لعل أصدق وصف لهذه القضية هي تلك الرسالة التي أرسلها أحد الحجاج العراقيين لأحد علماء الشيعة في العراق والتي نصها: صدر الأمر بهدم وتخريب المراقد الشريفة، فشرع الجند أولًا بنهب جميع ما تحويه تلك البنايات المقدسة في البقيع من الفرش والستائر والمعلقات والسرج وغير ذلك، ثم بدأوا يخربون تلك المشاهد المقدسة وفرضوا على جميع بنائي المدينة الاشتراك في التخريب والهدم.

وهذا الجانب من التهديم اعتبر أساساً لكل أعمال التهديم والتدمير التي تعرضت لها الآثار الإسلامية بعد هذا التاريخ، خاصة أن كل هذه الأعمال تم دعمها بالفتاوى والأحكام السياسية في ذات الوقت.

حفظ آثار البقيع وإعادة بنائها مهمة المسلمين

ص: ٢٦٦

وإذا كان كل هذا الحفظ التاريخي لحضارة الفراعنة المصريين عبر مقابرهم وآثارهم، فلك أن تتألم على ضياع الكثير من آثار الإسلام في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وغيرهما، وتقدر حجم الخسارة الحضارية والتاريخية والدينية والنفسية على المسلمين ككل.

قال السيد الشهيد الصدر (قده): «إن المنطقة التي بقيت معروفة إلى الآن من البقيع هو المقدار الذي نراه بالصورة المعروفة التي تباع في الأسواق، والتي فيها قبور المعصومين الأربعة (هم) المدفونين هناك، وقبر العباس بن عبدالمطلب، واستمرت محفوظة ومعروفة بفضل الله القادر القاهر جل جلاله، ومن ذلك نعرف أننا نستطيع بالدقة معرفة محل قبة أهل البيت المهذومة، فإنها كانت على هذه القبور أنفسها، مع وجود ما سمعناه في داخلها من الأضرحة والزينة والزخارف التي سرقت كلها من قبل القائلين بالهدم كما هو واضح، وبطبيعة الحال فإن كل الشيعة بما فيهم شيعة العراق وإيران ولبنان وباكستان وغيرهم، مستعدون لإعادة البناء على القبور المهذومة، وهي أمنية كانت ولا تزال، وستبقى في قلوبنا حتى يقضى الله ما هو قاض».

ويقول الدكتور يمانى شهدت فترات ماضية هدماً في بعض الآثار في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة، كما شهدت أخرى اهتماماً بترميمها والحرص على المحافظة عليها، واحدة من تلك الآثار التي سوّيت بالأرض، هي قبور البقيع بالمدينة المنورة، وبالرغم من أن محاولة درسها وإخفائها للأبد لم تنجح، إلا أن هدم أضرحتها وتخريب معالمها قد حصل للأسف الشديد.

ص: ٢٤٧

ويضيف: إن الآثار التي تمتلئ بها جنبات مكة المكرمة، والمدينة المنورة، تستحق منا صيانتها ورعايتها كأمانة لدينا؛ لأنها تخص العالم الإسلامي، مؤكداً أنه من المهم أن لا نسمح لأي إنسان بالعبث فيها. ورأى الدكتور أنور البكري أن الكثير من الآثار بحاجة إلى الاهتمام.

وعلق الدكتور عمر فلاته في هذا الشأن وقال: تحوى المدينة المنورة الكثير من الآثار، وبعض هذه الآثار لها ارتباط بالعبادة، والبعض ليس له ارتباط بها، ومع الأسف الشديد أن بعض القضايا مثل مسجد بنى قريظة الذي هدم.. هذا مسجد صلى الرسول (ص) به، وأنا فى تصوورى أن هناك إهمالاً فى هذا المسجد.

المرجع الدينى السيد محمد الحسينى الشيرازى يقول فى هذا الصدد عن آثار البقيع الغرقد: إن لتلك الآثار دلالات للبشرية ومقومات للهداية، بالإضافة إلى أنها من أحسن الذكريات لا الذكرى فقط.. والدنيا بأجمعها تحتفظ بالآثار بكل أنواعها، حيث إن العقل والعرف يدلان على حفظها، ولا- يكون ذلك خلاف الشرع الذى يصرح بالمرور فى ديارهم والنظر إلى آثارهم، وقد قال القرآن الحكيم: **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. (١) وقال تعالى: وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ. (٢)**

١- سورة الصافات: ١٣٧-١٣٨.

٢- سورة الحجر: ٧٦.

ص: ٢٤٨

مشيراً أن حفظ آثار العذاب عبرة فكيف بآثار الصالحين؟! وكيف بالنبي العظيم (ص) والأئمة الطاهرين (هم) والأصحاب المكرمين، وهكذا بالنسبة إلى المؤمنات الطاهرات!؟

هذا بالإضافة إلى وجود المعنوية في تلك الأماكن، كيف لا وقد قال سبحانه: فَكَبَّضَتْ فَجْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ. (١)

مخاوف من طمس ماتبقى من آثار

يقول الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان عضو هيئة كبار العلماء في هذا الشأن: «إن إزالة الآثار الإسلامية فيما لو حصلت ستحول التاريخ الإسلامي عند الأجيال القادمة إلى ما يشبه الأسطورة».

فالذي يتأمل في كلام الدكتور عبد الوهاب يجد أن المحاولة التي نادت ولا تزال تنادي بإزالة آثار البقيع هي تهدف إلى محو التراث الإسلامي، وتحاول تشويه الصورة للأجيال المقبلة.

ويضيف الدكتور عبدالوهاب: أن زيارة أماكن الآثار الإسلامية في الأصل مباحة، بل تصل إلى السنية لما تحدثه من طاقة إيمانية نتيجة الربط بالمكان.

ويرى أن عدم حفاظ الأمة الإسلامية على آثارها، وبالأخص أماكن إقامة النبي محمد (ص) لا يمكن وصفه إلا بالعار عليها.

ص: ٢٦٩

ورفض الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان قبول بعض الآراء الفقهية، التي ترى أن هذه الأماكن والمواقع التاريخية الإسلامية ستؤدي إلى تصرفات شركية، قائلاً: حتى لو أزيلت فإن الاعتقادات الخاطئة ستظل موجودة».

ودعا الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان إلى المحافظة على الأماكن التاريخية وحمايتها من الطمس؛ لأن الإزالة لم تكن في منهج السلف الصالح، وليست الأسلوب الصحيح لمنع الممارسات المخالفة للعقيدة بل هي تؤثر عكساً على إضعاف جذوة الإيمان في نفوس الشباب، وذلك وفقاً لما نشرته صحيفته "عكاظ".

وانتقد عدد من المهتمين بالآثار، حسب ما أفادت به (صحيفة الشرق الأوسط) اللندنية ٤/٩/٢٠٠٥ م، ومنهم الدكتور عبد الله نصيف والدكتور عايض الردادى عضو مجلس الشورى، والدكتور أنور عشقى، التسرع فى اتخاذ خطوات الهدم والإزالة، ودعوا للحفاظ على ما تبقى من آثار إسلامية، ونادوا بالترث فى إزالتها باعتبارها وسيلة للاعتبار والاستذكار.

وأكدوا أنه بضياعها يضيع إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم النصح والإرشاد، ومشيرين إلى أهمية تصحيح الأخطاء الشرعية؛ لكي يتحقق الأجر، خاصة مع تنامي دور هذه المواقع الدينية كعامل جذب سياحى.

وجاء تصريح وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حاسماً لقضية المساجد السبعة، وما

ص: ٢٧٠

طرح حولها من آراء متباينة تتجاذبها بين المناداة بإزالتها والإبقاء عليها، وفق أسباب وحجج تحكم قناعات كل طرف بتأكيده (بعدم التعرض لها بإزالة أو تغيير لمعالمتها وطالب بالاهتمام بها وتزويدها بكافة الخدمات أسوةً بالمساجد الأخرى رغم أنه قد تم إزالة بعض منه) وأصدرت الهيئة العليا للسياحة قرارات حاسمة بعدم إزالة الآثار والعبث بها في المدينة المنورة، وأكد الأمير سلطان أنه صدر قرار من ولي العهد بعدم إزالة أيه مبان أو آثار إلّا بعد معاينتها من وكالة الآثار، حتى تتمكن من تقييمها؛ لأنّ وكالة الآثار وهيئة السياحة هما الأقدر على تقدير أهمية ذلك الأثر حضارياً وإنسانياً.

وطالب وزير الداخلية أمراء المناطق المساندة في هذا الخصوص، إضافةً إلى مطالبة الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الشؤون البلدية والقروية، أمانات وبلديات المدن بعدم المساس بالآثار أو التعرض لها بأيه حجة كانت.

عضو هيئة كبار العلماء في السعودية يقول:

إنّ من العار إزالة الآثار النبوية

شبكة راصد الإخبارية/ ٥ / ١ / ٢٠١٠ م

ص: ٢٧١

قال عضو هيئة كبار العلماء في السعودية الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان: إنَّ من "العار" إزالة الآثار الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ورفض أبو سليمان الآراء الفقهية التي ترى أنَّ هذه الأماكن والمواقع التاريخية الإسلامية ستؤدي إلى تصرفات شركية.

مبيناً أنَّ زيارة هذه الأماكن في الأصل مباحة بل تصل إلى السنية لما تحدته من طاقة إيمانية نتيجة الربط بالمكان.

وأضاف في تقرير لصحيفة عكاظ أنه حتى لو أزيلت فإنَّ الاعتقادات الخاطئة ستظل موجودة.

وقال: إنَّ عدم حفاظ الأمة الإسلامية على آثارها، وبالأخص أماكن إقامة النبي محمد لا يمكن وصفه إلَّا بالعار عليها.

موضحاً بأن زيارة هذه الأماكن في الأصل مباحة بل تصل إلى السنية؛ لما تحدته من طاقة إيمانية نتيجة الربط بالمكان.

ودعا عضو هيئة كبار العلماء لدى تكريمه في نادي مكة الأدبي يوم الاثنين إلى توظيف الآثار الباقية من أماكن ومواقع في خدمة الدعوة الإسلامية وربط الأجيال القادمة بدينهم.

وتابع بأن إزالة الآثار الإسلامية فيما لو حصلت ستحيل التاريخ الإسلامي عند الأجيال القادمة بما يشبه الأسطورة على حد وصفه.

واعتبر متابعون أنَّ كلام أبو سليمان يعد سابقة في تاريخ هيئة كبار العلماء، أرفع هيئة إفتاء في المملكة، والتي عرف أعضاؤها بالشدد الديني،

ص: ٢٧٢

خصوصاً تجاه الإبقاء على الآثار النبوية التي تعرض أغلبها للطمس والإزالة على يد الوهابيين طيلة ١٠٠ عام الماضية. علماء «البحوث الإسلامية» يشددون على التقارب بين السنة والشيعه

شبكة الملتقى ٢٧ / ٢ / ٢٠١٠ م

شدد مؤتمر علماء مجمع البحوث الإسلامية المنعقد في القاهرة اليوم (السبت) بعنوان (صحابه رسول الله) على مبدأ التقارب بين السنة والشيعه، في الوقت الذي اتهم فيه علماء مشاركون ما أسموه (الإعلام غير المسؤول) بتحويل الخلاف بين الجانبين.

فقد شدد شيخ الأزهر، الدكتور محمد سيد طنطاوي، في كلمته أمام المؤتمر ال-١٤ لمجمع البحوث الإسلامية، والذي بدأت أعماله في مقر لأزهر الشريف، على أهمية التقارب بين السنة والشيعه، لعدم وجود خلاف جوهري بينهم، وذلك من أجل وحدة الأمة الإسلامية، ودعا إلى أن يقتصر البحث في هذا على العلماء والمختصين، محذراً في الوقت نفسه من مغبة التحويل في هذا الخلاف من أعداء الأمة الإسلامية، حسب قوله.

من جانبه، حذر وزير الأوقاف الأردني، وعضو مجمع البحوث، الدكتور عبدالسلام العبادي، مما وصفه ب- (الإعلام غير المسؤول)

الذي يهول

ص: ٢٧٣

الخلاف بين السنة والشيعة لأغراض سياسية أو مذهبية، مؤكداً دور أهل العلم والاختصاص في بحث التقريب بين المذاهب الإسلامية. وطالب العبادي، في كلمته أمام المؤتمر، حسبما نقلت وكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية، بتعديل بعض المناهج الدراسية في المؤسسات العربية، لتتقنها من أي فكر لا يشجع على التقارب بين المذاهب، محذراً من التوترات السياسية في العالم الإسلامي بسبب الخلافات المذهبية.

كما شدد الدكتور علي الهاشمي، مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة للشؤون الدينية، وعضو المجمع، على ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية، خاصة السنة والشيعة، لدور ذلك الحيوي في وحدة العالم الإسلامي، مشيراً إلى جهود الأزهر في هذا الصدد، من أجل إزالة أي خلافات مذهبية في الأمة الإسلامية.

وبدوره، أوضح المفكر الإسلامي، الدكتور محمد عمارة، عضو مجمع البحوث، ضرورة أن يتولى أهل العلم والاختصاص بحث أي خلاف مذهبي أو عقائدي، وعدم نقل ذلك الخلاف للعامة ووسائل الإعلام، خاصة غير المسؤولة، لآثر ذلك في توسيع الخلاف وتفريق الأمة الإسلامية.

ص: ٢٧٤

وَذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ

وَذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ (١)

مناسبات شهر ذى الحجة الحرام

أيوب الحائري

تمهيد

قد اهتم الإسلام أشد الاهتمام بالزمان والتاريخ كعامل مهم في حياة الأمم، حيث وردت في القرآن الكريم سور بكاملها بأسماء الزمان مثل: سورة الدهر، وسورة العصر، حيث أقسم تعالى به.

وتزداد مكانة بعض الأيام والتواريخ في الإسلام، بحسب الأحداث التي وقعت فيها، أو التي ستقع فيها، وهذا ما نلمسه من واقع حياتنا كمسلمين، إذ وردت أحاديث كثيرة في فضل بعض الأيام بالخصوص؛ فليلة القدر في القرآن خير من ألف شهر، ويوم الجمعة لها خصوصية معينة، وحدث هجرة الرسول (ص) له مكانة عالية إذ جعل مبدءاً للتاريخ في الإسلام، فسميت السنة بالهجريّة نسبة إلى هذه الحادثة العظيمة.

وليست هذه منحصرة بالإسلام، بل سارت إلى غيره من الديانات، فقد اعتمد المسيحيون يوم ميلاد السيد المسيح (ع) مبدءاً لتقاويمهم تخليداً لذلك الحدث الهام.

ص: ٢٧٥

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المجال، هو التركيز على الاستفادة المثلى من هذه المناسبات لما فيه خير الإسلام والمسلمين، ولا يتم ذلك إلّا من خلال نشر الوعي والثقافة الإسلامية الصحيحة، والسعى لتمثل تلك التجارب الإسلامية الناجحة في واقعنا المعاصر، ولاسيما فيما يتعلق بذكرات الشخصيات الإسلامية الخالدة، من خلال جعلهم قدوات في حياتنا العملية، وتذكير الأمة بالقدرات العلمية والثقافية والنماذج الصالحة التي زخرت بها في كل العصور إلى يومنا هذا.

وفيما يتعلق بشهر ذي الحجة الحرام هو من الشهور المهمة العبادية التي جعل الله تعالى فيها مواقيت بغية تعميق العلاقة والارتباط به والتفرغ له عمّا سواه، خصوصاً العشرة الأولى منه حيث جعلها الله تعالى موعداً للقائه والتقرب منه والرفقة إليه، وهي المراد بقوله تعالى: **وَإِذْ كَرَّمْنَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ (١) وَهِيَ الْعَشْرَةُ الَّتِي أُمِّمَ بِهَا مُوسَى (ع) مِيقَاتِهِ مَعَ رَبِّهِ.**

وفي هذا الشهر توجد مجموعة من المناسبات المهمة، فاليوم الأول منه كان مناسبة زواج الإمام علي (ع) من فاطمة الزهراء (ها)، واليوم الثالث منه كان تبليغ سورة البراءة من قبل الإمام علي (ع)، وكذلك كان وصول النبي (ص) مكة لأداء حجة الوداع، وفي اليوم السابع منه كانت شهادة الإمام الباقر (ع)، وفي اليوم الثامن منه كان خروج الإمام الحسين (ع) من مكة إلى العراق، وفي التاسع منه هو يوم عرفه، اليوم الذي دعا الله تعالى عباده فيه إلى طاعته وعبادته، وبسط لهم موائد إحسانه وجوده، وكذلك يوم شهادة مسلم بن عقيل، والعاشر منه جعله الله عيداً لجميع المسلمين، وفي اليوم الثامن عشر منه أتم الله النعمة على المسلمين بتنصيب الإمام علي (ع) من قبل

ص: ٢٧٦

الرسول (ص) فكان إكمالاً لدينه؛ وغيرها من المناسبات العطرة، فحرى بالمسلم أن يستثمر هذا الشهر، لكي يربّي نفسه تربية إلهية من خلال الاهتمام بالأعمال العبادية في هذا الشهر المبارك ويحيى تلك المناسبات تعظيماً لشعائر الله تعالى، وفيما يلي أقدم استعراضاً لتلك المناسبات.

مناسبات شهر ذي الحجة

الرقم اليوم المناسبة السنة

- ١ ١ / ذوالحجة زواج الإمام على (ع) من فاطمة الزهراء (ها). ٢ هـ -
- ٣ ٢ /// أمر النبي (ص) علياً (ع) تبليغ سورة البراءة في الحج. ٩ هـ -
- ٣ وصول النبي (ص) إلى مكة لحجة الوداع. ١٠ هـ -
- ٧ ٤ /// استشهاد الإمام محمد الباقر (ع). ٩٥ هـ -
- ٨ ٥ /// يوم التروية - خروج الإمام الحسين (ع) من مكة العراق. ٦٠ هـ -
- ٩ ٦ /// يوم عرفة. من كل عام
- ٧ استشهاد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة. ٥٩ هـ -
- ١٠ ٨ /// عيد الأضحى المبارك (يوم النحر). من كل عام
- ١٨ ٩ /// يوم الغدير (نصب على (ع) وصياً من قبل النبي (ص). ١٠ هـ -
- ٢٢ ١٠ /// استشهاد ميثم التمار رضوان الله عليه. ٦٠ هـ -
- ٢٤ ١١ /// يوم المباهلة مع نصارى نجران. ١٠ هـ -
- ٢٤ ١٢ /// يوم تصدق الإمام على (ع) بالخاتم للفقير. ١٠ هـ -
- ٢٥ ١٣ /// نزول سورة الإنسان في فضل أهل البيت (هم). ١٠ هـ -
- ٢٥ ١٤ /// البيعة لعلي بن أبي طالب (ع) بالخلافة. ٣٥ هـ -

ص: ٢٧٧

(١/ ذو الحجة/ السنة ٢ هـ -)

١. زواج الإمام على (ع) من فاطمة الزهراء (ها)

كان عمر الإمام على (ع) قد بلغ أربعاً وعشرين سنة، والسيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله (ص) الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلما أن الرسول (ص) امتنع عن ذلك، وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله. (١) إلى أن تقدم أمير المؤمنين (ع)؛ لخطبتها من رسول الله (ص)؛ فقال له (ص): «يا على قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك».

فلما دخل النبي (ص) على فاطمة (ها)، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله على (ع)، سكتت ولم تولّ وجهها، ولم ير فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول (ص): «الله أكبر، سكوتها إقرارها»، فخرج إلى على (ع) وموافقته الزهراء بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة.

فقال (ص): «يا على هل معك ما أزوجهك به؟» فقال (ع): «فداك أبي وأمي، والله لا يخفى عليك من أمرى شيء، أملك سيفي ودرعي وناصحتي».

١- أنساب الأشراف ٣٠: ٢.

ص: ٢٧٨

فقال (ع): «يا علي، أما سيفك فلا- غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به علي نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، وائتني بثمانه». (١) باع الإمام علي (ع) الدرع بأربعمائة وثمانين درهماً. (٢) وقيل بخمسمائة. (٣) وجاء بالدرهم وطرحها بين يدي النبي (ص)، فكان هذا فقط صداق أشرف وأعظم فتاه عرفتها دنيا الإنسان.

ثم إن النبي (ع) قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم رده بعد ذلك إلى علي (ع) قبيل الزفاف، إعانة منه لوليمة الزفاف.

دفع النبي (ص) الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة (ها) متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدي النبي (ص) أخذ يقلبها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم بارك لقوم جُلُّ آئيتهم الخرف». (٤)

١- الإصابة للعسقلاني ٣٦٥: ٤.

٢- كانت تسمى هذه الدرع ب- الحطيمة لأنها كانت تحطم السيوف.

٣- بحار الأنوار ١٤٤: ٤٣.

٤- المصدر السابق ١٣٠: ٤٣، الحديث ٣٢.

ص: ٢٧٩

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي (ص) معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهي:

أولاً: اختيار علي (ع) لفاطمة (ها) - وإن كان من قبل السماء بقوله (ص): «إن الله أمرني بأن أزوجه فاطمة من علي». (١) - لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر، وبدل ذلك بوضوح على أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس الذي يجب أن تبنى عليه أركان الأسرة المسلمة وكيانها.

ولعل في الكلام الذي روى عن النبي (ص): «يا فاطمة، أما إنني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي». (٢) إشارة إلى لزوم انتخاب الأصلح.

ثانياً: السنن والدروس النبوية التي طبعت في معالم تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور، وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر، والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش علي وفاطمة (ما) علي أحسن حال، فلم يشتك علي من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة، بل كان كل منهما للآخر نعم العون على طاعة الله، وهناك كثير من النصوص تؤكد هذه الحقيقة، فقد قال علي (ع) في بيان العلاقة بينهما: «فوالله ما أغضبته ولا أكرهتها علي أمر حتى

١- ذخائر العقبى: ٧٠.

٢- الطبقات الكبرى ٢٤: ٨.

ص: ٢٨٠

قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان». (١) وجاء في آخر كلام لها (ها) مع علي (ع): «يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني»، فقال (ع): «معاذ الله أنت أعلم وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي». (٢) لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام علي والسيدة فاطمة (ما) ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص كتابه العزيز: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. (٣) (٣/ ذو الحجة/ السنة ٩ هـ -)

٢. أمر النبي (ص) علياً (ع) تبليغ سورة البرائة في الحج

١- المناقب للخوارزمي: ٢٥٦؛ كشف الغمة ٣٦٣: ١؛ بحار الأنوار ١٣٤: ٤٣.

٢- أمالي الشيخ الطوسي ٣٨٤: ١؛ بلاغات النساء، لابن طيفور: ٢٠؛ روضة الواعظين: ١٥١.

٣- سورة الأحزاب: ٣٣.

ص: ٢٨١

وفى هذا اليوم من السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي (ص) علياً (ع) إلى مكة بالآيات الأولى من سورة البراءة، ليقرأها على كفار مكة. قال جبريل: «إن الله يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك؛ فاستدعى رسول الله (ص) علياً (ع)... (١) هذه الحادثة تشير إلى جملة من النقاط المهمة:

أولاً: الأهمية الخاصة لهذه الآيات الشريفة وما تتضمنه من إمهال الكفار والمشركين فترة أربعة أشهر، تبدأ من العاشر من ذى الحجة وتنتهى باليوم العاشر من شهر ربيع الأول للسنة العاشرة.

ثانياً: تبين الحادثة فضل أمير المؤمنين (ع)، وقد ورد فى بعض النصوص كما فى (مسند أحمد بن حنبل): أن علياً (ع) قال: «يا رسول الله لست خطيباً، فقال النبي (ص): لا محيص عن ذلك، فإما أن أذهب بها أو تذهب بها، فقال على (ع): إذا كان ولا بد فأنا أذهب بها، فقال له النبي (ص): انطلق بها فإن الله يثبت لسانك ويهدى قلبك». (٢) ثالثاً: مع أهمية اليهود والموثيق فى الإسلام إلّا أن الأمر الإلهى أعلن من خلال هذه الآيات إعلاناً عاماً أمام الناس كافة: وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (٣)

١- الإرشاد ٦٥: ١.

٢- مسند أحمد بن حنبل ٣٣١: ١ ط / مصر.

٣- سورة التوبة: ٣.

ص: ٢٨٢

فقد تصرف الوحي والرسول (ص) معهم كما تصرف مع اليهود الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم من جانب واحد، وذلك بالتأمر سراً مع أعداء الإسلام، أو محاوله اغتيال النبي (ص) فتمت مواجهتهم وطردهم من المدينة، لكن بعض المعاهدات بقيت ساريه المفعول، سواء أكانت ذات أجل مسمى أم لم تكن؟

إنّ القرائن والدلائل التي ظهرت من جانب المشركين تدل على أنهم كانوا على استعداد فيما لو استطاعوا أن يوجهوا ضربه قاضيه للمسلمين دون أدنى اعتناء بعهودهم، ومن البديهي أنه إذا رأى الإنسان عدوه يتربص به ويستعد لنقض عهده، ولديه قرائن على ذلك وعلائم واضحة، أن ينهض لمواجهته قبل أن يستغفله، ويعلن إلغاء عهده، ويرد عليه بما يستحق.

ومن الجدير ذكره في هذا الباب أنّ القوانين الدولية المعاصرة لاتعترف بالمعاهدات بين الدول إذا ما تم إقرارها والتوقيع عليها تحت الضغوط والقوة القاهرة.

رابعاً: إن الأديان والعقائد الفاسدة مثل عبادة الأصنام ليست عقيدة ولا فكراً، بل هي خرافة ووهم باطل خطر، فيجب القضاء عليها وإزالتها من المجتمع الإنساني.

فإذا كانت قوة عبدة الأصنام وقدرتهم بالغه في الجزيرة العربية آنذاك، فاضطر النبي (ص) بسبب تلك الظروف إلى معاهدتهم ومصالحتهم، فإن ذلك لا- يعني أنه لا يحق له إلغاء معاهدته- إذا ما قويت شوكته- وأن ينقض عهده الذي سيعتبر مخالفاً للمنطق والعقل فيما لو استمر عليه؛ كما أنّ

ص: ٢٨٣

هذا الحكم مختص بالمشركين، أما أهل الكتاب وسائر الأقوام الذين كانوا في أطراف الجزيرة العربية فقد بقيت المعاهدات معهم على حالها ولم ينقض النبي (ص) موثقتهم وعهودهم حتى وفاته.

إنّ البراءة في الآية المذكورة أعلاها لا تختصّ بمشركي الجزيرة بل إنها تشمل البراءة من مشركي العالم كله، الموجودين في عصر الرسالة ومن بعدهم إلى يوم القيامة. وهذه الآية تعلن عن أوضح موقف سياسي تجاه المشركين وأعداء الإسلام.

وأما من تمسك بقوله تعالى: **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**. (١)

لتحريم المظاهرات وإعلان البراءة من المشركين، فمردود؛ لأنّ المشهور عند المفسرين في تفسير هذه الآية أنّ الرفث هو الجماع والفسوق هو جميع المعاصي، والمراد بالجدال هو المراء والمشاجرة والمنازعة. (٢) هذا ما عند القوم، وأما عند أهل البيت (هم) فقد فسّر الجدال المذكور في الآية بقول الرجل: لا والله، وبلى والله. (٣) وأين هذا من تحريم مطلق الجدال الذي يدعيه القوم؟! وقد اتخذوه الوهابيون دليلاً على حرمة المظاهرات وإظهار البراءة من الكفار والمنافقين في موسم الحج.

ومن هذا المنطلق كان الإمام الخميني (قده) يرى بأنّ السياسة جزء من الدين، وأنّ عملية فصل السياسة عن الدين التي شاعت خلال العقود

١- سورة البقرة: ١٩٧.

٢- الكشاف، للزمخشري ٢٦٣: ١.

٣- نور الثقلين ١٦٢: ١.

ص: ٢٨٤

الأخيرة من هذا القرن، إنما روج لها المستعمرون، وأنّ النتائج المشؤومة لهذا الفصل واضحة في العالم الإسلامي وبين أتباع سائر الأديان الإلهية.

وكان الإمام الخميني (قده) يعتقد بأنّ الإسلام دين الهداية البشرية في جميع مراحل وأبعاد وأدوار الحياة الفردية والاجتماعية، ولما كانت العلاقات الاجتماعية والسياسية جزءاً لا يتجزأ من حياة البشر، فإنّ الإمام الخميني (قده) كان يرى أنّ الإسلام الذي يهتم بالجوانب العبادية والأخلاقية الفردية فحسب، ويصدّ المسلمين عن تقرير مصيرهم وعن المسائل الاجتماعية والسياسية، إسلام محرّف، وعلى حد تعبير سماحته "إسلام أمريكي".

لقد بادر الإمام الخميني (قده) بعد انتصار الثورة الإسلامية فضلاً عن الحكومة الإسلامية بأسلوب يختلف تماماً عن الأنظمة السياسية المعاصرة، أوضح أركانه وأصوله دستور الجمهورية الإسلامية، إلى إحياء شعائر الإسلام الاجتماعية، وإعادة الروح السياسية للأحكام الإسلامية، وما إحياء وإقامة مراسم صلاة الجمعة، ومراسم صلاة الجماعة، ومراسم صلاة الأعياد الإسلامية الكبرى في مختلف أنحاء البلاد، إلّا تأكيد على أنّ الإسلام عقيدة عبادية سياسية، وطرح المسائل والمشكلات التي يتعرض لها المجتمع الإسلامي داخل البلاد وخارجها في خطب صلوات الجمعة والأعياد الدينية، وتغيير أسلوب ومحتوى مراسم العزاء والرتاء، وغيرها من مضامين التغيير إلّا نماذج بارزة على ذلك.

ص: ٢٨٥

إنَّ أحدَ أبرز إنجازات الإمام الخميني (قده) إحياء الحج الإبراهيمي، واعتبر الحج من أبرز مظاهر التلاقى وإعلان البراءة من المشركين، إلا أنَّ الناظر إلى الحج لا يرى أيَّ أثر من طرح لمشكلات العالم الإسلامي والبراءة من المشركين؛ وقد اعتبر رضوان الله عليه من خلال بياناته السنوية التي كان يوجَّهها إلى الحجاج في موسم الحج على وجوب اهتمام المسلمين بالأمور السياسية للعالم الإسلامي، واعتبار إعلان البراءة من المشركين ركناً من أركان الحج، وتوضيح مسؤوليات الحجيج في هذا الخصوص.

وبالتدرج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت مسيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى، يرددون خلالها شعارات تطالب بإعلان البراءة من أمريكا والاتحاد السوفيتي آنذاك وإسرائيل باعتبارها مصاديق بارزة للشرك والكفر العالمي، وتدعو المسلمين إلى الاتحاد.

وفي هذا الصِّدد يقول سماحة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي حفظه الله تعالى في ندائه لحجاج بيت الله الحرام وذلك في موسم الحج لعام (١٤٢٤ هـ):

إنهم (المستكبرون) يشعرون بوجود الصحوَّة الإسلاميَّة، ويشعرون بالخطر من انتشار فكرة (الإسلام السياسي) وسيادة الإسلام، وترتعد فرائصهم عندما يفكرون بيوم تنهض فيه الأمة الإسلاميَّة موحدة مليئة بالأمل، فإنَّ الأمة الإسلاميَّة بما تملكه من ثروات طبيعيَّة، وتراث حضاري تاريخي عظيم، ورقعة جغرافيَّة متراميَّة الأطراف، وكم بشري هائل، لن تسمح في ذلك اليوم المنشود، لقوى الهيمنة التي طفت تمتص دم الأمة

ص: ٢٨٦

وتنتهك حرمتها وكرامتها طوال مائتي عام، أن تستمر في هذا الطغيان والعدوان.

إنّ النخب السياسية والفكرية في عالمنا الإسلامي تتحمل اليوم مسؤولية جسيمة في إقامة مناسك الحج وشعائره بما جاء به الإسلام العظيم.

إننا نستشرف أفق المستقبل مشرقاً أمام شعبنا والعالم الإسلامي، و مستمرون بعزيمة راسخة في الدرب الذي رسمه الإمام الخميني العظيم، وواثقون من تحقق الوعد الإلهي وثوقاً يتزايد يوماً بعد يوم. (١) (٣/ ذو الحجة/ السنة ٩ هـ-)

٣. وصول النبي (ص) إلى مكة المكرمة لحجة الوداع

كان وصول النبي (ص) إلى كدى أو كداء، يوم الإثنين الرابع من ذى الحجة في العام العاشر للهجرة، وكان في آخر نهار ذلك اليوم.

(٢) فلما أصبح في اليوم التالي اغتسل ودخل مكة نهاراً. (٣) وذلك من العقبة، فلما انتهى إلى باب المسجد- باب شيبه- استقبل القبلة (الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه

١- بيان الإمام الخامنئي حفظه الله تعالى في موسم الحج ٢٠٠٤ م.

٢- بحار الأنوار ٣٩: ٢١؛ فروع الكافي ٢٣٣: ١.

٣- المغازي، للواقدي ١٠٩٧: ٢.

ص: ٢٨٧

وصلى على أبيه إبراهيم، (١) ثم دخل بناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجنته (عصاً قصيرة معوجة الرأس)، وقبل الحجر، (٢) ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم (ع)، قرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد، (٣) ثم دخل زمزم فشرب منه، ثم استقبل الكعبة وقال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء وسقم»، ثم رجع إلى الحجر الأسود ليستلمه وقال لأصحابه: «ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر» ثم استلمه وخرج إلى الصفا، وقال لأصحابه: ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: **إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةََ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ، حَتَّى صَعَدَ الصَّفَاَ فَمَامَ عَلَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ قَالَ:**

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». قال مثل هذا ثلاث مرات، ودعا بين ذلك، ثم نزل إلى بطن الوادي ومشى حتى صعد المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا. (٤) لحوق على (ع) بركب الرسول (ص)

كان على (ع) في اليمن، وكان الرسول (ص) قد كاتب علياً (ع) بالتوجه إلى الحج من اليمن، فخرج أمير المؤمنين (ع) بمن معه من العسكر

١- بحار الأنوار ٣٩٦: ٢١، وفروع الكافي ٢٣٤: ١.

٢- فروع الكافي ٢٨٣: ١؛ بحار الأنوار ٤٠٢: ٢١؛ المغازي للواقدي ١٠٩٨: ٢.

٣- صحيح مسلم ٣٦: ٤؛ بحار الأنوار ٤٠٤: ٢١؛ المغازي ١٠٩٨: ٢.

٤- بحار الأنوار ٤٠٤: ٢١؛ صحيح مسلم ٣٦: ٤؛ المغازي ١٠٩٩: ٢.

ص: ٢٨٨

الذى صحبه، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنه هدياً، معه الحلل، ولما بلغ يللم عقد نيته بنية النبي، وقال: «اللهم إهلاً كإهلال نبيك». فلما قارب رسول الله (ص) مكة من طريق المدينة قاربها أمير المؤمنين (ع) من طريق اليمن، فلما كان بالفتق قرب الطائف خلف على أصحابه أبا رافع القبطى، وتقدمهم للقاء النبي (ص)، فأدركه وقد أشرف على مكة، فسلم وأخبره بما صنع وأنه سارع للقاءه قبل الجيش. (١) فسر رسول الله (ص) بذلك وابتهج بقاء على (ع)، وكان محرماً فسأله: «بم أهلت يا على؟ فقال (ع): يا رسول الله، إنك لم تكتب إلى إهلالك، ولا عرفتني، فعقدت نيتي بنيتك. وقلت: اللهم إهلاً كإهلال نبيك، وسقت معى من البدن أربعاً وثلاثين بدنه، فقال رسول الله (ص): الله أكبر فقد سقت أنا ستاً وستين، وأنت شريكى فى حجتي ومناسكى وهديى، فأقم على إحرامك، وعد إلى جيشك، فعجل بهم إلى حتى نجتمع فى مكة إن شاء الله».

خطبته (ص) فى آخر عمرته:

روى الكلينى بسنده عن الصادق (ع): أنه لما فرغ رسول الله (ص) من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن هذا جبرائيل - وأوماً بيده إلى خلفه - يأمرنى أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكنى سقت الهدى، ولا ينبغى لسائق الهدى أن يحل حتى يبلغ الهدى محلّه»

١- المغازى، للواقدى ١٠٨: ٢، وقال الواقدى: إن الحلل هى الغنائم، وقال المفيد: كانت جزية نصارى نجران.

ص: ٢٨٩

فقال رجل من القوم: أنخرج حجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر؟! (يعنى من غسل الجنابة).

فقال رسول الله (ص): أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً!

فقال سراقه بن مالك الكنانى: يا رسول الله، علمنا ديننا كأننا خلقنا اليوم، فهذا الذى أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل؟

فقال رسول الله (ص): بل هو للأبد إلى يوم القيامة، وشبك أصابعه وقال: دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة». (١) وفى يوم

التروية خرج (ص) إلى مناسك الحج...

وقد أخبر النبى (ص) الناس عند مسجد الخيف، ومن خطبته هناك: «أيها الناس، إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ولن

تزلوا: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير، انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كإصبعى هاتين»، وجمع بين

سبابتين، (ولا أقول كهاتين، وجمع بين سبابتيه والوسطى) فتفضل هذه على هذه. (٢)

١- بحار الأنوار ٣٩١: ٢١؛ فروع الكافى ٢٣٣: ١؛ أما فى صحيح مسلم عن الصادق والباقر عن جابر: فمن كان منكم ليس معه هدى

فليحل وليجعلها عمرة.

٢- تفسير القمى ١٧٣: ١ و ٤٤٦: ٢-٤٤٧، وأسنده النعمانى فى الغيبة: ٢٧-٢٨، إلى الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق،

وأسنده الكافى للكلينى ٤٠٣: ١ إلى الإمام الصادق، وأسنده الصدوق فى الخصال ١٤٩: ١ إلى الصادق أيضاً وكذا المفيد فى أماليه

١٨٦: ٢ بطرق أخرى.

ص: ٢٩٠

(٧/ ذو الحجة/ السنة ٩٥ هـ-)

٤. استشهاد الإمام محمد الباقر (ع)

أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت (هم). ولد بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة. وقبض في المدينة أيضاً سنة أربع عشرة ومائة، فعمره الشريف سبع وخمسون سنة وهو أول علوي من علويين، أبوه الإمام زين العابدين (ع) وأمه فاطمة بنت الحسن السبط (ع) وقبره في البقيع في مدينة الرسول (ص). (١) كانت شهادة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) على يد هشام بن عبد الملك؛ وفي بعض الروايات قيل: إنَّ عبد الملك بن مروان بعث بسرج مسموم إلى الإمام (ع) وعندما وضعوه فوق الفرس وجلس عليه الإمام أحس بحرارة السم، فتورم جسده الشريف وظهرت عليه آثار الموت.

روى عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال: «في أحد الأيام طلبني أبي وقال لي: يا جعفر إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبري أربع أصابع ورشه بالماء (وكان عنده قوم من أصحابه) فلما خرجوا قلت: يا أبت لو أمرتني بهذا صنعته، ولم ترد أن أدخل عليك قوماً تشهدهم، فقال: يا بني أردت أن لا تنازع (أى في أمر الإمامة). (٢)

١- الإرشاد ١٥٨: ٢.

٢- الخرائج: ١٩٧.

ص: ٢٩١

والحادثة تشير إلى أنه (ع) أوضح للحاضرين من شيعته وأتباعه من هو الإمام من بعده؛ لأن الشيعة يعرفون من خلال أئمتهم أنّ المعصوم لا يتولى تغسيله وتجهيزه ودفنه إلّا خليفته المعصوم من بعده.

والإمام الباقر (ع) يمثل حلقة الوصل في استكمال الخطّة التي بدأها الإمام زين العابدين (ع) وذلك بالسعي الدؤوب في بثّ علوم آل البيت (هم) ومواجهه مخططات التحريف ونشر الشبه والضلالات والأفكار الإلحادية من قبل الزنادقة والمخطط الأموي في الطمس والتعتيم على أحقية آل البيت (هم) في الإمامة السياسية والفكرية للأمة الإسلامية.

لقد أنشأ الإمام زين العابدين (ع) حلقات الدرس والمناظرات في مسجد جدّه رسول الله (ص) وتوسعت هذه الحركة الفكرية في زمن الإمام الباقر (ع) وبلغت ذروتها في زمن ولده الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) حيث كانت الدولة الأموية قد أوشكت على الانهيار.

وقد نقلت التفاسير وكتب الحديث والتاريخ عن الإمام محمد الباقر (ع) أحاديث وحوارات كثيرة حصلت بينه وبين رجال الفكر والعلماء المعاصرين له من أمثال نافع مولى عمر بن الخطاب، حيث التقى به في داخل البيت الحرام، وكان نافع قد ذهب إلى الحج مع الخليفة هشام بن عبد الملك، فنظر نافع إلى الإمام الباقر (ع) في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق وقال: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تكافأ عليه الناس. فقال: هذا محمد بن علي، قال: لآتينه ولأسأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلّا نبي أو وصي نبي، قال الخليفة هشام: فاذهب إليه لعلك تخجله؛ وذهب نافع والتقى الإمام

ص: ٢٩٢

الباقر (ع) وسأله عن مسائل كثيرة لا يتسع هذا البحث المختصر لإيرادها، ولكن نكتفى بسؤال واحد هو عن قول الله تبارك وتعالى: **وَاسْتَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ.**

قال نافع: من الذى سأل محمداً (ص) وكان بينه وبين عيسى (ع) خمسمائة عام؟

فأجابه الإمام الباقر (ص) بأن ذلك كان من الآيات التى أراها الله عزوجل لنبيه الكريم (ص) فى الإسراء إلى بيت المقدس؛ قال تعالى: **سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقَدِيمِ الَّذِي يَسِّرُ بَعْدِيهِ لِيَلْمَا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** حيث حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل فأذن شفعاً وأقام شفعاً، وقال فى أذانه حى على خير العمل، ثم تقدم رسول الله (ص) فصلى بالقوم، فلما انصرف قال الله تعالى: **وَاسْتَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ.** فقال النبى (ص): على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله، أخذت على ذلك عهدنا وموآثيقنا.

قال نافع: صدقت يا أبا جعفر.

وللإمام (ع) حوارات كثيرة مع الحسن البصرى وطاووس اليمانى، ومن أراد التوسعة والاطلاع فليراجع الاحتجاج، للمرحوم الطبرسى؛ وبحار الأنوار، للعلامة المجلسى ١٢٥: ٦؛ والارشاد، للشيخ المفيد: ٢٤٤.

وختاماً نشير إلى ما روى عنه (ع) من أنه أوصى بثمانمائة درهم تعطى لإقامة المآتم عليه بعد موته؛ روى عن الصادق (ع) أنه قال: قال لى

ص: ٢٩٣

أبي: يا جعفر أوقف لى من مالى كذا وكذا لنوادب يندبنى عشر سنين بمنى أيام منى. (١) والحكمة من هذا الأمر الذى أمره الإمام الباقر (ع) لولده الإمام جعفر الصادق (ع) أنه أراد أن يعرّف المسلمين عامه والشيعة خاصة بأهميه إقامة الشعائر وبالأخص إحياء مجالس أهل البيت (هم)؛ لأنّ إحياء مجالسهم وذكرهم هو إحياء للإسلام، والقرآن؛ فأهل البيت (هم) هم عدل القرآن ولا يفترقا أبداً كما صرح بذلك نبي الإسلام محمد (ص) فى حديث الثقلين المعروف.

(٨/ ذو الحجة/ السنة ٦٠ هـ)

٥. يوم التروية- خروج الإمام الحسين (ع) من مكة إلى العراق

سمى اليوم الثامن من شهر ذى الحجة بيوم التروية؛ لأنّ الحجاج يخرجون فيه من مكة محرمين إلى منى وهم يتروون من الماء، أى يحملونه معهم فى الروايا إلى عرفات، لأنه لم يكن فى الزمن السابق بعرفة ماء.

١- الكافي ١١٧: ٥.

ص: ٢٩٤

وفى هذا اليوم من ذى الحجة يوم التروية سنة ستين أعلن مسلم بن عقيل حركته فى الكوفة قبل الأجل الذى بينه وبين الناس، وذلك بسبب استشهاد هانى بن عروة، واجتمع إليه أربعة آلاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمت).

وقد نجحت حركته فى بدايتها وأقبل الثوار نحو قصر الإمارة، فتحرز عبيد الله بن زياد، وغلق الأبواب لعدم قدرته على المواجهة، لأنه لم يكن معه إلا خمسون رجلاً من الشرطة وبعض الأشراف والموالى، لكنه عمد إلى حيلة استطاع من خلالها تفتيت القوة المجتمعة حول مسلم بن عقيل، إذ صاح الخائفون المتحصنون معه فى القصر: يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم وجربتموهم، فتفرق الأربعة آلاف، ولم يبق منهم إلا ثلاثمائة مقاتل؛ وروى أن الرجل كان يأتى ابنه أو أخاه أو ابن عمه فيقول له: انصرف، والمرأة تأتى زوجها فتعلق به حتى يرجع.

وفى اليوم نفسه - الثامن من ذى الحجة سنة ستين - توجه الحسين (ع) من مكة إلى العراق بعد مقامه بمكة من اليوم الثالث من شعبان؛ وكان قد اجتمع إليه مئة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، وكان (ع) قد طاف وسعى وأحل إحرامه وجعلها عمرة لما بلغه أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر، وأمره على الحاج وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجدته، فكره الإمام الحسين (ع) أن تستباح به حرمة البيت.

ص: ٢٩٥

وخطب الإمام الحسين (ع) في مكة خطبته الشهيرة التي قال فيها: «أحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله، حُطَّ الموت على وُلد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كَأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النوايس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، ألا من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى». (١) وروى أنه (ع) قال لعبد الله بن الزبير: «إنَّ أبي حدثني أن بمكة كبشاً به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش، ولئن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل فيها، وأيم الله لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدَّ علي كما اعتدت اليهود في السبت!». (٢)

١- اللهوف: ٣٣.

٢- الكامل لابن الأثير ١٦: ١، عن الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف، وانظر وقعة الطف لأبي مخنف.

ص: ٢٩٦

(٩/ ذو الحجة/ من كل عام)

٦. يوم عرفة

اليوم التاسع من ذى الحجة من كل سنة هو يوم عرفة، وهو يوم دعا الله عباده فيه إلى طاعته وعبادته وبسط لهم موائد إحسانه وجوده. والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان أكثر من أى وقت سواه، ولهذا اليوم عدة أعمال:

قال الكفعمي فى المصباح: يُستحب صومُ عرفة لمن لا يضعف عن الدعاء، والاعتسال قبل الزوال، وزيارة الإمام الحسين (ع) فيه وفى ليلته، ومن أعمال هذا اليوم قراءة الأدعية المأثورة عن الأئمة (هم) وهى كثيرة والمشهور منها دعاء عرفة لأبى عبد الله الحسين (ع) وكذلك دعاء الإمام السجاد (ع) فى هذا اليوم. (١) عرفات - جبل الرحمة:

هضبة تبعد عن الكعبة حوالى (٢١) كيلومتر، يقصدها الحجاج لأداء حج التمتع، بعد ارتدائهم لملابس الإحرام، ويقفون فى هذه المنطقة من ظهر يوم التاسع من ذى الحجة إلى غروب الشمس، منهمكين بالدعاء والتضرع، لينزل الله تعالى عليهم رحمته، ويعطيهم الرخصة مرة أخرى للدخول إلى الحرم.

١- مفاتيح الجنان - أعمال شهر ذى الحجة.

ص: ٢٩٧

في رواية عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن عرفات: لِمَ سميت عرفات؟ فقال: «إنَّ جبرئيل (ع) خرج بإبراهيم (ع) يوم عرفه، فلما زالت الشمس قال جبرئيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك، فسميت عرفات لقول جبرئيل اعترف فاعترف». (١) وهناك أسباب أخرى للتسمية أعرضنا عنها لضرورة الإيجاز.

الوقوف بعرفة:

قبل الإسلام كانت جرهم تتأسى بإبراهيم (ع)، فيطوفون بالبيت ويقفون على عرفات، وجاء الإسلام فجعل الحج عرفه، فمن أدرك عرفه فقد أدرك الحج.

الأزرقي: عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال: أضللت بعيراً لي يوم عرفه، فخرجت أطلبه حتى جئت عرفه، فإذا رسول الله (ص) واقف بعرفة مع الناس، فقلت: هذا رجل من الحمس، فما له خرج من الحرم؟ يعني قريشاً كانت تسمى الحمس والأحمسى المشدد في دينه، فكانت قريش لا تجاوز الحرم تقول: نحن أهل الله لا نخرج من الحرم، وكان سائر الناس يقف بعرفة، وذلك قول الله عزوجل: ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ. (٢) أرض المغفرة وقبول الدعاء:

إحدى أهم الألفاف التي يحصل عليها الحجاج من رحلة الحج المعنوية، هو غفران الذنوب، ففي اليوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام،

١- مستدرک الوسائل ٢٦: ١٠ الباب ١٤، الحديث رقم ١٣٧٢.

٢- أخبار مكة، للأزرقي ١٩٥: ٢، البقرة: ١٩٩.

ص: ٢٩٨

يأتى الحجيج من كل فج عميق ويجتمعون فى عرفات، ويطلبون من الله تعالى أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ويطهرهم من الأدران، فهم فى دعاء وبكاء وتوسل.

عن على (ع) قال: «إن رسول الله (ص) لما حج حجة الوداع، وقف بعرفة فأقبل الناس بوجهه فقال: مرحباً بوفد الله - ثلاث مرات - الذين إن سألوأ أعطوا، وتُخلف نفقاتهم، ويجعل لهم فى الآخرة بكل درهم ألفاً من الحسنات، ثم قال: يا أيها الناس ألا أبشركم؟! قالوا: بلى يا رسول الله: قال: إنه إذا كانت هذه العشيء باهى الله بأهل هذا الموقف الملائكة، فيقول: يا ملائكتى انظروا إلى عبيدى وإمائى أتونى من أطراف الأرض، شعثاً غبراً، هل تعلمون ما يسألون؟ فيقولون: ربنا يسألونك المغفرة، فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فانصرفوا من موقفكم مغفوراً لكم ما سلف». (١) الصوم فى يوم عرفة:

ورد النهى عن الصوم فى يوم عرفة فى بعض الروايات من الفريقين، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى ضرورة أن يكون الفرد نشيطاً أثناء الدعاء والتضرع، لأن الفرد الصائم، يستحوذ عليه الضعف ولا يجد القدرة على الدعاء وكان رسول الله (ص) لا يصوم عرفة، وفعل ذلك الخلفاء وبعض الصحابة أيضاً تأسيماً به (ص). (٢)

١- مستدرک الوسائل ٣٦: ٨.

٢- أخبار مكة، للفاكهى ٢٤: ٥.

ص: ٢٩٩

(٩/ ذو الحجة/ السنة ٦٠ هـ-)

٧. استشهاد مسلم بن عقيل و هانى بن عروة (ره)

هو مسلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبدالمطلب، وهو ابن عم الإمام الحسين بن على بن أبى طالب، ولد مسلم فى المدينة واستشهد فى الكوفة عام ستين، وروى أن عمره ٣٤ أو ٣٨ سنة، وربما كان أكثر من ذلك، وقد نشأ فى بيت عمه أمير المؤمنين (ع) وحضر معه وقائع الجمل وصفين والنهروان، وكان لنشأته مع ابنى عمه الحسن والحسين (ما) أثره البالغ فى سلوكه وتربيته الرسالية، وتحمله مسؤولية السفارة بين الحسين (ع) وأهل الكوفة، ورفضه التخلّى عنه، وأدائه الرائع لرص الصفوف حوله، ومواجهته الشجاعة للطاغية ابن زياد ودولة الأموية الظالمة.

وقد كانت زوجته رقيه الصغرى بنت أمير المؤمنين (ع) مع الحسين (ع) فى ركبته مع بنتها وأولادها الذين استشهدوا فى واقعة الطف وبعدها.

ولعلّ ميزاته الشخصية الفريدة جعلت الإمام (ع) يرى فيه الشخص المؤهل الوحيد القادر على القيام بالمهمة التى قام بها.

مسلم على مستوى المهمة الموكلة إليه:

ص: ٣٠٠

عندما وردت كتب أهل الكوفة إلى الحسين (ع) تستدعيه، وتعلن ولاء العراقيين له، واستعدادهم ليكونوا خلفه جنداً مجتهداً، دعا (ع) مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيدأوى، وعُمارة بن عُبيد السلولى، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبى، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين، مستوثقين عجل إليه بذلك. (١) لقد بعثه إلى الكوفة ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً، وأمرأً حازماً محكماً، بعث له ليركب فى أهله وذويه ويأتى الكوفة. (٢) أجل، أرسله الإمام الحسين (ع) إلى أهل الكوفة بعدما تواترت عليه كتبهم ورسائلهم، وأنفذ معه كتاباً إليهم: «وأنا باعث إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى. (٣)

وقد أوصاه قائلاً: «إنى موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضى الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتى، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتى فعجل على بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى».

١- الطبرى ١٠٨: ٦؛ وابن الأثير ٣٨٦: ٣.

٢- ابن كثير ١٥٤: ٨؛ وبحار الأنوار، ٣٣٥: ٤٤.

٣- بحار الأنوار ٣٣٤: ٤٤.

ص: ٣٠١

وقد مضى مسلم في مهمته دون أن يتردد أو يجبن، وليس كما زعم من ذكر أنه أرسل رسالة اعتذار إلى الإمام عن إنجاز المهمة، وأنه طلب إليه أن يكلف شخصاً آخر بها.

إن ما ورد بهذا الخبر يتناقض وما عرف عن مسلم وصلابته في الحق، وما عرف عن مواقفه القوية، وليس أدل من ذلك تصديه بمفرده لأعداد كبيرة من أعدائه، وعدم استطاعتهم التغلب عليه إلا بمكيدة غادرة، ثم موقفه الشجاع بوجه ابن زياد وهو أعزل. كما أنه يتناقض مع ما عُرف من استعداداته الخلقية والنفسية التي جعلت الإمام (ع) يختاره من بين كل أصحابه وأهله لهذه المهمة الشاقة.

في بيت المختار الثقفي:

ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن عبيدة، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم في المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه. (١) وكان اختيار مسلم لدار المختار صائباً وموفقاً، فالمختار من الشخصيات النادرة القوية التي التزمت خط أهل البيت (هم). وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعته منهم قرأ عليهم كتاب الحسين (ع) فيكون، ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة. (٢) وقد ألقى خطبة حماسية أمام الوفود التي جاءت لتقديم البيعة، وكان الخطاب بمستوى أقوالهم، وقد استشهد بعضهم مع الإمام (ع) فعلاً.

١- الطبري ٢٧٩: ٣؛ وابن الأثير ٢٦٧: ٣؛ والإرشاد: ٢٢٦.

٢- ابن الأثير ٣٨٦: ٣؛ والطبري ٢٧٩: ٣.

ص: ٣٠٢

قال عابس بن أبى شبيب الشاكري موجهاً الخطاب لمسلم: فإنى لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرك منهم، والله لأحدثك عما أنا موطن نفسى عليه، والله لأجيبكم إذا دعوتهم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفى دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله.

وقد اختلف المؤرخون حول عدد الذين بايعوا مسلم للإمام الحسين (ع) فذكر أغلبهم أنهم كانوا ثمانية عشر ألفاً. (١) وهو عدد كبير يشكّل جيشاً قوى الشكيمة لو أنهم استمروا على مواقفهم خلف مسلم.

لذلك كتب مسلم إلى ابن عمه الحسين (ع) فى رسالته له، وهو يقول فيها: «أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابى، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم فى آل معاوية رأى ولا هوى، والسلام». (٢) مضت الدعوة إلى الحسين تتسع فى الكوفة وجوارها، وأصبح الناس يهتفون باسمه حتى ضاق الأمر على النعمان بن بشير الأنصارى والى الكوفة؛ فكتب أنصار الأميين إلى يزيد بن معاوية بالشام، وعرفوه إقبال الناس على مسلم ودعوتهم، وبيعه الحسين (ع)، وضعف الوالى النعمان.

١- الإرشاد: ٢٠٥؛ والطبرى ٢٩٠: ٣.

٢- الطبرى ٢٩٠: ٣.

ص: ٣٠٣

فجمع يزيد أنصاره ومستشاريه وعلى رأسهم سرجون الرومي، وسألهم ما العمل؟ فأشاروا عليه بتولية عبيد الله بن زياد وعزل النعمان بن بشير. (١) دخول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة:

خرج عبيد الله بن زياد من البصرة، وأقبل إلى الكوفة حيث عُيِّن والياً عليها بدلاً من الوالى السابق النعمان، ولما قدم ابن زياد الكوفة انفضَّ أنصار مسلم بن عقيل من حوله، لأن ابن زياد استخدم بحكم نفسيته الخبيثة الترهيب تارة والترغيب أخرى.

عظمت الرشاوى، واستمال الذين فى قلوبهم مرض، وأرهب الضعفاء، فتوارى مسلم عن الأنظار لكن ابن زياد استطاع العثور على موضع اختفائه بواسطة جواسيسه، فقبض على هانى بن عروة الذى كان يخفيه فى داره، فاضطرَّ مسلم إلى إعلان ثورته قبل موعدها المقرّر، وحاصر ابن زياد فى قصر الإمارة.

وكانت الخيانة، فانقلب الأشراف والرؤساء الذين عظمت رشوتهم وملئت جيوبهم من الدرهم والدينار، فمالوا إلى جانب ابن زياد وخذلوا مسلماً.

مسلم لا يغدر:

١- أنساب الأشراف، للبلاذرى؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٥٨٩: ١.

ص: ٣٠٤

أقام مسلم بن عقيل في دار هاني بن عروة متكماً لا يعلم بوجوده سوى خواص الشيعة، وتشاء الصدق أن يأتي شريك بن الأعور من البصرة فينزل ضيفاً على هاني، ويجتمع بمسلم، وتشاء الصدق أن يمرض شريك.

جاءت الأخبار لابن زياد: أن شريك بن الأعور مريض في بيت هاني فسارع لعيادته، لأن شريكاً من كبار الأشراف والوجهاء. لما علم شريك أن ابن زياد قادم لاحت بفكره خطئاً، فقال لمسلم بن عقيل: إن غايتك وغايتي هلاك الظالمين وهذا عيب الله قادم لزيارتني فاقتله وأرح البلاد والعباد من جورهِ. فقال مسلم: وكيف ذلك؟ فقال شريك: أقم في هذه الخزانة - وأشار بيده إلى خزانة في الحائط - حتى إذا دخل ابن زياد وأخذ في الحديث أخرج أنت إليه فاقتله وأرح الناس من شره، وضع يدك على زمام الحكم ريثما يحضر مولانا الحسين (ع).

اختبأ مسلم في الخزانة، دخل ابن زياد منزل هاني بن عروة وجلس بالقرب من شريك وراح يستفسر عن صحته. كانت عين شريك ترمق الخزانة بين الحين والآخر يتوقع خروج ابن عقيل شاهراً سيفه يضرب ابن زياد ضربة واحدة ويقتله. لكن مسلماً لم يخرج وطال الانتظار، ونادى بأعلى صوته:

ما الانتظار بسلمي لا تحيها حيو سليمي وحيوا من يحيها
وإن تخشيت من سلمي مراقبة فلست تأمن يوماً من دواهيها.

(١)

١- الطبري، وابن الأثير.

ص: ٣٠٥

ثم صاح شريك بصوت رفيع لسمع مسلماً: اسقونيها ولو كان فيها حتفى.

ولما خرج ابن زياد من دار هانى، التفت شريك إلى مسلم بن عقيل وقال له معاتباً: بالله عليك يا ابن عقيل ألا أخبرتنى لماذا لم تقتله؟ وما الذى منعك من قتله؟ فقال مسلم: لقد منعى من قتله حديثان:

الأول: حديث أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) حيث قال: «إن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن»؛ والثانى: امرأة هانى، فإنها تعلقت بى وأقسمت علىّ بالله أن لا أفعل هذا فى دارها، وبكت فى وجهى.

فقال هانى: يا ويلها من حمقاء جاهلة، قتلتنى وقتلت نفسها، والذى فرّت منه وقعت فيه.

مسلم فى دار طوعه:

استطاع ابن زياد من السيطرة على أوضاع الكوفة بالإغراء والوعيد، وفرض عليها من الخوف والرعب، فتفرق أصحاب مسلم من حوله، وظل وحيداً غريباً بالكوفة بلا مأوى، فما زالوا يتفرقون حتى لم يبق من الأربعة آلاف الذين كانوا معه إلا ثلاثمائة رجل، ولما أمسى المساء صلّى مسلم بن عقيل المغرب والعشاء بالمسجد فلم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً، ولما خرج من المسجد لم يبق معه غير عشرة نفر، وبعد برهة رأى خلفه وإذا به وحيداً ليس معه أحد يدلّه على الطريق، مشى فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب، واستبد بمسلم العطش والتعب، حتى وصل على باب دار امرأة يقال لها طوعه.

ص: ٣٠٦

شاهد مسلم طوعة واقفة على باب دارها وكان قد أعياه المسير، فاتجه نحوها وقال لها: السلام عليك يا أمه الله، فردت طوعة بلطف وأدب: وعليك السلام يا عبد الله.

فقال مسلم: يا أمه الله هل لك أن تسقيني شربة ماء، فإسأني قد تشقق من العطش.

أجابت طوعة: حباً وكرامه، ودخلت الدار بسرعة وجاءت بالماء، شرب مسلم وأعاد إليها الإناء شاكراً، ثم جلس ليستريح واضعاً رأسه بين يديه مهموماً.

أدخلت طوعة الإناء، ثم رجعت لتجد مسلماً ما زال جالساً على بابها، فقالت له باستنكار وتعجب: يا عبد الله ألم تشرب الماء؟ أجابها مسلم: بلى، فقالت: إذن قم فاذهب إلى أهلك.

سكت مسلم، فعادت طوعة تكرر وتقول له: يا عبد الله اذهب إلى أهلك فإنه لا يصح لك الجلوس على باب داري ولا أحله لك. عندها قام مسلم بتناقل يجر رجله ثم وقف وقال: يا أمه الله ما لي في هذا البلد أهل ولا عشيرة فهل إلى أجر ومعروف؟ ولعلّي أكافئك به بعد هذا اليوم.

فقالت طوعة بدهشة وتعجب: يا عبد الله ما هذه المكافأة وكيف ذلك؟ ومتى بعد هذا اليوم؟ فقال: يا أمه الله أنا مسلم بن عقيل من آل بيت رسول الله وأنا سفير الحسين إلى أهل الكوفة.

ص: ٣٠٧

لكن طوعاً ما إن سمعت باسمه حتى صاحت بلهفة: أحقاً أنت مسلم؟ أحقاً أنت سفير الإمام الحسين (ع)؟ أجاب مسلم: نعم، يا أمه الله؛ فقالت: سيدى يا مسلم اغفر لى خشونتى وما بدر منى أدخل بأبى أنت وأمى إلى داخل الدار.

رحبت به وامتلاً قلبها سروراً، وأدخلته بيتاً غير الذى يأوى إليه ابنها وعرضت عليه الطعام فأبى؛ ولما وافى ابنها المنزل ورآها تكثر الدخول لذلك البيت استراب منه فاستفهمها عنه فأعرضت وألح عليها فلم تخبره إلّا بعد أن أخذت عليه العهود لا يعلم أحداً بمن فى البيت فبات الغلام فرحاً بجائزة ابن زياد. (١) وما كاد الصبح يتنفس حتى أسرع ولدها إلى القصر وأخبر بمكان مسلم، وفور وصول النبأ إلى ابن زياد أرسل قوة كبيرة إليه، وما أن سمع مسلم بالضجة حتى أدرك أن القوم يطلبونه، فخرج إليهم بسيفه وكانوا قد طوقوا الدار من كل جهاتها فانهمزوا بين يديه وهم أكثر من مائتى مقاتل، وبعد معارك ضارية بينه وبينهم فى الشوارع استعملوا فيها النار والحجارة من أعلى السطوح استسلم لهم بعد أن أمنه ابن الأشعث وأعطاه العهود.

ومضى معهم إلى القصر فأدخل على ابن زياد ولم يسلم عليه، وجرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل رضوان الله عليه رابط الجأش منطلقاً فى بيانه، قوى الحجج، حتى أعياه أمره وانتفخت أوداجه وجعل يشتم علياً والحسن والحسين، ثم أمر جلاوزته أن يصعدوا به إلى أعلى القصر ويقتلوه، ويرموا

ص: ٣٠٨

جسده إلى الناس، ويسجوه في شوارع الكوفة، ثم يصلبوه إلى جانب هاني بن عروة، هذا وأهل الكوفة وقوف في الشوارع وكأنهم لا يعرفون من أمره شيئاً، وقد صور الفرزدق الشاعر هذه المأساة بقوله:
فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد غير الموت لونه وآخر يهوى من طمار قتيل
فإن أنتم لم تتأروا لأخيكم فكونوا نساء أرضيت بقليل.

(١) (١٠/ ذو الحجة/ من كل عام)

٨. عيد الأضحى المبارك (يوم النحر)

وهو ثاني أعياد المسلمين بعد عيد الفطر المبارك، وفيه يقوم الحجاج بالإحلال من إحرامهم في منى بعد الإفاضة من المزدلفة وأعمال هذا اليوم هي على الترتيب: رمى جمرة العقبة الكبرى، وذبح الهدى، والحلق أو التقصير.
ويحرم في عيد الفطر والأضحى الصيام، ويستحب فيهما صلاة العيد، ويستحب لغير الحاج الأضحى في يوم عيد الأضحى المبارك.
وفي يوم الأضحى المبارك يتذكر المسلم التسليم المطلق لله من قبل النبي إبراهيم وولده إسماعيل (ما)، فالأب يصارح ولده البالغ من العمر ١٣ عاماً بالرؤيا التي رآها بأن يذبحه قرباناً لله تعالى، والولد يسلم لأمر الله بإخلاص، والقرآن الكريم ينقل لنا هذا التخاطب الجميل بينهما بقوله تعالى:

١- سيرة الأئمة الاثني عشر ٦٢: ٢.

ص: ٣٠٩

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١) وبهذا يقدم إبراهيم وابنه إسماعيل أعظم درجة في الحب والعشق الإلهي والتضحية والفداء في سبيل الله وإعلاء كلمة لا إله إلا الله.

(١٨/ ذو الحجة/ السنة ١٠ هـ-)

٩. يوم الغدير (نصب الإمام على (ع) وصياً من قبل النبي (ص))

أجمع رسول الله (ص) الخروج إلى الحج في سنة عشر من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتون به في حجته تلك التي يطلق عليها حجة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام. (٢) ولم يحج غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله سبحانه.

فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً نحو المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات، وصل إلى غدير خم من الجحفة التي تشعب فيها طرق المدتيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي

١- سورة إبراهيم: ١٠٢.

٢- الغدير، للأميني ٩: ١، إن الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة، كما أن الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول الآية الثالثة من سورة المائدة.

ص: ٣١٠

الحجّة، نزل إليه جبرئيل (ع) عن الله تعالى: يا أيها الرّسولُ بلغ ما انزل إليك من ربّك (١) وأمره أن يقيم عليّاً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سيمرات. (٢) خمس مقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ ما تحتهنّ، حتى إذا نودي بالصلاة- صلاة الظهر- عمد إليهنّ، فصلى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء؛ وظلّل لرسول الله (ص) بثوب على شجرة سمره من الشمس، فلما انصرف (ص) من صلاته، قام خطيباً وسط القوم. (٣) على أقتاب الإبل. (٤) وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال (ص):

«الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: أيها الناس قد تبيّأني اللطيف الخبير: أنه لم يُعمّر نبيّ إلا- مثل نصف عمر الذي قبله. وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

١- سورة المائدة: ٦٧.

٢- سمرات، جمع سمره: شجرة الطلح.

٣- الهيثمي، مجمع الزوائد ١٠٦: ٩؛ تاريخ آل زرارة، ابن غالب الزراري ٨٤: ٢.

٤- ثمار القلوب ٥١١-٦٣٦ رقم ١٠٦٨؛ المستدرک، للحاكم ٥٣٣: ٣.

ص: ٣١١

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنّته حق ونااره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: ألهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإني فرط. (١) على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصرى. (٢) فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. (٣) فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزّوجل وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألته ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا. ثم أخذ بيد عليّ (ع) فرفعها حتى.. عرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، يقولها ثلاث مرات- وفي لفظ أحمد أربع مرات- ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من

١- الفَرَط: المتقدم قومه إلى الماء، راجع غريب الحديث، لابن سالم ٤٥: ١.

٢- صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبُصرى: قصبه كورة حوران من أعمال دمشق.

٣- الثقل: كل شيء خطير نفيس، تاج العروس، للزبيدي ٢٤٥: ٧.

ص: ٣١٢

أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب.
ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحى الله بقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي. (١) فقال رسول الله (ص): الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتى، والولاية لعلّى من بعدى.
ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين (ع)، وممن هنأه فى مُقَدِّمَةِ الصحابة الشيخان: أبو بكر وعمر كلّ يقول: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبى طالب أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. قال ابن عباس: وجبت والله فى أعناق القوم.
فقال حسان: ائذن لى يا رسول الله أن أقول فى علىّ أبياتاً تسمعهنّ، فقال (ص): قل على بركة الله.
فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولى بشهادة من رسول الله (ص) فى الولاية ماضية، ثم قال:

١- سورة المائدة: ٣.

ص: ٣١٣

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأسمع بالرسول مناديا
وقال: فمن مولاكم ووليتكم؟ فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا على فإننى رضيتك من بعدى إماماً وهاديا
فمن كنت مولاة فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه وكن للذى عادى علياً معاديا
فقال له رسول الله (ص): «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».
هذا مجمل القول فى واقعة الغدير. (١) عيد الغدير فى التاريخ الإسلامى

١- الغدير، العلامة الأمينى المجلد الأول.

ص: ٣١٤

إنّ أبناء المجتمع الإسلامي في العصور السالفه، لاسيّما أتباع أهل البيت (هم)، كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً من الأعياد الإسلامية الكبرى.

وقد عدّه أبو ریحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية) ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد. (١) وقد روى عن أبي هريرة أنه قال: من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ كتب الله له صيام ستين شهراً (أو سنه)، وهو يوم غدیر خم؛ لَمَّا أخذ النبي (ص) بيد علي (ع) فقال: «مَنْ كنت مولاه فعلى مولاه، أَللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره»؛ فقال عمر بن الخطاب: بخٍ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة. (٢) والثعالبي أيضاً قد اعتبر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين. (٣) يقول زيد بن أرقم: كان أول من صافق النبي (ص) وعلياً (ع)، أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والأنصار، ثم باقي الناس. (٤) ويكفي لأهميته هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مائة وعشرة من الصحابة. (٥)

١- ترجمة الآثار الباقية: ٣٩٥؛ الغدير ٢٦٧: ١.

٢- تاريخ دمشق ٧٥: ٢ و ٥٧٥-٥٧٧؛ تاريخ بغداد ٢٩٠: ٨.

٣- ثمار القلوب: ٥١١.

٤- الغدير ٢٧٠: ١، رواه عن أحمد بن محمد الطبري الشهير بالخليلي.

٥- الغدير ٦١: ١ و ٣١٤.

ص: ٣١٥

(٢٢/ ذو الحجة/ السنة ٦٠ هـ-)

١٠. استشهاد ميثم التمار (رضوان الله عليه)

وهو من خلص أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وكان الإمام (ع) يخرج من جامع الكوفة ويجلس عند ميثم فيحادثه؛ وروى أنه كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتره أمير المؤمنين (ع) وأعتقه، وقال له: ما اسمك، قال: سالم، قال: أخبرني رسول الله (ص) أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم، قال: صدق الله وصدق رسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنه لاسمي، قال فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله (ص) ودع سالماً، فرجع إلى ميثم و اكتنى بأبي سالم.

قال له على (ع) ذات يوم: ألا أبشرك يا ميثم؟ قال: بماذا يا مولاي؟ قال: بأنك تموت مصلوباً، قال: يا مولاي وأنا على فطرة الإسلام؟ فقال: نعم يا ميثم، فقال له: تريد أريك الموضوع الذي تصلب فيه، والنخلة التي تعلق عليها وعلى جذعها؟ قال: نعم يا على، فجاء به إلى رحبة الصيارفة فقال له: ها هنا؛ ثم أراه النخلة فكان يتعاهدها ويصلى عندها حتى قطعت وشقت

ص: ٣١٦

نصفين فنصف تنصف منها وبقي النصف الآخر، فما زال يتعاهد هذا النصف ويصلى فى الموضع ويقول لبعض جوار الموضع: يا فلان
 إني أجاورك عن قريب فأحسن جوارى؛ فيقول ذلك الرجل فى نفسه يريد ميثم: يشتري داراً فى جواره.
 وحج فى السنة التى قتل فيها فدخل على أم المؤمنين أم سلمة فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم، قالت: والله لربما سمعت رسول الله (ص)
 يوصى بك علياً (ع) فى جوف الليل، فسألها عن الحسين (ع)، قالت هو فى حائط له، قال: أخبريه أنى قد أحببت السلام عليه، ونحن
 ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، فدعت له بطيب فطيب لحيته، وقالت له: أما إنها ستخضب بدم.
 فقدم الكوفة فأخذه جلاوزة عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقيل: هذا كان من آثر الناس عند على (ع)، قال: ويحكم، هذا الأعجمي!
 قيل له: نعم، قال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة؛ قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذى تريد، ما
 أخبرك صاحبك أنى فاعل بك؟ قال: أخبرنى أنك تصلبنى عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، قال: لنخالفه، قال:
 كيف تخالفه؟ فوالله ما أخبرنى إلا عن النبى (ص) عن جبريل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضع الذى أصلب
 عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله ألجم فى الإسلام، فحبسه وحبس معه المختار بن أبى عبيد، فقال ميثم للمختار: إنك تفلت،
 وتخرج ثائراً بدم الحسين (ع) فتقتل هذا الذى يقتلنا.

ص: ٣١٧

فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقنتله، طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخليه سبيله، فخلاه وأمر بميثم أن يصلب، فأخرج. فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسم وقال وهو يؤمى إلى النخلة: لها خلقتُ ولي عُذِيَّتْ.

وكان مقتل ميثم رضوان الله عليه قبل قدوم الحسين (ع) العراق بعشرة أيام، فلما كان اليوم الثالث من صلبه، طعن ميثم بالحربة، فكبر ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دمًا.

فسلام عليك يا ميثم في الخالدين.

(٢٤/ ذو الحجة/ السنة ١٠ هـ)

١١. يوم المباهلة مع نصارى نجران

إنّ يوم ٢٤ من شهر ذى الحجة السنة العاشرة هو يوم المباهلة على الأشهر. (١) والقضية كما يلي:

١- المشهور أنّ يوم المباهلة كان بعد فتح مكة واختلف العلماء في سنة الواقعة ويومها.

ص: ٣١٨

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبي (ص) الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه (ص)، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الدباج والصلب، فلما صلى النبي (ص) العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي (ص): «عبد الله اصطفاه وانتجبه» فقال الأسقف: أتعرف له - يا محمد - أباً ولده؟ فقال النبي (ص): «لم يكن عن نكاح فيكون له والد» قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*** الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ* **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ.** (١) فتلاها النبي (ص) على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة.

وقال (ص): «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَنِي أَنَّ الْعَذَابَ يَنْزِلُ عَلَى الْمَبْطَلِ عَقِيبَ الْمَبَاهِلَةِ، وَيَبِينُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ بِذَلِكَ». (٢)
فاجتمع الأسقف مع عبدالمسيح والعاقب على المشورة، فاتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك، فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً

١- سورة آل عمران: ٥٩-٦١.

٢- الإرشاد ١٦٦: ١.

ص: ٣١٩

في غدا، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلتهم، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء، فلما كان من الغد جاء النبي (ص) وقد اكتسى بعباءة، وأدخل معه تحت الكساء علياً وفاطمة والحسن والحسين (هم)، وقال: «اللهم إنه قد كان لكل نبي من الأنبياء، أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فهبط جبرئيل بآية التطهير في شأنهم، ثم خرج النبي (ص) بهم للمباهلة، فلما بصر بهم النصارى، ورأوا منهم الصدق، وشاهدوا أمارات العذاب، لم يجرؤوا على المباهلة، فطلبوا المصالحة، وقبلوا الجزية عليهم.

فصالحهم النبي (ص) على ألفى حلة من حلال الأوقى قيمة كل حلة أربعون درهماً جيداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي (ص) كتاباً بما صالحهم عليه.

والخلاصة: إن هذا اليوم يوم شريف، وفيه عدة أعمال: الأول الغسل، الثاني الصيام، الثالث الصلاة ركعتان كصلاة عيد الغدير، وقتاً وصفه وأجره، ولكن فيها تقرأ آية الكرسي إلى هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، والرابع أن يدعو بدعاء المباهلة. (١)

١- مفاتيح الجنان: أعمال شهر ذى الحجة، أعمال يوم المباهلة.

ص: ٣٢٠

(٢٤/ ذو الحجة/ السنة ١٠ هـ-)

١٢. يوم تصدق الإمام على (ع) بالخاتم

هذا يوم تصدق أمير المؤمنين (ع) بالخاتم في حال الركوع ونزول قوله تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**. (١)

لقد نقل هذه الواقعة الكثير من الرواة ومصادر أهل السنة، وقد صرح البعض بقصة التصدق بالخاتم واكتفى آخرون بتأييد نزول الآية في حق أمير المؤمنين (ع) ونقل صاحب «غاية المرام» ٢٤ حديثاً عن طريق أهل السنة و ١٩ حديثاً عن طريق الشيعة. (٢) والقضية بدرجته من الوضوح بحيث أن حسان بن ثابت جاء بمضمون آية الولاية في قالب شعري من نظمه قاله في حق أمير المؤمنين (ع) حيث يقول:

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعياً زكاة فدتك النفس يا خير راع
فأنزل فيك الله خير ولاية وبينها في محكمات الشرائع

١- سورة المائدة: ٥٥.

٢- التفسير الأمثل ٤: في تفسير الآية ٥٥ من سورة المائدة.

ص: ٣٢١

(٢٥/ ذو الحجة/ السنة ١٠ هـ-)

١٣. نزول سورة الإنسان (الدهر) في فضل أهل البيت (هم)

يوم شريف، وهو اليوم الذي نزلت فيه سورة هيل أتت في شأن أهل البيت (هم)؛ لأنهم كانوا قد صاموا ثلاثة أيام، وأعطوا فطورهم مسكيناً، وبيماً وأسيراً، وأفطروا على الماء، وينبغي على شيعه أهل البيت (هم) في هذه الأيام، ولا سيما في الليلة الخامسة والعشرين، أن يتأسوا بمولاهم في التصديق على المساكين والأيتام، وأن يجتهدوا في إطعامهم، وأن يصوموا هذا اليوم. (١) وفي هذه الآيات المباركة من سورة الإنسان يتحدث القرآن عن أهل البيت (هم) ويضعهم في قمة الإيثار والتقوى، ويعرضهم نماذج وقدوة للبشرية لتقتدى بهم الأجيال وتسير على نهجهم.. فالحادثة التاريخية التي نزلت بسببها الآيات المباركة تشير إلى مقام أهل البيت (هم)، وتساميتهم في التطبيق والالتزام الشرعي والتجرد الكامل لله تعالى، وأنهم هم الأبرار المبشرون بالجنة، فمن اقتدى بهم وسار على نهجهم حشر معهم.

١- مفاتيح الجنان، أعمال اليوم الخامس والعشرين.

ص: ٣٢٢

وقد أورد الزمخشري وغيره من المفسرين في تفسير هذه الآية رواية الإطعام بكاملها. (١) (٢٥/ ذو الحجة/ السنة ٣٥ هـ -)

١٤. البيعة لعلی أمير المؤمنين (ع) بالخلافة

بقيت المدينة أياماً بعد قتل عثمان والناس يلتمسون علياً (ع) للقيام بالأمر، حتى ازدحم الناس وألحوا عليه، وقالوا له: لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف؛ ثم أخذ الأشر النخعي بيده فبايعه وبايعه الناس وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي. وهتف الناس باسم علي (ع) على عادة الناس إذ يولون عليهم خبيراً بحاجاتهم، مؤمناً بحقهم، خالصاً لهم، عالماً حكيماً أباً كريماً.

١- الكشاف، الزمخشري تفسير سورة الإنسان، وأورد الفخر الرازي في التفسير الكبير نفس الرواية عن الكشاف، كما أوردها عن الواحدى، وروى الطبرسى في مجمع البيان نفس الرواية.

ص: ٣٢٣

وقد وصف هو نفسه ببيعه بالخلافه وصفاً جميلاً قال: «وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب». (١) وأعلن الإمام على (ع) عن موقفه قائلاً: «ما لى ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلتهم مفتونين! وإنى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم!». (٢)

أجل .. إن أمير المؤمنين (ع) قد واجه المشاكل التي اعترضت خلافته بمنتهى الحكمة والسياسة الرشيدة، وإذا لم يكتب له النجاح في خلافته فمرد ذلك إلى عدة أسباب، أهمها أنه تولى الخلافة من المسلمين ولكنهم لم يجتمعوا على هدف واحد وغاية واحدة، وفي هذا الجو المحموم، ووسط تمرد وتحذ وكره من أكثر القرشيين ومن الأمويين، وفي مناخ سادت فيه المصالح على جميع القيم، واستعملت فيه الأموال لشراء الضمائر والأنصار.

لذلك كله كان قتال الناكثين والقاسطين والمارقين؛ ولا يخفى أن علياً (ع) لم يهادن أحداً على حساب الإسلام، أو يستعمل قرشاً واحداً من بيت المال في غير موضعه، فكان من الطبيعي أن تعترضه المشاكل من هنا إننا نقرأ في موقفه العظيم الشجاع هذا ما يوازي مواقفه البطولية الكبيرة في الذود

١- نهج البلاغة: ٢٢٩ من كلام له في وصف بيعته بالخلافه.

٢- الإمام على صوت العدالة الإنسانية ١٩٤: ٤ بتصرف.

هدج: مشى مشياً الضعيف، والكعاب جمع كاعب وهي: الجارية إذا بلغت ونهد صدرها. حسرت: كشفت عن وجهها.

ص: ٣٢٤

عن الدين بين يدى الرسول (ص)، فليس الصبر فى مثل هذه المواقف المصيرية الصعبة بأقل مقاماً ومنزلةً من مواقفه (ع) مع عمرو بن عبد ودّ المشرك، ومرحب اليهود.

وهناك، وهو يحاول أن يحمل الناس على كتاب الله وسنّ رسوله (ص) وتأسيس خلافة جديدة لم يعهد المسلمون نظيراً لها من قبل. إن الإمام علياً (ع) كان يرى أن أقل ما يطلب من خليفة رسول الله (ص) أن يحمى شريعته الله من التلاعب و الفساد، ويحتفظ بخيرات الأرض لا لفئة من الحاكمين، ولا لفريق دون فريق، وقد عمل على ترسيخ هذه المبادئ وتنفيذها بدون هوادة ولم ينحرف عن سيرة رسول الله (ص).

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و... - منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفتق "وفائي" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

